الموعود

مجلة تخصصية تعنى بالمهدوية

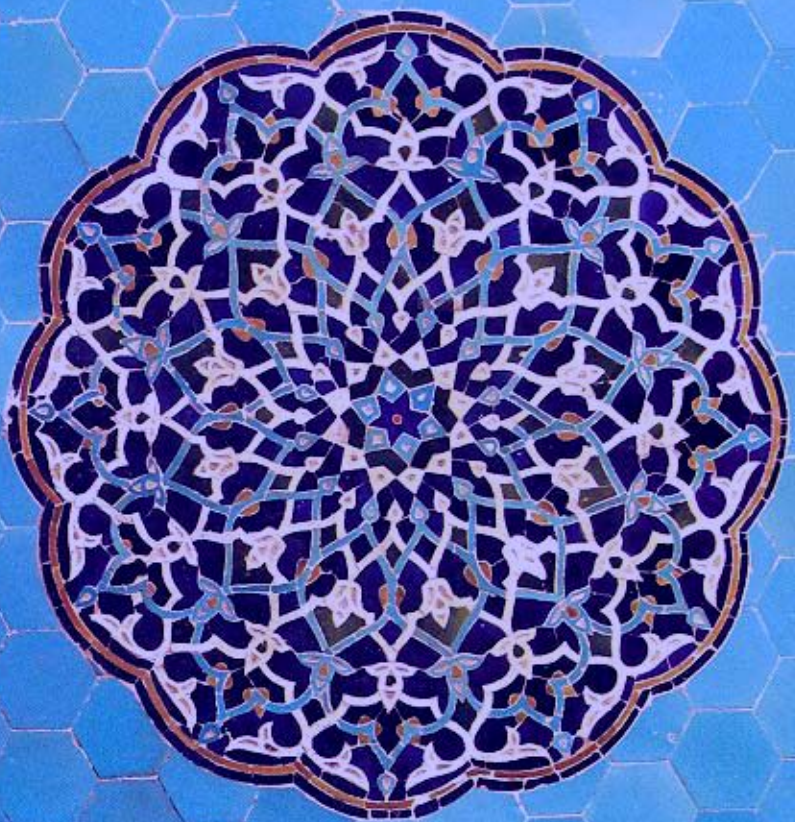

&

الموعود

مجلة تخصصية تعني بالمهدوية

العدد الثامن

شعبان المعظم 1434 هـ. ق

تصدر عن:

مؤسسة المستقبل المشرف

المشرف العام:

مسعود بورسيدآفايي

مدير التحرير:

رضي موسوي الجيلاني

الهيئة الاستشارية:

آيةالله سامي البدري، الدكتور جاسم حسين، الدكتور نجاني السماوي، الدكتور نسيم الخوري، الدكتور ادريس هاني، الدكتور ابوالعزائم، الدكتور محمد عبده، الدكتور احمد هاشمي، الدكتور محمد صابر جعفري، الدكتور فرامرز سهرابي، الدكتور مسعود بورسيدآفايي، الدكتور نصرتالله آيتي، الدكتور جواد جعفري و الدكتور رضي موسوي الجيلاني

تصميم والكرافيك:

امير اكبرزاده، علي قنبري

شبكة كتب الشيعة

shiabooks.net

mktba.net رابط بديل

فهرس المندرجات

دور علامات الظهور في هندسة الدين 5
الدكتور نصرت‌الله آيتی

التربية الواعية طريق التمهيد المحور الثاني: التربية الممهدة والإعداد للظهور 13
هدى محمد الصالح

ولاية الفقيه والأبعاد الكونية للتحقق المهدوي دراسة فلسفية سياسية 31
الدكتور محمد عبداللاوي

الحكومة المهدوية 47
الدكتور خليل خلف بشير

الأبعاد الإنسانية لمسؤولية التمهيد في زمن الانتظار أصل المسئولية وحدودها ونطاقها 69
الدكتور علي أبوالخير

المؤسسة الأكاديمية ومنهجية التحضير للظهور المقدس 87
الدكتور عبدالحسين عبدالرضا العمري

حث أهل البيت عليهم السلام العلماء على تربية الشيعة للتمهيد للإمام المهدي(عج) 101
عادل عبدالنبي عبدالله

الاستراتيجية الإعلامية ودورها البارز في رسم معالم العقيدة المهدوية... 123
الدكتور خالد رمزي سالم كريم

الأستاذ والطالب ودورهما في التربية والاعداد طبق رؤية الإمام الخميني(ره) 135
الدكتور علي الحاج حسن

التربية والإعداد للظهور، إستراتيجيات و حلول 159
زينب عبدالواحد الدحيلب

المجتمعات الإسلامية والتمهيد والإعداد للظهور 179
طاهر كوليبالي

دور علامات الظهور في هندسة الدين

الدكتور نصرت‌الله آيتي[1]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا يقوم بدين الله إلّا من أحاطه من جميع جوانبه».[2]

يمكن دراسة وتحليل المباني والمفاهيم الدينية من منظارين:

المنظار الأول:دراسة وتحليل المباني والمفاهيم الدينية بشكل مستقل وعلى حدة أما المنظار الثاني:فهو الالتفات إلى كل مبنى ومفهوم من خلال المجموعة الدينية والدور الذي يلعبه في

هندسة الدين, وكذلك النسبة مع سائر أجزاء الدين.

ومن الواضح أن المنظار الثاني يمكن الوصول إليه عبر التصوير الصحيح والتحليل الأكثر شمولية, لأن الدين حلقات متصلة مع بعضها ومنسجمة, لها أهدافها الخاصة.إذ يمكن التعرف على المنزلة الحقيقية لكل مفردة من تلك المباني والمفاهيم من خلال ما تشغله من ثقل وحجم في داخل المجموعة وتناسبها مع سائر الأجزاء.

ويمكن مشاهدة علامات الظهور عبر هذا المنظار أيضاً, والحصول على نظرة شاملة وجامعة, يعني تحليل مفردات تلك المباني والمفاهيم من خلال الالتفات إلى المجموعة الدينية, وتناسبها مع أهداف الدين والمشروع الديني وسائر أجزائه.

ومانذكر في الكتب المبينة لفلسفة علامات الظهور إنما هو منظار مستقل للعلامات عادة, أي بمعنى:لحاظ علامات الظهور بشكل مستقل, وأن لكل منها أداءها الخاص, ولكن يبدو من ذلك, أن هذا المنظار لا يحكي عن كافة الحقائق حول علامات الظهور, والذي يكمل تصويرنا لهذا المبنى والمفهوم الديني هو تلك النظرة الشمولية والجامعة تحديداً.لأننا إذا قبلنا أن للدين هدفاً, وأن له مشروعاً للوصول إلى هذا الهدف, فمن الطبيعي في القيام بدراسة وتحليل صحيح للعلامات التي تعد بنفسها جزءا من المباني والمفاهيم الدينية, أن يكون هناك التفات إلى ذلك الهدف

1. عضو الهيئة العلمية في مؤسسة المستقبل المضيء (كلية العلوم والدراسات المهدوية).
2. كنز العمال, المتقي الهندي, ج3, ص84.

والمشروع وسائر أجزاء الدين.

أما في ظل الالتفات إلى هذا الهدف والمشروع وسائر أجزاء الدين، فبإمكاننا تفسير ماهية بحث العلامات وأداء كل منها، وينبغي متابعة البحث حول علامات الظهور في الدين كله والهدف والمشروع الديني في مكان آخر.

إن ما يمكن بحثه وتناوله هنا هو علاقة ونسبة بحث علامات الظهور في مقارنتها بأجزاء الدين الأخرى، والتي لها ارتباط بهذا البحث.

والذي يبدو من المجموعة الدينية أن هناك تقارب وصلة عميقة بين الأصول الحاكمة[1] على الحركة بصورة خاصة مع بحث علامات الظهور. لأن علينا تكاليف بالنسبة للإمام المهدي عليه السلام في عصر الغيبة، هذا من جهة، فهي وإن كانت من سنخ التكاليف الفردية، لكن أساس مسئولياتنا تجاه الإمام المهدي عليه السلام تعد مسئوليات اجتماعية، لأن للإمام أهداف، منها:

الإعداد للظهور وتحقق الأرضية له في التمهيد لبناء وتشكيل المجتمع. فعلينا إذاً في حدود مسولياتنا وقابلياتنا أن ندعم الإمام لكي يصل إلى أهدافه المنشودة، ولا يتحقق هذا الإنجاز العظيم بصورة فردية، والسير إلى الأمام، وعلى هذا، ينبغي مرافقة جماعة، واصطحابهم، وهذه هي بداية الحركة الاجتماعية لتحقيق الهدف الاجتماعي.

ومن جهة أخرى، ستنزامن هذه الحركة الاجتماعية الواسعة والشاملة مع حركة السفياني أو اليماني التي عدت من علامات الظهور، ومن هنا نعلم: أن لو كان لعلامات الظهور استراتيجيات وأداء معين؛ فإن أهمها سيتعلق بالجانب الاجتماعي، يعني أن تكون علامات الظهور الدليل لحركة المجتمع للإعداد للظهور، والقيام بالوظائف والمسئوليات المرسومة في قبال الحركات الاجتماعية التي تمت كحركة اليماني والسفياني.

ومع هذه التوضيحات، السؤال المطروح هنا هو:

هل أن الطريق الوحيد أمام الدين هو هداية المجتمع، في شأن الإقدام و الحركة، أو في كيفية المواجهة مع الحركات التي بدأت، وأنها من علامات الظهور؟ إذ ليس في الدين أصول ومعايير: أن المؤمنين إذا واجهوا حركة اجتماعية أو كانوا هم ينوون القيام بنشاط وحركة اجتماعية، فمسئولينهم تقتضي أن يعرفوا ماذا عليهم أن

---

1. لتوضيح الاصول الحاكمة ينبغي القول بأن للدين مباني و اهداف، و تكاليف أيضاً ملقاة على عاتق المكلفين. لكن السؤال هو: هل بمحض وجود التكليف الشرعي، يمكنني القيام بعمل، أم أنه مضافاً للوظيفة المذكورة، لوحظت معايير أخرى أيضاً ؟ فمثلاً، هذا التكليف هو: لا ينبغي التعامل مع نظام الطاغوت، يسمعه الجنود بآذانهم في أحد المعسكرات؛ فعلى اساس هذا التكليف الديني، هل على الجميع أن يفروا ويهربوا من داخل المعسكرات ؟ من الواضح هنا أن الجواب هو النفي؛ لأن التكليف العام في ظل المعايير و الاصول الحاكمة التي يمكن أن نقول لي: ما هو دورك الآن في قبال الحكم الشرعي ؟ وماذا عليك أن تفعل بدقة؟ فمثلاً، أداء التكليف المذكور للجنود لا يجنى منه شيء لعدم فاعلية معسكرات الجنود بانيفروا ويهربوا هناك، وتقول للآخر الذي يعيش في لويزان، عليكم أن تنظفوا تلك المساحات، ومعناه البقاء واحتدام حدة الصراع دون جدوى، ويقول للآخر أيضاً عليك البقاء والحصول على معلومات، وللثالث عليك البقاء واصطناع الحلقات و النفوذ. فيكون قصدنا بناء على هذا أن نعرف الاصول الحاكمة: على أنها معايير وضوابط تبين وتظهر للمكلف أداء التكليف العام الملقى على عاتقه، ما الذي عليه أن يفعل بدقة؟.

يفعلوا؟ومن أين يبدأوا؟وفي أي الظروف يمكنهم القيام بذلك؟وإلى أين ينقدموا ويواصلوا هذا الزحف والمدّ؟و...

ومن الواضح أن الإسلام هو دين شامل وجامع, يتضمن الهداية و العديد من البيانات والإرشادات, وهي تعلمنا كيفية القيام بالوظائف والمسئوليات في كل حالة وفي أي زمان ومكان, وعلى هذا ستكون الإجابة

على تلك التساؤلات والتساؤلات المشابهة, مرتكزة على أصول حاكمة على الحركة, فلو واجهنا مثلاً حركة اجتماعية كحركة اليماني أو السفياني, فستظهر لنا الأصول الحاكمة على تلك الحركات:من نساير من تلك الحركات ومن نعارض؟فنقول لنا هذه الأصول الحاكمة مثلاً:إذا لم تكن دعوته لنفسه بل دعوته للإمام, كان ذلك في محله, وبمنظار ضعف العدو أو قوة الأنصار في وضع مطلوب وجيد و...غيره, وإلا فلا, بل أعد القوات وتغلغل في أعماق صفوف العدو, وأعد العدة للقيام بحركة ومواجهة مطلوبة!وعلى هذا الأساس, عرفنا أن من يخطط ويبرمج إنما يخطط ويبرمج لمباني وأهداف الدين من جهة, وتكاليف الدين من جهة أخرى, وصياغة الأصول والمعايير الدينية في ظروف مختلفة, هذا من جهة, ومن جهة أخرى:قدرته على التعرف على وظائفه ومسئولياته في أي الحالات وتناسب الظروف تجاه الإمام, ويكون له حركة أيضاً مع الحركات الموجودة في المجتمع, والإقدام على ذلك من خلالها, سواء حصلت علامات الظهور أم لم تحصل!.

فلسفة علامات الظهور

يظهر على ضوء التوضيحات المذكورة المتقدمة السؤال التالي:أننا لو أردنا القيام بمسؤلياتنا ووظائفنا في كافة الظروف والحالات من خلال دعم الإرشادات الدينية والأصول الحاكمة على الحركة, فبأي الأهداف يتم استعراض علامات الظهور؟وماذا يهدف الأئمة المعصومين عليهم السلام في بيانهم علامات الظهور؟

يمكن الإجابة على هذا السؤال:

بأن علامات الظهور يمكن أن تتمر في موضعين على الأقل:

الموضع الأول:المحل الذي يجهل فيه الناس, بسبب إهمال المتصدين والمسئولين في المجال الديني, أو غفلتهم عن هذه البيانات والمعايير.

الموضع الثاني:المحل الذي لا يصلون فيه إلى الهداية على أساس المعايير والضوابط الموجودة, بسبب الابتلاء بفخاخ الشبهات والضجيج الإعلامي وافتعال الأجواء من قبل جبهة الباطل وتعقيد الأوضاع.

فيمكن للعلامات هنا أن تحل المشكلة, لتتم الحركة بالاتجاه الصحيح على ضوئها.

وللتوضيح أكثر:يمكن مراجعة ما قام به النبي صلى الله عليه وآله في زمن الفتنة والتعلم منه ذلك.

كلنا يعلم أن النبي صلى الله عليه وآله كان قد تحدث كثيراً عن إمامة علي عليه السلام وخلافته من بعده, وأظهر ذلك بالشواهد والبينات والنصائح والإرشادات

والمواعظ، وأثبت أحقية الإمام علي عليه السلام، ولزوم اتباع الناس له من بعده، وقد بلغت الشواهد والبينات من الكثرة، أن أحداً لو أراد اتباع الحق ومعرفته، فبمجرد قراءته لهذه الشواهد واطلاعه عليها، لأمكنه التعرف والوصول إليها.

وعلى كل حال، بيّن النبي صلى الله النبي عليه وآله علامات أخرى بعد الإفصاح عن تلك الحقائق والكشف عنها، وعرض ضوابط وقرارات في ذلك، فقال:

«تقتل عمار الفئة الباغية»[1].

أفهم النبي صلى الله عليه وآله المسلمين من خلال هذا الحديث الصحيح أنهم متى ما عجزوا عن تشخيص الحق من الباطل في أجواء الفتنة، أن يعلموا أن الذي يقتل عماراً هم جبهة الباطل.

أو ماذكره صلى الله عليه وآله عن كلاب الحوأب، وأن إحد نسائه لا تخطو في مسير الحق تنبحها كلاب الحوأب[2].

وأكد أيضاً على صدق لهجة أبي ذر الغفاري، فما دام أبو ذر ينطق بصدق لهجته عن انحراف عثمان، فالناس الذين ابتلوا بالفتنة قادرون على تشخيص البئر من الطريق كما يقال، فقال صلى الله عليه وآله:

مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ عَلَى ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ[3].

ومن الواضح أن وجود هذه العلامات لا يعني عدم الحاجة إلى البينات والمعايير، وليس معناه أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكشف عن تشخيص الحق من الباطل، بل نشهد التاريخ أنه صلى الله عليه وآله كشف عن هذه الحقيقة في كافة مراحل رسالته صلى الله عليه وآله، وبين تلك المعايير. ومع ذلك كله، وضع صلى الله عليه وآله متممات لذلك وهي العلامات، فعرّف عنها في وقت الحاجة والضرورة لمن جهل الأصول والمعايير، أو التبست عليهم الشبهات، وكانوا عاجزين في الأجواء الملوثة التي أثارها العدو عن الفهم الصحيح لتلك المعايير، والقدرة على بيان مسير الحق.

ولعلامات الظهور أيضاً إلى جانب الأصول والضوابط الدينية دور مكمل ومساعد، وكونها مفيدة أثناء الجهل أو سيطرة الشبهات، ولها أداء سلبي وإيجابي. ففي ظل الأداء السلبي يمكن معرفة المدعين كذباً وزوراً، وكذب المدعين للمهدوية قبل تحقق العلامات الحتمية، وإمكان الأمل والتسريع في الإعداد والتهيؤ في الأداء الإيجابي.

وينبغي التأكيد أيضاً أن لهذه كلها دوراً مكملاً فقط، والدور الأصلي في الهداية إنما يتم على عهدة تلك الأصول، والضوابط الموجودة في الدين، والأصول والضوابط المقررة المتعلقة بكافة الأزمنة والأمكنة وكافة الحالات والظروف، ومنها عصر الغيبة.

1. عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ج1، ص68.
2. رسائل المرتضى، السيد المرتضى، ج4، ص64.
3. علل الشرايع، الشيخ صدوق، ج1، ص176.

تمايز الأصول الحاكمة وعلامات الظهور

اتضح مما سلف أن هناك وجوهاً للتمايز بين الأصول الحاكمة وعلامات الظهور، وهي عبارة عن:

1- أصالة الأصول وإكمال العلامات

لعلامات الظهور في المقارنة بالأصول والمعايير دور فرعي، لتحل في الرتبة الثانية، وبعبارة أخرى:لها دور المكمل، وأن أداء المؤمنين في عصر الغيبة هو أكثر من الاستناد لعلامات الظهور، بل ينبغي أن يرتقي إلى الرتبة الأولى على أساس الأصول والضوابط العامة.

2- استخدام الأصول في كافة الحالات والعلامات في حالات خاصة

عندما تعاني الروايات والنصوص لعلامات الظهور في كثير من الحالات من ضعف السند أو عدم وضوح الدلالة، أو وجود الشكوك والترديد في تشخيص مصاديقها وتطبيقاتها على الموارد في الخارج، فلا تكون روايات علامات الظهور محل ثقة واعتماد، إذ في عصر الغيبة الملبيء بالصعود والنزول، وقعت أحداث جمة، تجاوزت الألف حدث اجتماعي، لم يشر لها في روايات علامات الظهور، وعلى هذا، إذا أردنا صرف النظر عن الأصول الحاكمة ومعايير الدين العامة، واكتفينا بروايات علامات الظهور فقط، فلا نقدر أن نتخذ موقفاً صحيحاً تجاه هذه الوقائع والأحداث، ولكن في مثل هذه الحالات، ومع التمسك بمثل هذه المعاييروالملاكات الدينية، فبإمكاننا اتخاذ موقف صحيح تجاه الوقائع والأحداث الاجتماعية، وعلى هذا، لا نظير لدور الأصول والمعايير الدينية في مقارنتها بعلامات الظهور.

ومن ناحية أخرى، لو كان هناك ثقة واعتماد بسند ودلالة روايات علامات الظهور، ولم يكن هناك مشكلة أيضاً في شفافية التطبيق على المصداق الخارجي، فهناك احتمال وجود مصداق آخر كذلك، يعني أن هناك احتمال أيضاً، يمكن أن يتحقق في المستقبل مصداق آخر، قد تنطبق عليه الروايات والنصوص، وأن هذا المورد الآخر هو غرض الإمام الحقيقي، وليس المصداق الأول، إلا إذا تحققت مجموعة من علامات الظهور بعضها إلى جانب البعض الآخر، وفي هذه الحالة، يضعف جداً احتمال تكرار المصداق، فمثلا، ينتفض شخص في الشام، ويحتل خمس مناطق كما ذكرت الروايات، فيقتل الكثير في العراق والمدينة، ويخرج في مثل هذا الوقت رجل مصلح من اليمن، ويعلو لواء الحق في خراسان أيضاً، و...فنتف من خلال مجموع الوقائع والأحداث المذكورة أن الذي انتفض في الشام هو السفياني، وأن الذي ظهر في اليمن هو اليماني، والثالث في خراسان هو الخراساني.

ومن الواضح أيضاً، أننا لو أردنا الانتظار في هذا المورد، لينم تشكيل هذه المجموعة، ثم نفهم بعد ذلك، ماذا علينا أن نفعل؟لضاعت منا فرصاً كثيرة أدراج الرياح، بل ربما انتهى كل شيء، في حين أننا التفتنا إلى المعايير والبينات والارشادات والمواعظ الدينية مسبقاً، وعلمنا منذ البداية بهذه التحركات بل حتى قبل تحققها وتواجدها،

لكن ماذا علينا أن نفعل؟وماهو القرار والموقف الذي علينا أن نتخذه؟

يريد هؤلاء أن ينتظروا، ليخرج السفياني، اليماني، الخراساني، ومن ثم يفهموا ماذا عليهم أن يفعلوا؟مثلهم كمثل من لايشخص الحق ما دام عماراً لم يذهب إلى الجلاّد ولم يقتل!

حقاً!!كم هناك فرق بين هؤلاء قبل استشهاد من هم أشبه بعمار، بالركون إلى البينات وموازين الدين، فيعتقدوا أن علياً على الحق، وبين هؤلاء الذين لم يستيقضوا ويستفيقوا من غفوتهم ما لم يرق دم عمار على الأرض؟!

3- لايمكن تفسير الأصول خطئاً ويمكن ذلك في العلامات

النقطة الأخرى التي تبين مدى الأهمية الغير مشابهة للأصول ومعايير الدين العامة في المقارنة بعلامات الظهور، هي:أن بعض العلامات التي تمتلك خصائص التفسير الخاطئ أو إعداد المشابه المضاهي لها، كما قام معاوية بتوجيه قتل عمار لإضلال الرأي العام. فقال:جاء علي بعمار فألقاه بين أسيافنا، فالقاتل لعمار هو علي!أو كما ورد في الرواية، أن صيحة من السماء تنادي بوقوع حادثة مدهشة ومعجزة، فيصيح الشيطان مثلها يسمعه من في الأرض والسماء، فيشتبه الأمر على كثير!والملفت للنظر أن الروايات صرحت أن من ينجو من فتنة الشيطان هم من عرفوا الأصول والمعايير، وإليك ألفاظ الرواية كما يلي:

عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ7 يَقُولُ: بُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: إِنَّ فُلَاناً هُوَ الْأَمِيرُ، وَ بُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ عَلِيّاً وَ شِيعَتَهُ هُمُ الْفَائِزُونَ. فَلْتُ: فَمَنْ يُقَاتِلُ الْمَهْدِيَّ بَعْدَ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يُنَادِي: إِنَّ فُلَاناً وَ شِيعَتَهُ هُمُ الْفَائِزُونَ _ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ _. فُلْتُ: فَمَنْ يَعْرِفُ الصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ؟ قَالَ: يَعْرِفُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْوُونَ حَدِيثَنَا، وَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ هُمُ الْمُحِقُّونَ الصَّادِقُونَ[1].

نشاهد على أساس ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام:أن تشخيص علامات الظهور بالعودة إلى الحقائق كاعتماد معيار أهل البيت عليهم السلام، والثقة والاعتقاد بأحقيتهم، هي بنفسها أصول ومعايير أسمى من علامات الظهور، وهي قابلة للتشخيص أيضاً.

4-تقديم الأصول على علامات الظهور في مقام التعارض

نستنتج مما سلف:

إذا تعارضت الأصول الحاكمة على الحركة مع علامات الظهور، كما لو نهى مثلاً عن معايير دينية ترافق حدثاً اجتماعياً، إلا أن روايات علامات الظهور تأمر به، فلو أمكننا تطبيق الروايات على مصداق خارجي بصورة قطعية ومتيقنة، ففي هذه الحالة، تقدم الأصول والضوابط العامة على علامات الظهور، لأن الأصول ضوابط عامة

1. الغيبة للنعماني، الباب14، ح28، ص272.

تتواجد في كل مكان، ولها صبغة الدوام والشمول، أما العلامات فهي ناظرة إلى المصداق الخارجي والتوصيات الفرعية.

وبعبارة أخرى:إنما قيلت العلامات لأجل هذا وهو: إننا من خلالها يمكننا تحديد المعايير والمفاهيم الدينية العامة، والعمل على ضوئها، وعلى كل حال، تقدم الأصول والمعايير على علامات الظهور عند التعارض.

إن ما سلف ذكره، يمكن أن يتضمن هذا الخطاب وهو:أن وظيفة ومسئولية علماء الدين في أمر هداية المجتمع في الدرجة الأولى هو:اعتماد الدين على الإرشادات والبينات، فإذا أراد علماء الدين إيصال الناس إلى مرحلة الانتظار والإستعداد، وتدفق ينبوع الإنتظار المتصل بأعماق نفوس الشيعة وأرواحهم، فينبغي بناء هذا الأمر الهام على معارف عميقة في الدين، كالالتفات إلى قدر ومنزلة الإنسان والاستعدادات الظاهرة والباطنة فيه، وحالات الارتقاء والتعالي الحاصلة عنده، وبإمكانه نيلها والوصول إليها، والاضطرار إلى حجة الله-العالم بكافة الأمور والمتحررمن كل القيود- لإظهار ارتقائه وتعاليه، ومسايرته إلى الأبد حتى الوصول إلى منزله المنشود.

إن هذه النقاط العميقة ونظائرها:

هي تلك الإرشادات والمعايير الدينية، التي لو تفطن لها الانسان، فسوف لن يغفل لحظة واحدة عن الإمام، بل يعد النواني واللحظات للقائه ورؤيته، ويرى أن العيش بدونه خسارة، والتنفس في عالم لا يظهر فيه إمامه، صعب لا يستساغ ولا يطاق، وأنه سينفق كل ما عنده من مال وثروة من أجل الوصول إليه.

إن من وصل إلى هذه المنزلة والنظرة، لا يهمه أن تلك العلامة هل وقعت أم لا؟ليفتح عينيه ويستيقظ على رؤية طلعته البهية ووجهه الكريم، وتنقد في قلبه ووجدانه شعلة أمل الظهور، فيستعد وينهيأ له، ويستيقظ ويستفيق قبل هذا، تزامناً مع الأمل بالظهور، وليس الاستعداد والتهيؤ فقط لإدراك محضر إمامه عليه السلام، بل اتصاف هذا المجرى بالسرعة، فلا يقف بوجهه مانعاً يعيق طريقه.

وينبغي التأكيد على هذه النقطة أيضاً، وهي:

لا يعني هذا عدم إبداء الأهمية لعلامات الظهور، بل عده تنقيحاً وتصفية لروايات علامات الظهور، وتبليغه ونشره في لمجتمع، وهذا جو مفيد و مطلوب، واستخدامه أيضاً في زمان الجهل والغفلة عن المعايير.

وقد تكون هذه العلامات- شئنا أم أبينا-أعذاراً وحججاً بيد المدعين المروجين لها بإساءة والمستغلين، وتطبيقهم هذه العلامات كذباً وزوراً على أنفسهم أو غيرهم، ليصلوا إلى أهدافهم المنشومة من خلالها.

وعلى هذا، ينبغي البحث عن أساليب وطرق وملاكات لمعرفة الروايات الصحيحة من السقيمة وخصائصها المتعلقة بكل واحدة من تلك العلامات وطرق تشخيصها إن أمكن.

ولكن ينبغي فهم أن الدين جاء لهداية البشر، فأكد في أول خطوة منه على المعايير والأصول، لذا، ينبغي تواصل الجهود لمعرفة العلامات بحسبها ومنزلتها،

على ضوء الأصول لا أكثر.

التربية الواعية طريق التمهيد
المحور الثاني: التربية الممهدة والإعداد للظهور

هدى محمد الصالح

المقدمة

في ظل الظروف التي يعيشها المجتمع الإسلامي في عصر الغيبة الكبرى, أصبح تكليف الموالي ينصب حول إزالة الموانع والعوائق في طريق ظهور المخلص والمنقذ للبشرية لتحقيق وعد الله في أرضه وهو إقامة دولة الحق والعدل الإلهي.وهذا الوعد قابلا للتحقق فهو وعد من السماء لخلافة المستضعفين على كافة الأرض, وحتى تتحقق هذه النبوءة السماوية كان على المجتمع الإيماني أن يبحث عن كل العوامل التي تساعد في تسريع الظهور وإزالة كل العوائق التي تعرقل هذه المسيرة الإلهية.

وأهم محور يدور حوله تكليف الموالي في عصر الغيبة هو تربية النفس, وتربية المجتمع حتى يتحقق وجود قاعدة ممهدة للظهور.فالتربية عامل أساسي من عوامل التمهيد ولها هذا التأثير في خلق جيل واعد يحمل القيم الإسلامية الصحيحة وهي شكل من أشكال التمهيد الذي يعتبر مرحلة ثانية بعد الانتظار الحقيقي للموعود. وفي ظل هذا كان بحثنا يناقش التربية كأساس وكشكل من أشكال التمهيد في عدة فصول:

الفصل الأول: التربية الواعية

الفصل الثاني: الإمام والتربية الإسلامية

الفصل الثالث: مبادئ وأهداف التربية الإسلامية

الفصل الرابع: المناهج التربوية و التعليمية الممهدة

الفصل الخامس: أسلوب ونمط الحياة و التربية الممهدة

الفصل السادس: المؤسسات الثقافية والتربوية الممهدة

الفصل السابع: التحديات, العقبات, الأضرار في التربية الممهدة

الفصل الأول: "التربية الواعية"

ماهي التربية؟

التربية لغة

ربّى يُربّي، ربٌّ، تربية، فهو مُربٍّ، والمفعول مُربًّى.

2. ربّى الأب ابنه هذّبه ونمّى قواه الجسمية والعقلية والخلقية كي تبلغ كمالها "ربّى يتيماً، "لولا المربي ما عرفت ربي"، " لا تنسى من رباك" (مثل)، "وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا"/ الإسراء:24.

مربي الأجيال: المعلم.

التربية اصطلاحا: إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام.

ويمكن القول أن التربية هي: عملية يقصد بها تنمية وتطوير قدرات الأفراد من أجل مواجهة متطلبات الحياة بأوجهها المختلفة _أو هي عملية بناء شخصية الأفراد بناءً شاملاً كي يستطيعوا التعامل مع كل ما يحيط بهم، أو التأقلم والتكيف مع البيئة التي يعيشون بها. و تطلق التربية على كل عملية أو مجهود أو نشاط يؤثر في قوة الإنسان أو تكوينه وهي الوسيلة التي تساعد الانسان على بقائه واستمراره ببقاء قيمه وعاداته ونظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

إذا التربية عملية مستمرة تبدأ منذ الميلاد وحتى لحظة الممات وهي عملية إنسانية يقصد بها أنسنة الإنسان وصناعة الإنسان وهي تحصيل للمعرفة وتوريث للقيم. كما هي توجيه للفكر وتهذيب للسلوك، وهذه العملية قد تكون فردية تراعي احتياجات الفرد واتجاهاته وميوله وقد تكون اجتماعية تتم داخل الإطار الثقافي للمجتمع وفق الأيدلوجية السائدة في المجتمع. و قد عرفها علماء التربية الحديثة بأنها تغيير في السلوك. كما أنها في نظر البعض تأخذ منظورا دينيا ويعتبره البعض عملية هدفها الحصول على الإنسان السوي المعتدل كما أقرت بذلك كل الديانات السماوية.

و لقد تباينت الآراء حول مفهوم التربية، فنجد البعض ينظر للتربية أنها تهذيب للأخلاق الحميدة للإنسان وآخرون يرونها عملية روحية هدفها تعميق صلة الإنسان بربه ويرى البعض على أنها إعداد للإنسان للدخول في مجتمع لكي يواكبه وينظر للتربية على أنها تحقق ذات الفرد البشري.

التربية في المفهوم الإسلامي

التربية يعتبر نظام من الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة والمعارف والخبرات والمهارات الإنسانية المتغيرة نابع من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة يهدف إلى تربية الإنسان وإيصاله إلى درجة الكمال التي تمكنه من القيام بواجبات الخلافة في الأرض عن طريق اعمارها وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله تعالى.

ويختلف مفهوم التربية الإسلامية عن غيره من مفاهيم التربية، فالتربية اليونانية مثلاً قد اهتمت اهتماماً بالغاً بالجانب العقلي للإنسان في الوقت الذي أهملت فيه بقية الجوانب الأخرى، في حين أن التربية الرومانية ركزت اهتمامها على الجانب

الجسمي مقابل إهمال غيره من الجوانب. أما التربية المسيحية فقد عنيت كثيراً بالجانب الروحي للإنسان على حساب غيره من الجوانب الأخرى... وهكذا.

أما التربية الإسلامية فقد كانت مختلفة عن هذه المناهج كلها, حيث تميز منهجها التربوي بشموله لحياة الإنسان كلها, وعنايته بجميع جوانب النفس البشرية المتمثلة في الأبعاد الرئيسة الثلاثة (الروح, والعقل, والجسم) دونما إهمال أو مبالغة في حق أحد منها على حساب الآخر. والتربية الإسلامية مع شمولها تسعى إلى تحقيق التوازن المطلوب بينها دونما إفراط أو تفريط, ودون أن يتعدى جانب على آخر. فالتربية الإسلامية تستمد أهدافها ومناهجها وأساليبها ووسائلها من مصادر الشريعة الإسلامية, وهي لا تربي الإنسان لهذه الحياة الدنيا بل تربيه للدنيا والآخرة وتركز على الجانبين المادي والروحي في الإنسان وتراعي في ذلك الشمول والتكامل.

من هو المربي؟ ما صفاته؟

المربي هو ذلك الشخص الذي يحمل مسؤولية التربية على عاتقه ويقوم بالعمل التربوي للأفراد أو المجتمع سواء كان والدا (أبا _ أما) أو معلما أو مرشدا روحيا أو قائدا, وفق المنهج التربوي الإسلامي الذي يستمد شرعيته من خط وسيرة أهل البيت (ع). والمربي يصبو من خلال التربية إلى نقل القيم والقواعد والأعراف والآداب المنشودة إلى أبناء المجتمع. ويتميز هذا المربي بعدة مميزات وخصائص ذاتية وعملية ومن أهم الخصائص الذاتية للمربي:

_ العلم والمعرفة: بالإضافة إلى اطلاع المربي بمختلف العلوم التي تفيده في العمل التربوي لابد أن يكون لديه إلمام بأحوال وظروف المجتمع الذي يعيشه, وخصائص الأفراد من حيث الأفكار والعواطف والممارسات العملية, والأحداث والتيارات والأنشطة, وأن يتمتع بالقدرة على التشخيص بما ينبغي عليه من العمل تبعا للظروف من حيث الشدة واللين والتأني والإسراع, إضافة إلى إلمامه بالفوارق بين بيئة وأخرى وزمان وآخر وقوم وآخرين.

_ القدوة: المربي هو من أكثر أفراد المجتمع عرضة للتشبه به ثم تقليده ثم الاقتداء به لأنّه على علاقة متواصلة مع الناس والأفراد المراد تربيتهم سواء أكان والداً أم والدة أم معلماً أم عالم دين. وإذا لم يكن المربي قدوة لغيره فإنّ عمله لا يثمر, ولا يستطيع أن ينفذ إلى القلوب ليوجّهها نحو الاستقامة والصلاح ما دام لا يطابق فعله قوله, وعمله تصوراته, حيث لا يبقى لموعظته أيّ أثر ايجابي على ممارسات وسيرة المراد تربيتهم. قال الإمام الصادق(ع):«إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ المطر عن الصفا»/ الكافي: ج1 ص44.

وقد دعا (ع) إلى أن يكون المربي والداعية مجسداً للسلوك الصالح في حركته, وأن يكون مربياً بسيرته قبل التربية بلسانه, فقال(ع):"كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم, ليروا منكم الورع والاجتهاد والصبر والخير, فانّ ذلك داعية"/ الكافي:ج2 ص78.

_ البشاشة وطلاقة الوجه ولين الكلام: البشاشة وطلاقة الوجه ولين الكلام من الممارسات المحبوبة عند جميع الناس، وهي تسهم في جذب الناس وامتلاك عواطفهم ومشاعرهم؛لأنّ الناس يتأثرون بالشخص قبل التأثر بالمفاهيم والأفكار، وهم يقيسون الانسان على ظاهره قبل باطنه، فحينما يرونه بشوشاً طليق الوجه لين الكلام فإنهم سينوجّهون إلى أفكاره ورغباته بشوق وجاذبية.

وفي ذلك قال أمير المؤمنين (ع):« طلاقة الوجه بالبشر والعطية وفعل البرّ وبذل التحية داعٍ إلى محبّة البرية / غرر الحكم.

بالإضافة إلى خصائص عمليه أهمها: المداراة، والحلم والصبر، والقدرة على التقييم الموضوعي للأفراد والكيانات الاجتماعية القائم على أسس وموازين سليمة من حيث قربهم وبعدهم عن الاستقامة الفكرية والسلوكية.

المربي القائد:

القيادة: هي القدرة على التأثير على الآخرين وتوجيه سلوكهم لتحقيق أهداف مشتركة.فهي إذن مسؤولية تجاه المجموعة المقادة للوصول إلى الأهداف المرسومة

والقائد: هو الشخص الذي يستخدم نفوذه وقوته ليؤثر على سلوك وتوجهات الأفراد من حوله لإنجاز أهداف محددة، يسطر أهدافا ويسعى لتحقيقها وله رؤيا ثاقبة صائبة للمستقبل، يمتاز بمرونة في التفكير والتعامل.لا يستبد برأيه بل يحاور من حوله لإقناع الآخر بما في يديه من شواهد ودلائل على صواب الرأي.وهو يزرع بذور الهمة فيمن حوله ويدربهم لتحمل المسؤولية حتى إن غاب سدوا فراغه، ولا يدب فيهم الضعف أو ينتهون بمجرد غيابه.

أيضا يصمد أمام التحديات والأزمات ويبحث لها عن مخرج وسبل ناجعة لتفادي تداعياتها، شيمته الثبات عند المحن.يبحث عن مكامن القوة فيمن حوله ويستثمرها وينميها لتحقيق الأهداف التي سطرها سلفا، والتربية الإسلامية تتميز بإنتاجها من القادة المربين الذين يؤثرون في مجتمعاتهم ويحققون أهدافها في تنشئة أفرادها وفق المنهج الإسلامي للتربية. والحاجة إلى القائد أمر ضروري ومن ضروريات الحياة، فلا يمكن أن يكتمل أي عمل دون أن يكون له قائد يوجه حركته وينظمها. وسيرة الرسول خير مثال فهو لم يترك المدينة يوما لغزو أو غيره دون أن ينصب من ينوب عنه في غيابه.

التربية الواعية والتمهيد:

التربية الممهدة هي تربية وفق منهج تربوي إسلامي يستمد شرعيته من خط أهل البيت (ع)، تركز في أهدافها على خلق جيل ممهد ينتهج الثقافة المهدوية سعيا للتمهيد للظهور المقدس. وذلك بتوفير آليات التمهيد لهذا الجيل من خلال تنشئة الفرد وتربيته تربية إيمانية مساهمة لإصلاح ذات الفرد وبالتالي المساهمة في إصلاح المجتمع. وتمتلك هذه التربية مقومات بناء الشخصية الإسلامية وفق منهج

أهل البيت (ع)، بزرع القيم الدينية والإنسانية والأخلاقية وهي عملية تغيير للمحتوى الداخلي للإنسان، وصياغة جديدة لأفكاره وعواطفه وممارساته، بنصف مربوها بصفات وخصائص تؤهلهم لتحقيق مظاهر المسؤولية في الواقع الإنساني والاجتماعي.

ومن مميزاتها أيضا وجود القيادة الموجهة التي ترتكز عليها العملية التربوية بوضع الخطط المناسبة وفق ما يتناسب ومتطلبات الساحة الاجتماعية واحتياجات أفرادها. وتوفير آليات العمل التربوي بإيجاد المناهج التعليمية والتربوية المناسبة. والأهم من ذلك تتمتع هذه القيادة بالحذاقة وبعد النظر بحيث تلاحظ الطاقات الفردية للمربين وتعمل على تطويرها وتنميتها لتوظفها وفق ما يناسب العمل التربوي، كما تشكل هذه القيادة القدوة الأفضل في طريق التربية الأمر الذي يكسبها صلاحية التوجيه والتوعية للأفراد والمجتمع، بما تمثله من حضور وعطاء في سبيل خدمة الهدف الذي تسير بموجبه في خدمة التمهيد.

الفصل الثاني: الإمام والتربية الإسلامية

المعصوم والتربية الإسلامية

الإمام النموذج الأكمل للمربي:

مثّل أهل البيت (ع)عبر سيرتهم وتكاملهم في جميع القيم الإنسانية عنصر القدوة في المجتمع الإسلامي بل والإنساني بأجمعه. فإذا شئنا أن نكون مسلمين كاملين وأن نصل إلى كمالنا الإنساني بالتربية والتعليم الإسلاميّين، فعلينا أن نعرف من هو الإنسان الكامل، وما هي ملامحه الروحيّة والمعنويّة، وما هي مميّزاته، حتّى نستطيع أن نصنع أفراد مجتمعنا، وأنفسنا على شاكلته. و قد كانت سيرة أهل البيت تزخر بكل ما يغذي الحياة من فكر وعبادة ونهج حياة، وأهم خطوة نخطوها في مسألة التربية الإسلامية معرفة النهج الذي تغرف منه أفكارها التربوية وفهمه فهما تطبيقيا، بطرح ذلك الفكر التربوي لأنه ينبع من أصالة القرآن الكريم والنهج المحمدي.

نظرية الإمام علي(ع)

عند البحث فيما بين أيدينا من نصوص وبالاستعانة بعمليات الاستدلال والاستنباط نستطيع أن نتوصل إلى مفهوم يقرب العملية التربوية في كلام أمير المؤمنين(ع). فقد أبان الإمام علي(ع) عن ركيزتين أساسيتين لا قيام للتربية بدونهما حيث يقول(ع):"أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي، كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ:مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ:لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ

كُفِيتَ مَئُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ"(1). ألا وهما:

_ مرونة الفطرة الإنسانية بقوله:"وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ؛مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ" مشيراً بذلك إلى فترة النضوج ومرحلة التكامل الإنساني.

_ الميل الفطري لدى الإنسان إلى التقليد بتعبيره البليغ بقوله:"فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَئُونَةَ الطَّلَبِ"، ويعني بذلك أنه سيسأله أو سيسأل غيره حتماً في هذه الأمور فلذلك بادره هو قبل أن يبادر إليه غيره.

وقد حرص(ع) على أن يوثّق الصلّة بين التربية النظرية والتربية التطبيقية؛ببيان أهمية العمل بما نعلم. ويظهر هذا فيما ورد نقلاً عنه حيث قال:"الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ ".وركز(ع) على تأثر العملية التربوية بطبيعة المتعلم وما ينتج عنها من سلوك، فطبيعة المتعلم عند الإمام علي(ع) هي نتاج عوامل الوراثة والبيئة والوسط الاجتماعي، وهذا ما أكدته الدراسة الحديثة في علم النفس وأصبح البحث يجري الآن في بيان مقدار أثر كلٍّ منهما في طبيعة الإنسان؛قال(ع) في وصيته لابنه الحسن(ع):"فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلًا، ثُمَّ عُلِّمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ".

كما اهتم بتربية النشء ويعلل الإمام علي(ع)أهمية هذا بأمرين:

_ مرونة الطفل وقابليته الكبيرة في هذه المرحلة العمرية للتوجيه والإرشاد من جهة.

_ صعوبة قدرة الطفل على الاختيار من بين الخبرات التربوية المتعددة والمتراكمة من جهة أخرى.

يقول(ع):"وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ؛مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَ يَشْتَغِلَ لُبُّكَ؛لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَئُونَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ".

وقد أكدّ علماء التربية على أهمية السنوات الأولى من عمر الطفل لأنّ السيطرة فيها تكون للاوعي على الوعي، واللاوعي مستعد لتقبل كل الإيحاءات والمفاهيم، لذلك فكل ما يوجه محيط الطفل الخاص في هذه المرحلة من أولي الأمر، إنما يتقبله الطفل ويرسخ في قلبه وفي عقله. ولا يعني هذا أنّ من فاته من تلقّي العلم في مرحلة الطفولة لن يتعلمه في المراحل التالية من العمر؛لأنّ التعليم في الإسلام، لم يتقيد بسنٍّ محددة. بل إنّ العمر كله يجب أن يكون مسرحاً لتلقي التعليم.

واهتم بتربية العقل فأعطاه منزلته التي أعطاه إياها الإسلام؛فهو مناط التكليف، ومناط التفكير العلمي الذي يعتبر أساس كل شيء في الحياة، ومن الوسائل التي يمكن تحقيقها لتربية العقل في نظر الإمام علي(ع) التأمل العقلي؛وكان يقول في تربية العقل:"لَا غِنًى كَالْعَقْلِ، وَلَا فَقْرَ كَالْجَهْلِ، وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ، وَلَا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ". ومن حكمه قوله:"إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ ".

و كذلك العلم، قال الإمام(ع) لتلميذه كميل بن زياد:"يَا كُمَيْلُ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ،

الْعِلْمُ يَخْرُسُكَ وَأَنْتَ تَخْرُسُ المال، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النفقة، وَالْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى الإنفاق". والخير كله في كثرة العلم. قال الإمام(ع):"لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وولدك، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ علمك". وأفضل طريقة عنده(ع) لتحصيل العلم هي الإكثار من مجالسة العلماء ومناقشتهم. وفي هذا تنمية للقدرة على التأمل والنظر والتفكير، وعن طريق محاورة العلماء تتم عمليات نقل الأفكار إلى الأجيال اللاحقة. قال(ع) لعامله على مصر مالك النخعي:"وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ".

وكذلك اهتمامه بتنقية التراث الثقافي ونقله للناشئين ويرى(ع) أنّ أول ما يجب تعليمه للأجيال الجديدة القرآن الكريم والتفسير، لاشتماله على كل ما يحتاج إليه الناس في حياتهم الدنيا والآخرة، ولبيانه لكثير من أحوال الأمم الماضية، قال(ع) في وصيته لابنه الحسن:"وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ. وَأَحْكَامِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ لَا أُجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ". ويشير(ع) إلى أنّ التراث الثقافي ليس كله نافعاً للأجيال الناشئة. وواجب المربي حينئذ تنقية هذا التراث من الشوائب قبل تقديمه للمتعلم، وأكد على ذلك في وصيته لابنه الحسن بقوله:" ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ"

الإنسان والتربية في نظر الأئمة(ع):

أثبتت الدراسات التربوية والاجتماعية الأثر الواضح للوراثة والمحيط الاجتماعي في تكوين شخصية الانسان، حيث تنعكس على جميع جوانبها الجسدية والنفسية والروحية فغالبية الصفات تنتقل من الوالدين والأجداد إلى الأبناء، إما بالوراثة المباشرة والقابلية للإتصاف بهذه الصفة أو تلك، ثم يأتي دور المحيط ليقرر تشكيل شخصية الانسان.

دور الوراثة:

قال الإمام الصادق(ع):"إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقا جمع كل صورة بينه وبين أبيه إلى آدم ثم خلقه على صورة أحدهم فلا يقولن أحد هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئا من آبائي"

فالوراثة تؤثر في تحديد أغلب خصائص وصفات الشخصية حيث تخلف الاستعداد في النفس فإذا وجدت البيئة المناسبة نمت وترعرت بالاتجاه المناسب لها ومن هذه الصفات والخصائص:الصفات الجسدية كالطول ولون البشرة، والصفات العقلية كالذكاء أو البلادة، الطباع والسجايا كالاهتمام وعدم المبالاة، والمزاج العصبي وغرابة الطبع وغيرها.

دور المحيط (البيئة):

تشترك الوراثة مع البيئة الاجتماعية في البناء التربوي للإنسان بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، لأنهما متكاملان متكاتفان، حيث تخلف الوراثة القابلية والاستعداد

للاتصاف بهذه الصفة أو تلك إن وجدت المحيط والبيئة المناسبة, وتشترك البيئة والوراثة في خلق الشخصية بما في ذلك المسائل العقائدية والقيم, والبيئة تشمل جميع مواقع التأثير في الواقع الاجتماعي وأهمها: الأسرة, الأصدقاء والأصحاب قال الإمام زين العابدين(ع):"مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح" ومجالس الذكر حيث أن هذه المجالس تخلف أجواء تربوية فكرية وسلوكية تؤثر تدريجيا في المشاركين فيها, قال الإمام الصادق(ع):"تزاوروا فإن في زيارتكم إحياء لقلوبكم, وذكر لأحاديثنا, وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض, فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم وإن تركتموها ضللتم, فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم".

الإمام والمشروع التربوي الممهد (بناء الجماعة الصالحة):

عندما بدأ أهل البيت عليهم السلام بناء الجماعة الصالحة وضعوا مجموعة من القواعد والأسس القوية المحكمة لإرساء هذا البناء عليها, وقد تم استنباط هذه القواعد من الرسالة الإسلامية الخاتمة بحيث تمثل الفهم الصحيح من ناحية, وتحقق الأهداف الخاصة من ناحية أخرى.وتمثل هذه الجوانب والأسس مقومات بناء الشخصية الإسلامية وهي:

الجانب العقائدي: اهتم أهل البيت(ع) اهتماما خاصا ومتميزا بجانب الفكر والعقيدة, لأنه يعتبر الأساس الذي يمكن أن يقوم عليه بناء أي جماعة بشرية. وبمقدار ما يكون هذا البناء قويا وواضحا وشموليا ومنسجما, تكون الجماعة قوية وقادرة على مواجهة المصاعب والمشكلات والظروف المختلفة.وذلك من خلال الالتزام بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة بطرح ما يتناسب مع الفطرة الإنسانية السليمة.

الجانب الأخلاقي: وتعبر الأخلاق عن الجانب الوجداني والمعنوي للسلوك الإنساني, وأرادوا بذلك أن يوجدوا نوعا من الحصانة النفسية والروحية في أتباعهم عن الوقوع في الانحرافات الأخلاقية, وحتى يمثلوا القدوة والمثل الأعلى في المجتمع الإسلامي بحيث تكون الجماعة الصالحة موضع الثقة والطمأنينة بين أفراد المجتمع الإسلامي.

الجانب الثقافي: اهتم أهل البيت(ع) بهذا الجانب من خلال تحديد مصدر الثقافة الإسلامية المتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ومرجعية أهل البيت(ع), وذلك بالحث على طلب العلم والتنوع في أساليب التعليم كالدعاء والوصية والرسائل والمجالس الحسينية, والتنوع في مجالات التخصص العلمي, وتأسيس المؤسسات الثقافية كالمساجد والحوزات العلمية.ومن أهم المظاهر التي تعكس هذا الجانب إقامة الشعائر

الحسينية وهي ذات أهداف وجوانب متعددة سياسية وثقافية وعقائدية وروحية.

الجانب الروحي والمعنوي: يعتني هذا الجانب بالمشاعر والعواطف والإحساسات الروحية والمعنوية لأن سلوك الإنسان يتأثر بهذا الجانب, ولقد اهتم أهل البيت(ع) بهذا الجانب وذلك من خلال تصعيد روح التقوى والتأكيد على الارتباط بالله عز وجل, وتصعيد درجة الولاء والانتماء لأهل البيت(ع), وترسيخ روح التضحية والفداء والاستعداد

للتنازل عن الدنيا وشهواتها من أجل العقيدة والمبدأ من خلال التأكيد على ملحمة الإمام الحسين(ع) من أجل جعل التضحية منارا يقتدي به السائرون في طريق الجهاد.

دور أئمة أهل البيت(ع) في بناء الجماعة الصالحة للتمهيد للظهور:

كان أهل البيت(ع) يطرحون فكرة المهدي المنتظر والقائم بالأمر لإنقاذ البشرية من الظلم والطغيان والفساد، حتى كان الكثير من المسلمين في مختلف عصور أهل البيت وحتى بعض أتباعهم يتصور أن أحدهم هو القائم المهدي.وقد وضع الأئمة(ع) في منظورهم عند بناء الجماعة الصالحة أن تقوم بهذا الدور في عصر الغيبة، ليس على المستوى الفكري والعقائدي فحسب، بل على المستوى العملي أيضا، فكان أحد أهداف وجود هذه الكتلة الصالحة هو التمهيد للظهور وذلك من خلال النقاط التالية:

_ بقاء فكرة الظهور حية في وسط هذه الجماعة من المسلمين مع الارتباط الحقيقي بها و الاحساس بالانتظار، وجعله شعارا مطروحا في وجودها الثقافي ووعيها السياسي.

_ التمهيد عند الجماعة الصالحة حركة سياسية جهادية في الأمة تتميز بالشعور بالمسؤولية تجاه ما يجري من أحداث، وتملك الإرادة في العمل على تحقيق هذا الهدف، وعدم الاستسلام للطغاة أو الضغوط الحضارية أو الثقافية التي تواجهها عبر عصور التاريخ.

_ المساهمة الفعالة في عملية الظهور وإنجاحها في مواجهة الحضارات المادية واللادينية التي تتحكم الآن في رقاب العالم.

و من الممكن أن نشاهد هذا الدور الذي تقوم به الجماعة الصالحة واضحا في العودة إلى الإسلام في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية بعد محاولات القضاء عليه، وإبعاده عن الحياة خصوصا في هذا العصر. فبقاء واستمرار دور الأئمة عليهم السلام في المجتمع الإسلامي يتم بواسطة الجماعة الصالحة بعد فرض الغيبة الكبرى للإمام الحجة(ع).لذا كان من الضروري وجود هذه الكتلة الصالحة بتخطيط مقصود من قبل الأئمة(ع).

الفصل الثالث: مبادئ وأهداف التربية الإسلامية

أهداف التربية

إن هذه الأهداف والمبادئ تستمد شرعيتها ووضوحها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة، بتأكيد الانتماء والمرجعية لأهل البيت عليهم السلام الذين وضحوا هذه الأهداف ورسموها في طريق بناء الفرد والمجتمع.وممكن تحديد هذه الأهداف كأهداف عامة وخاصة من خلال التأمل في نظرية التربية الإسلامية وفق منهج أهل البيت(ع).

الأهداف العامة للتربية الإسلامية

1. معرفة الله حق المعرفة، بالوقوف على ما أمر به ونهى عنه، وما يترتب على ذلك من الالتزام وإخلاص التوكل على الله.

2. التربية الخلقية والالتزام بمكارم الأخلاق، وترجمتها في سلوك فعلي في حياة الإنسان، إذ لا معنى للخلق بدون عمل.

3. التربية العقلية، وتدريب حواس الانسان وعقله حتى ينمو نموا متدرجا وينتقل من الجهل إلى العلم، وذلك بدراسة العلوم الشرعية وكذلك العلوم الكونية.

4. التربية البدنية، وتدريب الجسم حتى ينمو متدرجا، وينتقل إلى تمام الإدراك والحركة الفاعلة.

5. التربية العملية، وتدريب الإنسان في سبيل استثمار الأشياء استغلالا يتوافق مع طبائعها ومع تحقيق مصلحته.

6. التربية على أحكام الشريعة، والالتزام بأوامرها، وتحقيق التقوى والورع ومداراة الناس.

7. التربية الاجتماعية، بحيث يتدرب الانسان على العيش مع غيره من آباء وأقارب، وعلماء ورجال وسلطان.

8. التربية على التعايش مع الابتلاء، والتأدب مع أدب الله معه، كالصبر والشكر، وتقدير المعيشة حسب الرزق وغير ذلك.

الأهداف الخاصة

1. تنمية الحياء: يحصن الانسان عن الرذيلة وجميع ألوان الانحراف، وله آثار تربوية إيجابية جاءت في أحاديث أمير المؤمنين فقال(ع):"الحياء مفتاح كل خير"و "من كساه الحياء ثوبه خفي عن الناس عيبه".

والحياء إيجابا هو الحياء من الله تعالى ومن النفس ومن المجتمع والقانون، وهو يحقق آثارا صالحة في الفكر والسلوك، قال الإمام الكاظم(ع):"استحيوا من الله في سرائكم كما تستحيون من الناس في علانيتكم" وقال أمير المؤمنين(ع):"غاية الأدب أن يستحي الإنسان من نفسه".

فالحياء من الله ومن النفس يردع الانسان عن الانحراف الخفي وغير العلني، والحياء من المجتمع والقانون يردعه عن الانحراف العلني والمخفي معا خوفا من انكشافه أمام الملأ.

2. تنمية الضمير: والضمير يشكل حالة وعي ذاتي لدى الفرد يحميه في كل الأحوال والظروف سرية كانت أو علنية قال زين العابدين(ع):"ابن آدم إنك لا تزال بخير ماكان لك واعظ من نفسك وما كانت المحاسبة لها من همك".

والضمير ينمو باتجاه الاستقامة من خلال التربية المتواصلة والتوجيه الدائم من قبل المربي باحترام القواعد السلوكية داخل المجتمع، والأهم من ذلك فإن الارتباط بالغيب

هو الأساس في تنمية الضمير ليؤدي دوره في التوجيه والتهذيب والردع، لأنه يشعر بالرقابة الغيبية التي تراقبه وتتابعه وتحصي عليه سكناته وحركاته.

3. التقويم الذاتي ومحاسبة النفس: قال أمير المؤمنين(ع):"الخير كله فيمن عرف قدر نفسه وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدر نفسه" ومن معرفة النفس معرفة عيوبها، فمن خلال معرفة عيوب النفس يشغل الانسان عن عيوب غيره، ويتوجه إلى إصلاح عيوبه بالطرق والأساليب المتاحة ويتعاون مع غيره إن عجز بمفرده، قال الإمام الصادق(ع):"أنفع الأشياء للمرء سبقه الناس إلى عيب نفسه". وبعد التقييم الذاتي ومعرفة النفس يأتي دور المحاسبة لها وهو يساهم في إيقاف الانحراف، والتوجه إلى الإصلاح والتكامل والبناء التربوي الصالح للفرد وللمجتمع.

4. التقويم الاجتماعي: من خلال التقويم الاجتماعي يتعرف الانسان على نواحي القوة والضعف في نفسه وسلوكه، وعلى إمكانيات خافية أو غير معلومة، وعلى الأغراض والدوافع التي تقوم وراء سلوكه، قال أمير المؤمنين(ع):"المرآة التي ينظر الانسان فيها إلى أخلاقه هي الناس لأنه يرى محاسنه من أوليائه منهم، ومساويه من أعدائه منهم".

بعد زرع وتحقيق هذه الأهداف في ذات الفرد المؤمن، أصبح من السهل تسخير هذا الفرد في خدمة القضية المهدوية، وتوظيفه في العملية التربوية وفق ما يتناسب وطاقاته وقدراته وذلك بتنمية هذه القدرات وتطويرها بعد الملاحظة والعناية من قبل المربي.ويعني ذلك أن يضع كل فرد وفق تخصصه المناسب حتى يتمكن من العطاء بشكل لا يعيق العملية التربوية الممهدة، بل يسهم في تطويرها وخدمة أهدافها.

الفصل الرابع: المناهج التربوية و التعليمية الممهدة

الفرق بين التربية والتعليم

البعض يرى أن التربية مرادفة للتعليم. وآخرون يرون غير ذلك بمعنى أن التربية غير التعليم. مع أنهما كلمتان بينهما ترابط وتداخل تام. وهناك فرق واضح بين عملية التربية من جهة والتعليم من جهة أخرى، فالتعليم يمثل جزءا من التربية، والتربية تشمل التعليم. والعكس غير صحيح.فالتربية هي عملية تنمية متكاملة لكافة قوى وملكات الفرد، بمختلف الأساليب والطرق، ليكون سعيدا وعضوا صالحا في مجتمعه، وهي تشمل جميع جوانب شخصيته الروحية والعقلية والخلقية والاجتماعية والوجدانية والجمالية والبدنية..

أما التعليم فيعني إيصال المادة العلمية إلى أذهان التلاميذ، وليس شرطا أن يتفاعل معها ويتمثلها في سلوكه كما تهدف إليه التربية فهو جزء من العملية التربوية الكاملة هدفها تنمية عقل الفرد وتمكينه من اكتساب المعرفة والمهارات اللازمة لحياته.

وهدف التربية يتجه إلى تنمية وصقل جميع جوانب الشخصية الإنسانية بما يكوّن في المجتمع أعضاء صالحين قادرين على مساعدة وإسعاد أسرهم وأقاربهم وإعانة بقية أفراد مجتمعهم حريصين على القيام بواجباتهم الإنسانية تجاه غيرهم. والتربية تعد الفرد للحياة منذ المهد إلى اللحد ولكن التعليم يعد الفرد إلى الوظيفة والمهنة التي سوف يمارسها مستقبلا وقد يتوقف عند هذا الحد, والتربية غاية في حد ذاتها فهي توصل الفرد إلى أرقى درجات الكمال بينما التعليم يعتبر وسيلة من وسائل التربية.

عند أدراكنا الفرق بين التربية والتعليم فإنه يلزمنا إعداد المربي القدير الذي يزرع القيم والصفات الحميدة في أبنائنا لا أن نكون مهمته حشو المعلومات في ذهنه فقط.فعملية التعليم إذا زالت عنها السمة التربوية وأصبحت مجرد حشو وتكديس لمعلومات لا تفيد في تشكيل الشخصية أو تعديل اتجاهاتها بالشكل الإيجابي المرغوب منها, والحاجة الماسة تظهر دائما للمربي الواعي الذي يمكنه القيام بعمليتي التربية والتعليم معا, وذلك يأتي باقتران أقواله بأفعاله, فيساعد على تكوين الشخصية السوية المتكاملة لا المعلم الذي يقتصر دوره على تلقين الدروس والمعارف. وهذا ما يميز التربية الممهدة فهي تنتهج كلا العمليتين في تربية الفرد والمجتمع وهي تستقي مناهجها من منابع أصيلة تؤثر في دفع العملية التربوية نحو تحقيق أهدافها و يتميز المنهج التربوي الممهد أنه مستمد من منهج أهل البيت(ع) وهو متداخل مع بقية المناهج التي تكوّن مجتمعة منهج الإسلام الشامل والكامل للكون والحياة والمجتمع و الانسان, فلا فصل بين المنهج التربوي وبقية المناهج ولا تصادم ولا تضاد ولا تناقض, لأن الهدف الأساسي لأهل البيت(ع) هو انجاح مسيرة التربية وإشاعة الاخلاق الفاضلة وتقريرها في واقع الحياة, ويتميز هذا المنهج بعدة أمور منها:

ربانية المنهج التربوي

جميع ما يصدر عن أهل البيت(ع) هو صادر عن رسول الله (ص) عن الله تعالى, فمنهجهم هو منهج الله تعالى وهو منهج رباني قال أمير المؤمنين(ع):"إن رسول الله أدبه الله وهو أدبني, وأنا أؤدب المؤمنين, وأورث الآداب المكرمين" وبالتالي يكون المنهج الموضوع من قبله تعالى كاملا لا نقص فيه فيستجيب له الانسان مطمئنا بأنه المنهج الأمثل في التربية.

شمولية المنهج التربوي

يمتاز المنهج التربوي الممهد بالشمول, فهو يراعي الانسان في جميع مقوماته, وينظر إليه من جميع جوانبه, وهو موضوع للانسان ككل فلا انفصال بين حاجات الجسد وحاجات الروح, فهو يدعو إلى إشباع حاجات الانسان لكي يتقبل ما يلقى إليه من قواعد وأسس تربوية وتوجيهية وإرشادية.

واقعية المنهج التربوي

راعى المنهج التربوي لأهل البيت(ع) واقع الانسان ناظراً إلى جميع جوانبه داعياً إلى اشباعها بتوازن بحيث لا يطغى جانب على جانب، ولا ناحية على ناحية، وقد وضع لكل جانب مقوماته وحدوده الواقعية فلا تقييد مطبق ولا اطلاق العنان دون تناهٍ. وهو منهج تتقبله العقول والنفوس بلا حرج ولا مشقة، وهي سهلة التطبيق لمن استعدّ لها وتهيأت له الأرضية المناسبة عن طريق الوراثة والمحيط الاجتماعي في جميع مراحله.

التوازن والاعتدال

يمتاز المنهج التربوي عند أهل البيت(ع) بالتوازن والاعتدال في جميع جوانبه المرتبطة بالإنسان، فيضع لكل شيء حدوده وقيوده، فلا يطغى جانب على آخر ولا ناحية على أخرى، فهو يراعي حاجات الجسد وحاجات الروح في آن واحد، ويراعي حاجات الإنسان بشطريه: الذكر والأنثى، ويراعي حاجات الفرد والمجتمع فلا تطغى حاجة على أخرى ولا جانب على آخر ولاحف على آخر.

الفصل الخامس: أسلوب ونمط الحياة و التربية الممهدة

نمط الحياة

إن نمط الحياة الاجتماعية له تأثير كبير على مسيرة التربية الممهدة، وذلك بملاحظة تأثير هذا النمط في سلوك الأفراد والجماعات حيث يتأثر كل فرد بسلوك فرد آخر وكل منهما يؤثر على سلوكيات المجتمع، والبيئة والوراثة من أهم العوامل التي تؤثر على السلوك، هذا إن كان الفرد والمجتمع يسير وفق منهج التربية الممهدة أما إذا انتهج منهجا مختلفا فإن السلوكيات السائدة ستعرقل سيرها وبالتالي يزيد من الصعوبات في تحقيق أهدافها.

_ السلوك:هو النشاط الإنساني الذي يصدر عن الانسان من قول أو فعل أو عمل سواء كان إراديا أو غير إرادي، وظاهرا وباطنا.

_ أما السلوك في القرآن الكريم فيعبر عنه بمصطلح العمل، فالعمل الصالح يقابل السلوك المرغوب فيه قال تعالى:"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة"(النحل 79)، والعمل غير الصالح يقابل السلوك غير المرغوب فيه قال تعالى:"من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها"(غافر 4).

والسلوك الواعي التربوي يستمد توجيهاته من أئمة اهل البيت ع الذين استنبطوا أساليبهم الإرشادية في تعديل السلوك الإنساني وإصلاحه من القرآن ومن النهج المحمدي واعتمدوا في كل حركة وسكنة لهم على هذا النبع الصافي الذي لا ينضب قال الإمام موسى بن جعفر(ع)(كل شي نقوله في كتاب الله وسنته).

فالإمام(ع)لا يتقيد بأسلوب معين كما تقيدت به النظريات وأصبحت ضيقة المنظور لأنها تنظر إلى الإنسان من جانب واحدة عدته مهما في الشخصية وأسست عليها

نظرياتها كنظرية التحليل النفسي التي اهتمت بالدوافع الجنسية واعتبرتها حلا لكل المشاكل او النظرية السلوكية التي اعتبرت المثير والاستجابة وضبطها حلا لكل المشاكل ثم جاءت نظرية التعلم الاجتماعي التي اعتمدت التعلم من خلال الانموذج التعليمي فقط لاغير وآخرون اعطوا للافكار اهمية في تغيير السلوك (النظرية المعرفية).

أما الامام(ع) استعمل كل الأساليب الحديثة وأعطى لكل مشكلة أسلوبا خاصا بها مهتما بالفروق الفردية للأفراد فهو ينظر للإنسان على انه وحدة متكاملة)اذا اشتكى منه عضوا تداع له سائر الجسد بالسهر والحمى) من هنا جاء تعدد الأساليب الارشادية في تعديل السلوك الانساني لدى الامام(ع) وهو ما غفل عنه الغرب حينما أسس نظرياته في تعديل السلوك الإنساني.

ومن السلوكيات المؤثرة على نمط الحياة الاجتماعية

_ السلوك الفردي: وهو سلوك يقوم به الفرد, وفد وجه السلوك خلال منهج آل البيت إلى مايوافق الفطرة الإنسانية وإشباعها, بتعميق ارتباط الفرد بخالقه عباديا فالإيمان بالله تعالى وبمبدأ المعاد والثواب والعقاب والرضا بقضائه له تأثير إيجابي في توجيه سلوك الفرد نحو الصلاح والاستقامة, ومن جهة أخرى توجيه السلوك الفردي نحو التكامل الذاتي لروح الإنسان من خلال تربية النفس وتزكيتها ووضع لها النظم والآداب والسلوكيات التي رسمها الشارع المقدس.

وسلوك الفرد ناتج لأفكاره التي اكتسبها في العملية التربوية لأن الفرد يفكر وفق هذه التربية وأهدافها, وتتحدد دوافعه ورغباته من خلالها فهو ينظر للمستقبل المشرق بنور الله في أرضه كهدف يسعى للوصول إلى حقيقته من خلال تفاعله مع أفراد مجتمعه في تنظيم العمل التربوي الممهد والتزامه بأداء واجباته الاجتماعية واندفاعه لتغيير ذاته ورغبته في تغيير واقعه الذي ساده الفساد والانحراف.

_ السلوك الاجتماعي:وهو سلوك تقوم به جماعة إما في وقت واحد أو في أوقات مختلفة. وهو ناتج عن الضغط الاجتماعي نتيجة الظروف التي يعيشها المجتمع في ظل الغيبة من ظلم واضطهاد وعدوان, وضياع للحقوق, فيقف أفراد هذا المجتمع على المشكلة القائمة والتي أساسها غياب الحجة(ع) فينفقون على الحل الأنسب والأمثل لها وهو إزالة جميع العوائق وتهيئة الأرضية للظهور.

وينشأ هذا السلوك بسبب العوامل المترسبة من الظلم والتضييق الذي يعيشه المنتظرون في زمن الغيبة, وكل ما يحتاجه المجتمع في ظل هذه الظروف هو قيادة محركة توجه الأفراد, وهذا ما يجعل السلوك الجماعي أقوى وأكثر حظا في إصابة الهدف, يتميز هذا السلوك وفق منهج التربية الممهدة باكتسابه لطابع الخشية من الله و الامتثال لأوامره, والتقوى.

المؤسسات الثقافية:

بعد تشخيص المناهج التعليمية في التربية الإسلامية، أصبح من مهام المربيين في التربية الممهدة إنشاء مؤسسات ثقافية تحوي هذه المناهج من أجل تطبيقها، خاصة أن هذه المناهج لا يمكن أن تستوعبها المؤسسات العامة مهما كانت كفؤ، عدا أن فرصة استفادة المربين في التربية الممهدة من هذه المؤسسات هي فرص محدودة.لذلك كان الاهتمام بتأسيس هذه المؤسسات ومنها ماهو اجتماعي، أو علمي، أو ديني.

المؤسسات الاجتماعية

الأسرة: التربية الإسلامية تولي اهتماماً كبيراً بتكوين الأسر وبنائها في المجتمع، وحيث إنها تريد من الأسرة المسلمة أن تكون مؤسسة تربوية إسلامية، وليس مجرد مؤسسة تربوية لا تقيم أهمية لما سيكون عليه أبناؤها وأفرادها، جعلت التربية الإسلامية من وظائفها تربية أفراد المجتمع المسلم الكبار والمسؤولين عن تكوين الأسر على معرفة المبادئ والمعايير والأحكام التي ينبغي أن تراعى في تكوين الأسرة، لتكون أولاً أسرة مسلمة، ولتكون بالتالي مؤسسة تربوية إسلامية، صالحة لتربية الجيل المسلم من الأطفال والناشئين، وذلك بتعريف مؤسسي الأسرة المسلمة الوالدين بوظائفهما، وواجباتهما التربوية تجاه أولادهم، والناشئين تحت رعايتهم.

المؤسسات العلمية

الحوزات العلمية: لقد تم وضع نظام قوي ومتين لهذه المؤسسات من أجل تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والتربوية والروحية، فضلا عن مساهمتها في المجالات الأخرى الاجتماعية والسياسية والتنظيمية.وكان من أهم أهدافها تخريج المجتهدين والمحققين في الأصول والفقه والعلوم الإسلامية، مضافا لتخريج المبلغين من علماء، والمحافظة على التراث الإسلامي، ومواجهة التيارات الفكرية المنحرفة.. وقد تميزت الحوزات العلمية باتباعها لمنهج تصعيد روح الشعور بالمسؤولية الشرعية، والدرجة العالية من التقوى والزهد والتربية الروحية والنفسية.ومن أمثلتها:الحوزة العلمية في قم وفي النجف الأشرف، والحوزة المهدوية النسائية للعلوم الإسلامية بالحجاز.

دور الحوزة المهدوية في التربية الممهدة

تأسست هذه الحوزة المباركة منذ عام **2005** م بالحجاز، ولها سبعة فروع في مختلف مناطق المملكة وتعنى بالمرأة العاملة والناشطة الاجتماعية وحافظات القرآن وكل امرأة لا تتوفر لها ظروف التعلم الحوزوي، و ترفع شعار "علم وعمل تمهيدا للظهور" والذي يخدم هدفها الأساس وهو تنشئة شريحة اجتماعية واعية

بالقضية المهدوية من خلال النساء وتربيتهن على التربية الإيمانية وفق منهج أهل البيت(ع). و تتميز هذه الحوزة بعدة مميزات:

_ تجمع بين منهج العلم والأخلاق التطبيقي، فتضع شروط وقيود للطالبة عند التحاقها بالحوزة. ومن شروط الالتحاق:

حشمة اللبس _ الحجاب الكامل _ الالتزام بالعفة السلوكية في جميع المواطن _ عدم صدور المحرمات

الهدف: معالجة التعري المتفسخ في المجتمع، نشر ثقافة الحشمة بين النساء، تربية جيل نسائي عفيف في المظهر و السلوك.

_ تحتوي شهادة على بند لدرجة الأخلاق العملي وهو السلوك الذي تظهر فيه الطالبة في الحوزة خلال دراستها حيث يتم محاسبتها على التصرفات المخلة بطالب العلم و تربيها على التحلي بآداب المتعلم الواردة عن أهل البيت.

_ تكثيف للدروس الأخلاقية التي تربي على تمهيد الظهور و تطرحها السيدة العالمة الفاضلة أم مهدي الموسوي رئيسة الحوزة لتهذيب الطالبة أخلاقيا وروحيا.

_ تركز على الثقافة المهدوية في مناهجها و تطرح الكتب المهدوية المهمة في تربية الطالبة على الفكر المهدوي فتعيشه روحا و فكرا و وجدانا بالإضافة إلى التشجيع على المشاركة في المناسبات و المؤتمرات التي تتعلق بالفكر المهدوي.

_ تقيم مجالس معنوية مثل دعاء كميل و دعاء الندبة و التوسل ومناجاة بالإمام المهدي بشكل مستمر لتقوية الجانب المعنوي بالحركة المهدوية بعيدا عن الجفاف العلمي البحت.

وأهم ما يميز هذه الحوزة ونجاحها تأسيسها على يد سماحة السيدة العالمة الفاضلة أم مهدي الموسوي التي تعتبر أقدم شخصية نسائية فاعلة في المجتمع الحجازي و أول شخصية نسائية روجت للعلوم الحوزوية و أشهر شخصية جذبت و لا تزال عشرات الألوف من الحضور في مجالسها و تعتبر أكثر مبلغة ذات تأثير قوي في نفوس الناس من جميع الأعمار. وهذه الحوزة ترجمة لشخصيتها الفذة وحكمة إدارتها وعلو تطلعاتها حتى ترك الأثر الكبير في كل من اطلع على انجازات هذه الحوزة.

المؤسسات الدينية

المجالس الحسينية والمساجد: يستخدم المربون في التربية الممهدة هذه المؤسسة انسجاما مع الطرح الإسلامي لدور المسجد الذي يربط الثقافة العامة بالالتزامات الدينية، وينطلق فيها من العقيدة والإيمان بالله تعالى.

وتحولت الحسينيات إلى مؤسسات ثقافية أخرى إلى جانب المسجد استخدمها المربون لنشر الثقافة الإسلامية، وتعتبر منطلقا للشعائر الحسينية التي أختص بها أتباع أهل البيت(ع)، وهي أحد الخطوط الهامة التي اعتمدها الأئمة(ع) في تربية الجماعة الصالحة وقد وضع الأئمة(ع) التصميم العام لهذه الشعائر، وأعطوها أبعادها الدينية الكاملة، وحددوا الشكل والمضمون الذي يتناسب مع الدور المهم الذي لابد أن

تؤديه، بحيث تنسجم من ناحية الشكل مع ظروف المأساة، ومن ناحية المضمون مع الأبعاد السياسية والروحية والثقافية والعقائدية.

الفصل السابع: التحديات، العقبات، الأضرار في التربية الممهدة

ماهي التحديات التي تواجه التربية الممهدة؟

هناك نوعين من التحديات تواجه الساحة التربوية:خارجي وداخلي، فالتحديات الخارجية متعددة ولعل أكبر تحد يواجه التربية الممهدة هو الحملة العدائية المنظمة من معسكر الكفر التي تستهدف قيم الأمة الأخلاقية ومبادئها التشريعية، من خلال تسلط الإعلام الغربي الذي يهدف إلى ضرب القيم الدينية وتضليل أفكار الأجيال الجديدة وحرفها عن انتمائها الديني والعقائدي.

ومن التحديات الداخلية مواجهة الاقتباس من الفكر التربوي الغربي في أغلب المناهج التعليمية في مختلف المؤسسات التعليمية والتربوية خصوصا في الجامعات والكليات، إضافة إلى التطور العلمي العالمي في المناهج الدراسية الأمر الذي يستلزم تغيير هذه المناهج وفق ما يتناسب مع التطور العلمي الجديد، بحيث يكون المربي مطلعا وملما بكل ما يسهم في إنجاح الحركة التربوية. كما أن استمرار العمل التربوي الممهد يعتبر تحديا على مستوى الساحة حيث يواجه الكثير من التضييق الفكري والمادي والسياسي.

العقبات التي تعترض التربية الممهدة:

1. التشكيك بأهمية العمل التربوي الممهد والتقليل من شأنه، من خلال النظرة السلبية للانتظار.
2. التضييق على الممهدين في الساحة الإسلامية، وإحباط العمل الممهد.
3. مواجهة الأفكار المنحرفة ومنها التشكيك بالمهدي(ع) وادعاء المهدوية.
4. ضعف الوسائل المستخدمة في العمل التربوي، وعدم توفر الإمكانات اللازمة.
5. ضعف التلقي لدى الفرد والمجتمع، واختلاف البيئة التربوية من مكان إلى آخر ومن فرد إلى آخر ومن قوم إلى آخرين.

الأضرار التي تلحق بالعملية التربوية الممهدة

مع التضييق الذي قد يواجه المربيين في الساحة، وضعف الوسائل المتاحة أمامه يصبح العمل التربوي أكثر صعوبة ومشقة مما يعطل العملية التربوية ويحد من الفائدة منها، ويضيع الجهود الفردية للمربين.

كذلك الفرد إذا لم يتلقى التربية الإيمانية التي تضمن صلاحه الديني والدنيوي فإن هذا الفرد سينسلخ عن قيمه الإسلامية وينغمس في ملذاته الدنيوية مما يؤثر على انتشار الفساد وشيوع الرذيلة في المجتمع. ومن الأضرار أيضا فقدان الأمل بالظهور خصوصا مع ما تواجهه القضية المهدوية من انحرافات فكرية وإدعاءات بالمهدوية

تضلل شريحة واسعة من الأمة لا تمتلك الوعي الثقافي المهدوي الذي يحصنها ضد هذه الانحرافات، وهذا يفقد البعض الدافع والمحرك نحو العمل والسعي للتمهيد.

الخاتمة

اختلفت آراء العلماء حول مفهوم التربية وتميزت التربية الإسلامية بشمولية المنهج وتوازنه لإستمداده الشرعية من منهج أهل البيت(ع) وتوفر القادة في الساحة التربوية التي ترسم الخطط وتضع الأهداف وتوجه الفرد والمجتمع نحو تحقيق الهدف الأساس بتهيئة جميع العوامل اللازمة للظهور المقدس.

المصادر

1. دور أهل البيت(ع) في بناء الجماعة الصالحة، تأليف السيد محمد باقر الحكيم
2. الفكر التربوي عند الإمام الصادق، لضياء جواد الموسوي
3. التربية الإسلامية وتحديات العصر، تأليف عبد الرحمن بن عبد الله الفاضل
4. المنهج التربوي لأهل البيت عليهم السلام، للعذاري
5. من مفاهيم القرآن في السلوك الفردي والاجتماعي، تأليف السيد عدنان الدرازي
6. خليفة الله الإنسان الكامل، تأليف الشهيد مطهري
7. بعض المواقع على الإنترنت

ولاية الفقيه والأبعاد الكونية للتحقق المهدوي
دراسة فلسفية سياسية

الدكتور محمد عبداللاوي[1]

منذ قيام الثورة الاسلامية و الغرب يقف موقفا شرسا من إيران لأنه يدرك أن النظام السياسي الإسلامي يمارس سياسة الآفاق, أي سياسة التمهيد و المشروع و ليس سياسة التسيير اليوم لليوم, فالتمهيد تهديد, أي هو النقيض العقائدي و الوجودي و الأخلاقي و التاريخي للممارسة الغربية للسياسة.

1-المسؤولية الكونية بقيادة ولاية الفقيه

إن موقع الأمة و القيادة في التاريخ هو عصر بأكمله, هو عصر الغيبة. هذا الموقع يتضمن وجود قيادة لها خصوصيتها: هي "نيابة". و يتضمن على الصعيد الشعبي وجود و عي عقائدي وتاريخي تفعله الرؤية رؤية مستقبلية عقائدية. هذه الظاهرة أو الحالة تقتضي مسؤولية على صعيد عصر و تقتضي, تبعا لذلك, فعلا على صعيد عصر بأكمله. هذا هو حجم القيادة و حجم المسؤولية و حجم التمهيد. إن التمهيد جعل الواقع الإيراني منذ قيام الثورة الاسلامية وضعا رساليا استبطن فيه الشعب الإيراني مسؤوليته على مصير إيران ومصير الأمة الاسلامية, عن اقتناع عقائدي باطني.

فباسم أي مبدأ يضحي الشعب الإيراني اليوم من أجل الآخرين ومن أجل الأجيال المقبلة, من أجل البشرية كلها؟ كل فلسفات التاريخ و فلسفات التقدم عجزت عن الإجابة على هذا السؤال: باسم أي مبدأ يضحي هذا الجيل من أجل الأجيال المقبلة. خاصة إذا كانت نتائج هذه التضحية غير مضمونة. في حين أن الأمر ليس كذلك عندما نكون في سياق التمهيد. فهنا مرجعية الإلزام والإلتزام ضرورية وكافية والنتائج مضمونة عقائديا في الدنيا والآخرة. ومن هنا إلزامية التمهيد وإلزامية المسؤولية.

نموذجية مسؤولية الشعب الإيراني اليوم أمام التهديد الغربي كتهديد وجودي

1. قسم الفلسفة- جامعة وهران الجزائر

يسعى إلى تفتيت هوية الأمة الإسلامية. فالمسؤولية هنا هي مسؤولية عن عصر هو عصر الغيبة، أي مسؤولية عن مستقبل البشرية، ولا يمكن فهم حقيقة هذه المسؤولية عن طريق فلسفات الأخلاق القائمة على نسبية القيم، و ذلك رغم كل المحاولات الأخيرة، التي تميز بها المفكر **Hans Jonas** خاصة في كتابه: "مبدأ المسؤولية"[1] و كتابه: "من أجل أخلاقية للمستقبل"[2]. فسؤال إلزامية القيم التي يضحي على أساسها الجيل الراهن من أجل الأجيال المقبلة هو سؤال يبقى مطروحا و بدون إجابة كافية، والشعب الإيراني هو الذي يجيب اليوم بقيادة ولاية الفقيه، يجيب عن طريق التمهيد وما يحيط به من تحديات: حروب وكل انواع الحصار ومؤامرات.

إجابة الشعب الإيراني عن طريق التمهيد هي إجابة تجسد المسؤولية الكونية التي استوعبها الشعب الإيراني بصورة كربلائية بفضل مرجعية القيم كمرجعية ضرورية وكافية، أي تكفي نفسها بنفسها.

ومعنى هذا أن الفكر الاجتهادي الذي يقود عملية التمهيد لم يتجاوز فكر عصر الانحطاط فحسب، ولم يتجاوز الاتجاه الاخباري فحسب، بل تجاوز الفلسفة من أفلاطون وأرسطو إلى الغزالي وابن رشد إلى هيجل وما بعد هيجل. فالفلسفة الغربية انهارت بعد سقوط المطلقات. الفلسفة في الغرب اصبح دورها لا يتجاوز حدود أزمتها وأزمة ما بعد الحداثة على العموم، فالفكر الفلسفي الغربي تحول إلى فكر اجترارى، أي اصبح مسجونا في دائرة الموت و النهايات: موت الإيديلوجيا وموت السياسة وموت الطوباوية و موت الثورة ونهاية التاريخ، اي اصبح الفكر الفلسفي الغربي فكرا يشرح الأزمة كواقع لا يمكن مجاوزته.

والأمر ليس كذلك في الحقل النظري الاسلامي الذي تجسده إيران اليوم حيث تحولت الفلسفة إلى فلسفة التمهيد بقيادة ولاية الفقيه. اي قيادة فكر نو مرجعية لا تنفذ: إلاهية القرآن الكريم و عصمة النبوّة والإمامة.

فالبشرية اليوم أمام نوعين من الفكر: الفكر الغربي بقيادة فلسفة هيجل بصورة أو بأخرى و الفكر الاجتهادي بقيادة ولاية الفقيه. فلا بديل اليوم بين فلسفة هيجل المؤسسة والمبررة للتحديث ولعداء الغرب السياسي تجاه الأمة الإسلامية و بوجه أخص تجاه إيران، و الفكر الاجتهادي المؤسس للتمهيد أي لتحرير المسلمين و البشرية كلها من أزمة الفكر الغربي ثقافيا و أخلاقيا و سياسيا.

إن المسؤولية الملازمة للنظام السياسي في إيران ليست مسؤولية قائمة على القفز في المجهول أو على الرعب من المستقبل بعد انهيار فلسفات التقدم: المسؤولية قائمة على التمهيد أي على علاقة ثقة بالمستقبل لأن المستقبل هنا مجرد تخمين فلسفي أو خيالا و طوباوية، بل هو مستقبل موعود عقائديا، ومن هنا خصوصية المسؤولية، فالمسؤولية الملازمة للتمهيد ليست على غرار المسؤولية

1. HANS JONAS: PRINCIPE RESPONSABILITE EDIT.CERF, PARIS 1990
2. HANS JANAS: Pour une éthique du futur

في فلسفات التقدم, ليست قائمة على عقلانية مضطربة و مهزومة يحيط بها العبث وتحاصرها عدمية النسبية بسبب غياب المرجعية الحقيقية. فالمسؤولية الملازمة للتمهيد و المسؤولية التي يجسدها التمهيد هي مسؤولية تقوم على عقلانية صارمة و تطلع روحي عميق: تقوم على معنى الوجود ومعنى الانسان في الوجود ومعنى التاريخ.

إن ولاية الفقيه توعي الشعوب الإسلامية بمسؤولينها أي بوجوب تغيير وضعينها انطلاقا من مرجعية عقائدية تكفي نفسها بنفسها. اي مرجعية ضرورية وكافية. لكن هذه المسؤولية ليست مسؤولية عن حاضر فحسب بل هي مسؤولية عن المستقبل لأن فعل المسؤولية تمهيد وليس مجرد تغيير للوصول إلى مرحلة أو مستوى من التقدم فحسب, فالتمهيد هو تمهيد لهدف معروف مسبقا بصورة عقائدية, و من هنا يمكن القول بأن ولاية الفقيه تقدم اليوم الأساس و المرجعية الأخلاقية المستقبل ليس بمعنى الأخلاق في المستقبل, أو الأخلاق كما نتصورها بالنسبة للأجيال المقبلة بل تقدم ولاية الفقيه الأساس و المرجعية لأخلاق تهتم بالمستقبل و تولي الأهمية لفعل ومسؤولية الجيل الراهن من أجل الأجيال المقبلة, فالتمهيد يستقطب كل معاني وأبعاد المسؤولية لأنه اهتمام بالحاضر و بالمستقبل و مسؤولية على الحاضر و على المستقبل لأن الظهور هو ظاهرة مستقبلية حتى و لو كانت إ مكانية تحققه في الحاضر حاضرة. فالتمهيد نو مخزون مستقبلي منقطع النظير, و المسؤولية في إيران اليوم قيادة وشعبا هي مسؤولية في مستوى هذا المستقبل و في حجمه: هي مسؤولية على كل مستقبل البشرية.[1]

لا وجود اليوم لشعب يمتلك هذه الطاقة الأخلاقية وهذا الدور الكوني مثل الشعوب الإسلامية التي يجسد إيران حقيقتها, ولا وجود لشعب يتحمل مسؤولية كتلك التي يتحملها الشعب الإيراني ولا وجود اليوم لقيادة كونية و ذات مسؤولية كونية ودور كوني مثل ولاية الفقيه.[2]

كل الشعوب و كل الأنظمة السياسية تهيئ للمستقبل وتمهد لهدف أو لمشروع. مثلا: الاشتراكية الماركسية خاصة تمهد للمجتمع اللاطبقي, فقبل سقوط جدار برلين وقبل أزمة الديمقراطية الليبرالية الأمريكية كان الغرب يهتم بالمستقبل و يمهد لهدف. ولكن اليوم انهارت فلسفات التاريخ, بل حتى الطوباوية ماتت و زالت فزال التطلع نحو الآفاق وماتت الثورة و تحول التطلع نحو المستقبل إلى رعب من المستقبل, والأمة الإسلامية هي الوحيدة اليوم التي تمتلك طاقة التطلع إلى المستقبل والآفاق و تمهد من خلال إيران للمستقبل كمشروع عقائدي و ليس بمجرد الإعتماد على تسلسل الأسباب والنتائج فحسب, بل من خلال تطلع عقائدي مثالي

1. محمد الشوكي: غيبة الإمام المهدي (عج) وظهوره بين الغيب المطلق والشروط الموضوعية.الموعود تصدرا عن مؤسسة المستقبل –شعبان 1432-قم.
2. السيد محمد باقر الصدر-لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران. مطبعة-الخيام-قم1399ص-16-18

ووافعي في نفس الوقت يتجاوز العلاقة السببية بين الحوادث دون نفيها ليتطلع إلى الإمداد الغيبي.

الشعب الإيراني اليوم ينتظر الظهور عن طريق الثورة والدولة بقيادة نائب الإمام الولي الفقيه، أي يمهد للظهور بصورة عقائدية تربط الفعل السياسي والتاريخي بآفاق الغيب، فهناك مسار وهناك قيادة تقود هذا المسار وهناك شعب مسؤول يلتزم بمتطلبات هذا المسار، فعلاقة الأمة بالمستقبل ليست متروكة لأي تأويل، بل هي علاقة يقودها فكر اجتهادي أي فكر يعتمد على تجربة ذات ثوابت عقائدية وليست تجربة تدفع بها حركة التاريخ نحو المجهول.

لقد أبعد الدين عن الحياة السياسية ابتداء من عصر الأنوار وتم نقد اللاهوتية والميتافيزيقا باسم العقل الوضعي، لكن في إيران هناك نموذج للعلاقة بين السياسة والدين، و هناك إعادة الحياة إلى الميتافيزيقا على صعيد الفكر وعلى صعيد الممارسة وذلك بعد نفور الفكر الحديث من الميتافيزيقا باسم العلم وباسم فصل الإنسان عن سؤال المعنى. فالميتافيزيقا بمعنى التعالي، هي وحدها التي تبرز تطلع الانسان إلى ما يجب ان يكون.

فالمرجعية الضرورية و الكافية لإلزامية المسؤولية والممارسة يجب أن تكون متعالية. فكل أنواع المرجعية الأخرى كالمجتمع والتاريخ هي ضرورية ولكنها لا تكفي نفسها بنفسها. وهذا ما يميز الحياة الانتظارية في إيران اليوم فهي حالة فعل من موقع التطلع على أساس مرجعية تكفي نفسها بنفسها، فهي ليست مجرد ظاهرة أنتجها المجتمع أو أنتجها التاريخ بل هي التي توجه التاريخ.

لقد أجابت ولاية الفقيه على صعيد الفكر و على صعيد الممارسة على سؤالين مصيريين:

1-كيف يجب أن يكون الانتظار؟.

2-وما هي مرجعية ومصدر إلزامية القيم الملازمة للانتظار كتمهيد، أي كثورة ودولة؟

وهكذا فإن أرقى وأعمق شعور بالمسؤولية نجده اليوم وفي هذه المرحلة التاريخية عند الشعب الإيراني: فالمسؤولية هنا تتجاوز الحدود القومية والوطنية لأنها مسؤولية كونية تستمد قوة إلزامتها وكونيتها من مرجعية تكفي نفسها بنفسها: من العقيدة ذات المصدر الغيبي وليس من مجرد العوامل التاريخية ومن المطلقات المزيفة التي انهارت وسقطت في هذا العصر، فكل الأنظمة السياسية وهي كلها أنظمة ذات مشروع أوهدف مستقبلي، لا تبرر إلزامية المسؤولية على الآخر سواء كان مجتمعا في الحاضر أو جيلا في المستقبل، فالسؤال يبقى مطروحا أما م هذه الأنظمة السياسية: باسم أي مبدأ تتم التضحية من أجل الآخر؟ وهل هذا المبدأ ملزم؟ وهل مرجعيته تكفي نفسها بنفسها؟

فالنظام السياسي بقيادة ولاية الفقيه هو وحده اليوم الذي يجيب نظريا وعمليا على هذه الأسئلة: فالشعب الإيراني يمارس مسؤوليته على مستقبل الأمة

ومستقبل البشرية عن طريق التمهيد، بصورة تعبدية تتجاوز حتى الحدود الأخلاقية من حيث قوة الإلزام وقوة الإلتزام واستيعابهما واستبطانهما من طرف كل إيراني عن اقتناع داخلي لأنه اقتناع تعبدي، فالمسؤولية هنا ليست مجرد مطلب أخلاقي فحسب بل هي مطلب عقائدي:هي واجب شرعي يستمد منه الواجب الأخلاقي كل معانيه، فالمسؤولية في هذا السياق، عبادة، فالمستقبل الذي يمهد له الشعب الإيراني اليوم ليس مجرد رؤية مستقبلية تتطلبها القيم الأخلاقية فحسب، رغم حرمة القيم وقوة إلزامينها، أو هي رؤية مستقبلية تتطلبها الرؤية الفلسفيةإلى التاريخ، فالمستقبل وعد عقائدي أي هو وعد إلاهي، ومن هنا خصوصية الإلزام وخصوصية المسؤولية وخصوصية التمهيد.

فالتمهيد يقتضي التفاعل مع حركة التاريخ على مستوى العصر أي على مستوى الأماد البعيدة، هذه المسؤولية الكونية تقتضي بدورها "الصبر الاستيراتيجي". فكل المهدويات الدينية و الفلسفية انهارت لأنها مهدويات أصيبت بداء العجلة، المهدوية الاسلامية بقيادة ولاية الفقيه هي مهدوية يقودها فكر اجتهادي يربط الجزئي بالكلي في عملية التمهيد، و يربط الحاضر بالمستقبل. أي يربط الزمن التاريخي بالزمن المهدوي، فكر ولاية الفقيه كفكر اجتهادي و من موقع " النيابة" عن الامام المهدي (عج) ليس فكرا مكبلا بهيمنة روح العصر. أي هيمنة التاريخ بمعنى النزعة التاريخية، بل هو فكر ينم داخل العلاقة بين اطلاقية النص (القرآن الكريم و السنة الشريفة) و حركة التاريخ. ففكر ولاية الفقيه هو فكر يتميز بالوعي التاريخي العميق و الواسع الآفاق و الذي يؤسس للاستراتيجية و للصبر الاستيراتيجي في أفق مشروع كوني و ليس سجين ردود الفعل الضرفية و السقوط في فخ العجلة.

في هذا السياق من علاقة الفكر الاجتهادي بحاضر الأمة كأمة منفتحة على الآفاق تتجلى مسؤولية ولاية الفقيه و تجلياتها و أبعادها: زمان الدولة الايرانية الاسلامية اليوم هو زمان المسؤولية الكبرى، أي زمان سياسي مرتبط بالزمان المهدوي، لذلك فالدولة هي دولة التغيرات الكبرى التي تقوم على النقد الجذري للتاريخ بمعناه الهيجلي، أي التاريخ كما هو، وتقوم نتيجة لذلك، بنقد روح العصر و نقد الحداثة و ما بعد الحداثة، فالمسؤولية هنا ليست مسؤولية في حدود اصلاحات جزئية بل هي مسؤولية كونية[1] من حيث أن هدفها تغيير التاريخ من تاريخ كما هو أو تاريخ الواقع القائم الى تاريخ حقيقي. و السياسة التي يتمحور حولها التمهيد هي سياسة تتخذ موقعها في هذه الرؤية الى العصر و الى حركة التاريخ و الى الغرب.

2-التمهيد نقد لروح العصر (بالمعنى الهيجلي)

الفلسفة الغربية فشلت في ايجاد الحل الأخلاقي و الاقتصادي و السياسي و الثقافي للبشرية، ايران تمارس اليوم تجربة مجاوز ة هذا الفشل المأسوي انطلاقا من

1. نفس المصدر-ص18 وما بعدها.

نقد جذري لروح العصر بالمعنى الهيجلي. ولاية الفيه لم تزلزل فلسفة هيجل فحسب بل زلزلت كل المطلقات: زلزلت المثالية الألمانية و زلزلت فكر ما بعد هيجل[1]. و معنى هذا أن ولاية الفقيه لم تنقد من خلال الثورة و الدولة الحداثة وحدها بل نقدت و دحضت ما بعد الحداثة: فهي تدحض اليوم عن طريق التمهيد امتدادات فلسفة هيجل و ما بعد هيجل، خاصة في تجسداتها الأمريكية و الاسرائيلية، فالفكر الاجتهادي الملازم لولاية الفقيه هو الفكر الوحيد اليوم الذي يتمتع بالطاقة المفاهيمية و المعيارية التي تمكنه من النقد الجذري للدولة الهيجلية و للتاريخ الهيجلي و للسياسة الهيجلية و للثقافة الهيجلية و على العموم للفلسفة الهيجلية التي هيمنت على العالم من خلال الغطرسة الأمريكية. الفكر الاجتهادي هو الفكر الوحيد الذي طرح البديل على الصعيد النظري و على صعيد الممارسة. طرح البديل للتربية و للسياسة و للديمقراطية في صورها الغربية أي في صورتها الهيجلية.

فولاية الفقيه تقف عن طريق التمهيد في وجه التاريخ الواقعي تاريخ هيمنة القوة من أجل التأسيس للتاريخ الحقيقي الذي يقوم على أساس القيم الأخلاقية.

ان نقد روح العصر حقيقة عقائدية و فكرية و تاريخية و سياسية. ان زمان ايران بقيادة ولاية الفقيه ليس زمانا تاريخيا بالمعنى الهيجلي بل هو زمان الغيبة، أي زمان آخر في زمان العصر، فهو زمان داخل العصر و خارجه في نفس الوقت، لأن زمان ايران هو زمان الانتظار و التمهيد أي زمان المعيارية و التطلع و الثورة. فولاية الفقيه هي النقيض لروح العصر عصر أمريكا و اسرائيل، فهناك اطلاقية في التناقض الى درجة أن هناك تاريخين: تاريخ القوة من جهة و تاريخ القيم من جهة أخرى، هنا يتجلى الدور العقائدي و السياسي لولاية الفقيه التي تتخذ موقعها في هذه المرحلة من مراحل عصر الغيبة، مرحلة لها خصوصيتها: سقوط و زوال النمائج و ظهور البديل الاسلامي و تكالب الغرب و اسرائيل على هذا البديل الذي بدأ يتشكل في التجربة السياسية في ايران منذ الثورة الاسلامية، فحجم و دور ولاية الفقيه ملازمان لحقيقتها و موقعها في خط الامامة، لذلك تجابه ولاية الفقيه الواقع و ثقل الأحداث و التاريخ المهيمن، تجابه كل ذلك بالعقيدة و العقل المنفتح على الغيب و على التاريخ كما يجب أن يكون. هذه المجابهة هي التمهيد. فالتمهيد الذي يقتضي رفض التاريخ المهيمن على أساس نقد روح العصر. هذا التمهيد هو قوة الردع الكبرى بيد ولاية الفقيه. لذلك تحاصر ولاية الفقيه الغرب، تحاصره بالمعنى العقائدي للتاريخ و تجابه الواقع القاسي و المنحرف و المهيمن بالطاقة المعيارية و المفاهيمية و الروحية للفكر الاجتهادي، في حين تسعى الوهابية سعيا لاخراج الأمة الاسلامية من ثقافة ولاية الفقيه ثقافة ا لنقد و التحرر و الآفاق. غير أن مسار الأمة ليس متروكا للعوامل التاريخية وحدها و ليس متروكا لهيمنة القوة و الاستعمار و التبعية. فعصر الانتظار الذي يتخذ معنى التمهيد يتحول بصورة ثقافية و سياسية الى عصر الظهور

1. ورغم ذلك فإن الفكر الإسلامي مازال لم يتخذ الموقف النقدي الضروري تجاه فلسفة هيجل.

بمعنى من المعاني و يحفظ مسيرة الدولة (الجمهورية الاسلامية) و الأمة من الانحراف في متاهات التاريخ الواقعي و هيمنة روح العصر. ولاية الفقيه تدخل في العصر من خلال عصر الظهور و ليس من خلال متطلبات العصر بصورة كلية و مطلقة على غرار كل الأنظمة السياسية و كل الانساق الفكرية التي تتحرك ضمنها هذه الأنظمة السياسية.

ان ايران تواجه العالم الذي يجسده و يهيمن عليه الغرب ليس بالرفض الانفعالي. فالرفض لا يفجر ثورة كالثورة الإسلامية و لا يؤسس دولة كالجمهورية الإسلامية و لا يغير الشعوب كما تغير الشعب الايراني في هذه المدة القصيرة منذ الثورة الإسلامية (ثلاثون سنة) هذه المواجهة تقوم على فكر يتمنع بطاقة نقدية لا متبل لها في الفكر المعاصر الذي يتمحور حول فلسفة هيجل. هذا الفكر أحدث قطيعة في الفكر السياسي و الممارسة السياسة: القطيعة الضرورية لاعادة بناء الفكر السياسي و اعادة بناء الأمة الاسلامية. فولاية الفقيه كسرت الحاجز التاريخي و النفسي و الفكري الذي كان قائما في طريق كل محاولة التغيرات الكبرى. فالولي الفقيه يتمتع بالشجاعة الأدبية و بالوعي التاريخي العميق و بالعقلانية المنفتحة على الآفاق من خلال انفتاحها على الغيب و التي تمكنه من احداث التغيرات الكبرى و تمكنه من توجيه هذه التغيرات نحو المستقبل الموعود.

ان الولي الفقيه يدخل في التاريخ من خلال التاريخ. أي يدخل في التاريخ الواقعي بكل مفرداته و بكل ثقله و قساوته, يدخل في هذا التاريخ من خلال التاريخ الحقيقي الذي يتمحور حول معيارية القيم و ليس حول القوة, على أساس هذه الخلفية التي تستمد وجودها و حقيقتها من العقيدة الاسلامية و من خط أهل البيت (ع) يدخل الولي الفقيه في عالم الثقافة و السياسة: في عالم السياسة المحلية و الاقليمية و العالمية فيؤسس للثقافة ذات البعد الروحي كبديل لثقافة السوق و الاستهلاك, ويؤسس للسياسة المرتبطة بمعنى الوجود و حقيقة الانسان بدلا من السياسة بمعناها المبتذل.

لا يكمن للأنظمة السياسة في العالم أن تحدث تغيرات كبرى و تتجاوز الأزمة السياسية و الاقتصادية و الثقافية اذا بقيت هذه الأنظمة سجينة للزمان التاريخي الهيجلي. أي تمارس السياسة و تخطط على المدى المتوسط أو القريب أي في دائرة الحاضر و ليس في أفق المستقبل, فالمستقبل في الغرب تحول من المثالية و الطوباوية الى الرعب من المستقبل و أزمة المستقبل. فالأنظمة سياسية في الغرب سجينة للنزعة التاريخية التي أوصلها هيجل الى منتهاها. هي سجينة لمرجعية حولها هيجل إلى الآن.

و هكذا فولاية الفقيه لا ينتهي دورها عند حدود تفجير الثورة و تفعيل عواطف الشعب و تطلعه الى العدالة على غرار ما وقع في كل ثورات العالم الإسلامي حيث انتهى

دور الفقهاء و العلماء بانتهاء الثورة فأصبحت دولة ما بعد الثورة تسير في مسار

يتناقض مع الحقيقة الاسلامية للتورات في العالم الاسلامي.ان موقع العالم و العلماء في المجال السياسي هو موقع غير محدد في مدرسة السنة, أو هو متروك لتأويلا ت متعددة, لذلك أصبح هذا الموقع بيد السلطة الحاكمة الى درجة كبيرة, في حين أن ولاية الفقيه ليست مجرد اجتهاد و الولي الفقيه ليس مجرد فقيه مجتهد فحسب أو منقف نخبة, بل ولاية الفقيه "نيابة" عن الإمامة, و من هنا لا يمكن فهم حقيقة ولاية الفقيه و دورها في المجتمع الا بوضعها في سياق العلاقة بين عصر الغيبة و عصر الظهور.

فولاية الفقيه ليست محصورة في دائرة زمنية محدودة[1] ومغلقة أي ليس دورها محصورا في زمن قصير وضيق هو زمن الثورة أو زمن الفتاوى الجزئية الملازمة لفقه الفروع أو زمن التسيير اليوم لليوم.

إن ولاية الفقيه قيادة لعصر أي هي قيادة لمسافات بعيدة هذه الحقيقة هي التي تقتضي من ولاية الفقيه أن يكون دورها القيادي دورا مستمرا في مرحلة الثورة وفي مرحلة التأسيس لدولة الثورة ومرحلة الدولة والآفاق البعيدة: آفاق عصر. فولاية الفقيه لا يرتبط دورها بحملة انتخابية أو بحزب معين أو بعهدة رئاسية معينة, ومن هنا طاقتها المفاهيمية والمعيارية وموقعها في حركة التاريخ, فكل ذلك يمكنها من اتخاذ مسافة من الأحداث ومن المرحلة التاريخية ومن العصر بالمعنى الهيجلي أي من روح العصر, وكل ذلك يمكنها من تفعيل طاقات الشعوب وفتح هذه الطاقات على الآفاق البعيدة وليس على المدى القريب فحسب, وهذا عكس القيادة في الأنظمة السياسية الأخرى في العالم الإسلامي, فإنها تعطل طاقات الشعوب ولا تفتح هذه الطاقات على حركة التاريخ, أي لا تفتح طاقات الشعوب على الإنتظار وعلى التمهيد, فهذه القيادات أثبتت عجزها على ممارسة العمل السياسي المغير لأوضاع الأمة, فولاية الفقيه تواجه المتغيرات, وحركة التاريخ على العموم, ليس بمجرد التكيف مع الأوضاع والأحداث بل تحاول أن تضعها في سياق الأفق المستقبلي الموعود, فعلاقة ولاية الفقيه بالمتغيرات وبحركة التاريخ وبالتاريخ على العموم خاصة بمعناه الهيجلي هي علاقة "اجتهادية" تتجاوز التكيف لأنها: أولا: ليست ولاية الفقيه سجينة للزمان بمعنى روح العصر

ثانيا: لأن فكر ولاية الفقيه كفكر اجتهادي يتجاوز ثنائية العلاقة بين الذات والموضوع في المجال المعرفي, وهذا ما يجعله فكر المجاوزة والآفاق, أي فكر عصر وليس فكر مرحلة تاريخية قصيرة, فالولي الفقيه يمتلك قوة المبادرة ليقود نظاما سياسيا من موقع قيادة عصر بأكمله هو عصر الغيبة وخارج العصر كروح العصر أي كواقع قائم, فقيادة ولاية الفقيه ليست مجرد قيادة لحكومة أو لدولة على المدى القريب, لذلك فإن استراتيجية النظام السياسي في إيران ليست على غرار استراتيجيات الغرب, إنها استراتيجية عميقة وبعيدة الآفاق تستمد حقيقتها ودورها من مشروع منفتح على

1. السيد محمد باقر الصدر: أهل البيت (ع) (تنوع أدوار ووحدة هدف) دار الكتاب للمطبوعات-بيروت- بدون تاريخ- ص33-43

مستقبل موعود عقائديا وليس من مجرد تنظير فلسفي يعكس المرحلة التاريخية، فالنقد، نقد روح العصر يفتح المجال للتغيير لأنه نقد مسلح بالإنتظار أي بالتطلع العقائدي وليس نقدا قائما على تطلع طوباوي أو حتى على تطلع قائم على رؤية فلسفية إلى التاريخ على غرار الفلسفة الهيجلية وغيرها من فلسفات التاريخ، فعندما نتكلم عن ولاية الفقيه لا نتكلم في حدود مرحلة بل في دائرة أوسع هي الدائرة العقائدية والتاريخية والشعبية و البشرية، فالشعب الإيراني على غرار الولي الفقيه هو شعب يتميز بقوة الصمود والنقد والرفض ومجاوزة سلبيات العصر، فولاية الفقيه المفعلة لطاقات الشعب ليست مجرد قيادة كسائر القيادات الأخرى، وليست زعامة بل هي عمق تاريخي يكسر حواجز القوة والخوف ويؤسس للاستراتيجية والمشروع ومجاوزة الواقع القائم، فالعلاقة بين الولي الفقيه والشعب الإيراني كشعب يجسد حقيقة ودور الأمة الإسلامية اليوم، هي علاقة لا يمكن فهمها بدون هذا العمق التاريخي الذي تتفاعل فيه النبوة والإمامة وكربلاء تفاعلا يوجه التاريخ ولا يوجهه التاريخ، فالغرب بكل قوته وجبروته وحصاره وحروبه لم يستطع أن ينال من صمود الشعب الإيراني، بل على العكس لقد ازداد صمود هذا الشعب وتحديه لكل أنواع القوة التي استخدمها الغرب ضد إيران، إنها مجابهة زمن ولاية "النيابة" لزمن روح العصر الذي تجسده أمريكا.

3- التمهيد رؤية جديدة إلى السياسة

إن تركيبة النظام السياسي في إيران في مستوى التفاعل مع حجم المستقبل الموعود، وهذه حقيقة من الحقائق الأساسية لولاية الفقيه[1]، وللتمهيد الملازم لها، فالنظام السياسي في وضع مهدوي، فالمفاهيم والقيم الملازمة للمستقبل المهدوي هي المفاهيم والقيم التي يسعى النظام السياسي إلى ممارستها يوميا واستراتيجيا، فلا يمكن تصور دولة تقودها ولاية الفقيه يكون عملها السياسي مجرد تسيير للأوضاع.

فالجمهورية الإسلامية دولة التمهيد، أي دولة المسافات البعيدة، وهذا يقتضي حتما وجود استراتيجية نوعية تتفاعل مع عقائدية ومعيارية السياسة والدولة، وذلك كله في هذا العصر عصر موت السياسة وانسداد الأفق.

فإيران لا تؤسس لمجرد تغيير داخل العصر أو تؤسس لمجرد تغيير على صعيد الإنتقال من مرحلة إلى مرحلة، بل تؤسس إيران لتغير تاريخي كوني: لانقلاب تاريخي من عصر إلى عصر.

ومن هنا خصوصية الثقافة وخصوصية السياسة وخصوصية معنى السياسة ومعنى الدولة ومعنى التاريخ، في أفق خصوصية معنى الوجود، كما زال مفهوم اللاهوتية بمعناه السلبي من خلال الرؤية الجديدة إلى القيادة وإلى علاقة المجتمع

1. نفس المؤلف: لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران.ص14-16 و 28-29

بالقيادة وللرؤية الجديدة إلى السياسة وإلى العلاقات الدولية وكل ذلك في أفق رؤية جديدة إلى التاريخ وإلى المستقبل: رؤية أحدثت قطيعة جذرية مع فلسفات التاريخ الكبرى التي تتمحور حول الفلسفة الهيجلية وحول الفلسفة الماركسية.

إن التراكمات السلبية و المأساوية للسياسة في العالم الإسلامي منذ السقيفة وبوجه أخص منذ ظهور الملك على يد معاوية بن أبي سفيان، هذه التراكمات لا يمكن أن تتحرر منها الشعوب الإسلامية إلا بوضع السياسة في سياق تاريخي وفتحها على آفاق وعد الله بنصر المؤمنين وهذا يقتضي فكرا يقوم على وعي تاريخي عميق وهذا ما تقدمه ولاية الفقيه اليوم للأمة الإسلامية، فهي تقدم الفكر السياسي وطريقة القيادة في سياق حاضر الأمة المرتبط بمستقبل موعود عقائديا، فالسياسة تمهيد وليست مجرد سياسة سياسة محصورة في دائرة الحاضر المغلق.

إن الخلل المميت في المجال الفكري والسياسي خاصة لا يمكن معالجته اليوم لليوم وبصورة جزئية، ففتح الآفاق أمام الأمة يتحقق عن طريق وضع الأمة في موقعها العقائدي والسياسي والتاريخي أي النظر إلى الأمة كمجتمع مفتوح وفي تحقق مستمر والنظر إلى السياسة كتمهيد وليس كمجرد تسيير للوضع القائم، فحاضر الأمة ليس حاضرا مغلقا بل هو مجرد مرحلة في عملية تحقق الأمة، وهذا ما يقتضيه مفهوم ولاية الفقيه كاجتهاد وقيادة وتطلع، فهناك تلازم بين الأمة كأمة في تحقق مستمر وبين المهدوية كمستقبل يقتضي التمهيد وولاية الفقيه كمنظرة وقائدة للتمهيد.

إن الصراع اليوم هو صراع بين كونية قاتلة: قتلت الإنسان بعد "قتلها" لله، وكونية تقوم على قيم روحية وأخلاقية تسعى إلى جمع كل الشعوب في عولمة أكثر انسانية في عولمة يقودها فكر منفتح على ما يتجاوزه أي على الغيب وليس فكرا مرجعيته التاريخ ولا بعد أو مصدر آخر خارج التاريخ.

فالصراع اليوم هو صراع بين زمنين: الزمن الغربي الذي تجسده أمريكا واسرائيل عن طريق السياسة بمعناها المبتذل الذي لا يتجاوز الهيمنة واستغلال الشعوب، وزمن الأمة الإسلامية الذي تؤسس له إيران وتجسده بقيادة ولاية الفقيه.

إيران تقدم اليوم نموذجا للسياسة البعيدة عن التشنج الذي يهيمن على السياسة في الغرب ولدى السلفية بمعناها المبتذل والمنحرف.

فمن الناحية الأخلاقية ومن الناحية المنهجية في نفس الوقت يجب على الفكر المعاصر أن يقرأ السياسة والإستراتيجية في هذا الإطار: إطار الزمان التاريخي كمرجعية وحيدة للسياسة في الغرب والزمان التاريخي المرتبط بالزمان المهدوي كمرجعية للسياسة في النظام السياسي الإيراني اليوم.

إن الأفق الزماني لعمل ولاية الفقيه هو أفق واسع يستوعب ويحتوي كل قوة بوضعها في حجمها الحقيقي على الصعيد التاريخي أي في أفق الزمان التاريخي ولكنه زمن تاريخي منفتح على ما يتجاوزه، فحاضر القوة السياسية بمعناها المبتذل هو حاضر مهيمن، لكن على صعيد الأفق التاريخي المنفتح على ما يتجاوزه

كل قوة مهما كانت، فهي قوة قابلة للإختراق والتغيير والسقوط، وهذا ما تؤكده يوميا ممارسة النظام السياسي في إيران الذي يتميز بالرؤية الاستباقية التي تمكنه من احتواء الأحداث والتحديات التي لم تنقطع منذ تأسيس الجمهورية الإسلامية.

إن هذا العصر هو عصر أكبر أزمة للحضارة الإنسانية على كل الأصعدة الأخلاقية والسياسية والثقافية والإقتصادية ولا يمكن تحرير البشرية من هذه الأزمة القاتلة إلا برؤية مستقبلية صحيحة وملزمة أخلاقيا ومعرفيا[1]، ففلسفات التاريخ، بما تحتويه من رؤى مستقبلية تقوم على أساسها أنظمة سياسية، هي فلسفات قد فشلت و إنهارت ولم يبق في الميدان اليوم إلا نظام سياسي واحد هو النظام السياسي بقيادة ولاية الفقيه، هو النظام الوحيد الذي يمتلك الرؤية المستقبلية الواضحة و الدقيقة و الملزمة التي تؤسس لسياسة التغيرات الكبرى، فلا وجود في الغرب اليوم لرؤية مستقبلية تلازمها السياسة. فالسياسة تحولت إلى سياسة بالمعنى المتبدل التي لا تتجاوز حاضرا مغلقا لأنه لا وجود لمشروع للابتذال و اللاأخلاقية ووجودهما يتناقض مع أي مشروع يتمتع بالإنسانية و الكونية.

إن الرؤية المستقبلية ذات المصدر العقائدي فتحت المجال لتأسيس دولة التاريخ عن طريق ولاية الفقيه، فدولة النورة الإسلامية هي دولة التمهيد لذلك يحيط بها التاريخ من كل جانب، لكن ليس التاريخ إلا أنه كما يرى هيجل، بل التاريخ المنفتح على الغيب. أي أن التاريخ الذي يجسد السياسة كفعل تعبدي بفضل قيادة النبوّة و الإمامة و امتداداتهما الاجتهادية في ولاية الفقيه.

4- التمهيد تجديد و ليس تحديثا

وهكذا فعلاقة الشعوب بالزمان التاريخي لا تكفي لأحداث التقدم و التغيير، هذه العلاقة قد تؤدي إلى زمان مغلق و مسدود الأفق، بل قد تؤدي، وقد أدت بالفعل، إلى التنظير و الممارسة لنهاية التاريخ أي لزوال التاريخ كحركة و تغيير و ينبقى ليس تاريخا بل هو "مابعد التاريخ". أي زمانا ساكن يبرر الواقع القائم. إن هذه الحالة تعني زوال كل تطلع و كل حماس و كل التزام لتحقيق مشروع كوني ف لا يبقى إلا السلوك التكراري و التناقل و الملل، في هذا السياق تتخذ الدولة الهيجلية، دولة الحداثة و التحديث، موقعها الدولة التي تجسدها أمريكا اليوم، وفي سياق أخر السياق التوحيدي المتناقض مع الرؤية الغربية إلى الدولة و حركة التاريخ و التقدم تقود ولاية الفقيه تجربة تقوم على رؤية أخرى إلى الحركة و التغيير و التقدم، علاقة الدولة بالتاريخ هي علاقة ضرورية لأحداث التغيير و لكنها علاقة غير كافية. إن الأمة الإسلامية هي أمة مرتبطة بالماضي ليس كماضي زال و إنقضى بل كماضي يجسد التنزيل و يجسد النموذجية الكونية و الخاتمة من خلال النبوءة و الأمامة.

1. الشيخ توفيق حسن علوية: الإمام الخامنئي ورؤاه المستقبلية (نص الإمام الخامنئي حول فصل الدين عن السياسة) الوحدة بيروت 2010 ص 74 وما بعدها وكذلك ص 194 (حول الزعيم المستبد)

ومن جهة أخرى، إن الأمة الإسلامية تتطلع إلى المستقبل تطلعا عقائديا، إذا كان لا يتناقض مع التاريخ فإنه يتجاوز الزمان التاريخي فإنه يتجاوز التاريخ، زمان هذا التطلع إلى المستقبل يتجاوز الزمان التاريخي دون أن ينفيه نفيا بل يتفاعل معه و يفعله تفعيلا إجتهاديا و جهاديا. أي يحوله إلى ميدان للتمهيد و ليس للتحديث، وهذا بفضل وجود القيادة النوعية التي تقود علاقة الزمان التاريخي بزمان التطلع. أي بالزمان المهدوي. و هذا مايجري اليوم في إيران بقيادة ولاية الفقية، أي بقيادة الإمتداد النبوي و الأمامي " بصورة إجتهادية "، فالزمان التاريخي الذي يعيشه الشعب الإيراني هو زمان حاضر و مستقبل. هو زمان التمهيد و ليس التحديث لأن التحديث أنهى التاريخ أي أنهى المتالية و أصبح الغرب حالة تكرارية مغلقة هي ما بعد الحداثة أو ما بعد التاريخ، فالحاضر في سياق وأفق التمهيد هو دائما حاضر في وضع انتظاري، أي في وضع تطلع: هو حاضر ومستقبل. إذا كانت هذه الحالة تمثل تناقضا في منطق عقل الأنوار والحداثة، فإنها تجسد العلاقة العقائدية بالزمان وبالتاريخ وبالمستقبل، وهي علاقة ليست متروكة لأي تأويل لأنها تضبط وتؤطر وتفعل عن طريق قيادة نوعية ذات فكر نوعي وذات موقع نوعي في التاريخ: هذه القيادة هي ولاية الفقيه و الفكر الاجتهادي الملازم لها، فالزمان التاريخي هنا لايمكن تجميده في نظرية أو في فلسفة أو في شخص أو في دولة أو في شعب على غرار الزمان التاريخي في فلسفة التاريخ التي تقوم على أساسها الدولة في الغرب وتقوم على أساسها الحداثة وما بعد الحداثة.

فحاضر إيران الذي تقوده ولاية الفقيه هو حاضر التطلع المهدوي أي حاضر الانتظار كطموح عقائدي تاريخي وليس مجرد طموح تاريخي أنتجته الأحداث والعوامل التاريخية، فهنا الطاقة التغييرية للحداثة لا تصل إلى مستوى هذا الطموح المهدوي لأن هذا الطموح لايشبعه ولا يرضيه إلا تغيير كيفي وجذري يزلزل الرؤية الوضعية إلى التاريخ والسياسة والانسان. وهذا ما جعل العقل الغربي يعجز عن الفهم الحقيقي لما يجري في إيران منذ الثورة الإسلامية.

والحقيقة أن إيران تتغير لكن تغيرها لا يمكن وضعه في قوالب مفاهيم العلوم الإنسانية التي تسير على أساس مرجعية وخط الحداثة. هذا التغيير خارج عن الرؤية الفلسفية الغربية إلى التقدم كتقدم خطي. وهو في الحقيقة يشمل شعوب الغرب من دون الناس، التغيير الذي تسير في أفقه إيران خارج نمطية الرؤية الغربية كما تتجلى في فلسفات التاريخ الغربية. هذا التغيير تجديد وهو ممتد الآفاق، فالوجود بالنسبة لإيران كشعب وكنموذج للأمة الإسلامية اليوم هو ما سيأتي، وحاضر إيران هو حاضر التمهيد، أي التحقق. إيران في تحقق لأن إيران بقيادتها الكونية (ولاية الفقيه) هي أعلى غرار الأمة الإسلامية، في تحقق مستمر، فعدم الاكتمال أي تحقق التغيير ووصوله إلى منتهاه ودورته ليس نقص، بل هو حقيقة أو جزء من الحقيقة الوجودية الإيرانية لأن إيران تسير نحو تحقق مشروع كوني يتجاوز الحدود الوطنية والقومية والاقليمية، مع العلم بأن هذه الحركة نحو المشروع يتفاعل فيها المجتمع مع الدولة

تفاعلا عقائديا و سياسيا, و هذا عكس العلاقة بين الدولة و المجتمع في الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي, حيث أن هذه الأنظمة تقف في وجه تطلع شعوبها إلى التغيير و تحارب هذا التطلع بكل شراسة. و في أحسن الأحوال تلجأ هذه الأنظمة إلى تحديث صوري يرسخ تبعيتها للغرب, فعلاقة المجتمع بالدولة في إيران اليوم هي علاقة تنم من خلال و على أساس علاقة المجتمع بالولي الفقيه. لذلك فهي علاقة تفعل الطاقة التغييرية التي تتخذ صورة و معنى التمهيد و من هنا انفتاحها على المسافات و الآفاق البعيدة, آفاق المشروع الكوني الذي لا يمكن للعقل الوضعي المنتج للحداثة أن يتصور هذه الآفاق.

و هكذا فخصوصية زمان الشعب الإيراني (أي زمان الأمة الإسلامية) تأتي من كونها خصوصية تقوم على رفض الزمان التاريخي, زمان التاريخ الواقعي. أي زمان التحديث و الحداثة, لكن هذا الرفض ليس رفضا تعويضيا و مجردا بل هو رفض ينم من خلال الانتظار بقيادة ولاية الفقيه عن طريق التمهيد, أي عن طريق الثورة و الدولة اللتان تجسدان ممارسة متطلبات و قيم التاريخ الحقيقي البديل ممارسة تتخذ من حيث هي تمهيد, معنى التجديد و مجاوزة التحديث.

فالتغيير في هذا السياق, ينم على أساس رؤية أخرى غير الرؤية الغربية إلى الإنسان و المجتمع و السياسة و حركة التاريخ. و الفكر الذي يقود هذا التغيير هو الفكر الاجتهادي الذي يتمتع بالطاقة العقائدية و المفاهيمية و المعيارية و العرفانية طاقة لفصل إيران أو تحريرها من عالم يتحكم فيه زمان تاريخي يجسد قوة مهيمنة على شعوب العالم, خاصة الشعوب الإسلامية, فولاية الفقيه تجرد الزمان الإيراني من الزمان التاريخي المهيمن. عملية التجرد هي عملية اجتهادية و ثورية لم يسبق لها مثيل لأنها تفتح الشعب الإيراني على آفاق الزمان المهدوي الذي لا يرضى بالتغيرات الجزئية, بل لا يرضى بالتحديث لأن التغيير في الأفق المهدوي هو تجديد.

وهكذا فموقع إيران في التاريخ الواقعي هو موقع ينم على أساس التاريخ الحقيقي, أي التاريخ كما يجب أن يكون. فزمان التاريخ الحقيقي هو واقع سياسي و ثقافي في إيران اليوم: هو الدولة الممهدة, أي الدولة التي تسير في خط الثورة بقيادة ولاية الفقيه, أي دولة التغييرات الكبرى التي تتجاوز التحديث, فالشعب الإيراني ليس فردية تاريخية. أي ليس مجرد منتوج تاريخي بإطلاق بل هو فردية تاريخية في سياق كلية التاريخ أو التاريخ الكلي و الكوني الحقيقي الذي يتحرك على أساس التمهيد و التجديد و ليس على أساس التحديث, فخصوصية الشعب الإيراني الذي فجر الثورة و أسس الدولة الإسلامية تستمد حقيقتها من كونية الأمة الإسلامية. في هذا السياق تدمج بصورة نقدية و تجاوزية خصوصية الحداثة في الكونية الإسلامية عن طريق التمهيد الذي يتجاوز كل فلسفات التغيير و التقدم, هذه المجاوزة النقدية للحداثة تنم في إيران وحدها في هذا العصر[1].

1. حول التحديث والتجديد انظر: د.علي شريعتي, العودة إلى الذات, نشر الزهراء للإعلام العربي- القاهرة

5-الدولة الممهدة دولة النورة:

مازال الفكر الغربي و الفكر المحدث النابع له في العالم الإسلامي لم يفهما حقيقة النورة الإسلامية و حقيقة دولة النورة الإسلامية، فالفكر الغربي يعتمد على مقاربة أساسها منطق القوة النابع من نفي الآخر بصورة أو بأخرى و التمركز على الذات. فالدولة في إيران، عبر الحكومات المتتالية، د ورها هو دور إعادة الروح للمبادئ الثقافية و السياسية للنورة و لأهداف النورة في أفق التمهيد لاستحقاق الإمداد الغيبي أي الظهور، فهذا هو الأفق الذي تسير نحو ه كل الحكومات في إيران تحت إشراف الولي الفقيه. فعندما تريد إيران أن تمتلك التكنولوجيا النووية و غيرها، وعندما تريد أن تتحرر اقتصاديا و ثقافيا وسياسيا فهي تسير في مسار النورة و مسار التمهيد للمشروع الكوني، غير أن التمهيد يحمل المستقبل و لكنه لا يحمل المستقبل كله لأن الظهور ليس مجرد منتوج للعوامل التاريخية بل هو امداد غيبي. و التمهيد يهيأ الأرضية للمستقبل من موقع استحقاق الإمداد الغيبي.

لا يمكن أن تستمر النورة الإسلامية و تسير في طريق الاستكمال إلا إذا كان الزمان السياسي للدولة مرتبطا بالزمان المهدوي زمان التمهيد. فهنا المهدوية الإسلامية تفوق كل أنواع المهدويات الأخرى الفلسفية و العلمية و الايديولوجية من ليبرالية واشتراكية وغيرهما.

ففي هذا السياق يمكن القول بأن الدولة الإيرانية من حيث هي دولة النورة الإسلامية تجاوزت الدولة بمفهومها الغربي على العموم. هذه الدولة أرادت أن تتكلم مع كل المذاهب في العالم الإسلامي و مع كل الشعوب سواء الشعوب المستضعفة كشعوب الجنوب، أو تعيش حالة العبث بسبب انقطاعها عن الله كالشعوب الغربية في هذا العصر عصر أزمة القيم و أزمة الكونية الغربية التي تحولت إلى كونية قاتلة، جاءت النورة الإسلامية برؤية جديدة إلى السياسة و برؤية جديدة إلى علاقة السياسة بالدين.

لقد ظن الفكر المعاصر، بل تيقن بأن زمان علاقة السياسة بالدين و قد ولى و انقضى نتيجة لتطور الفكر ابتداء من عصر الأنوار. فالبديهية التي يرتكز عليها الفكر السياسي المعاصر أن ربط السياسة بالدين يؤدي حتما الى التيوقراطية و الانحطاط.

لذلك يمكن القول بأن الشعب الايراني بقيادة ولاية الفقيه حقق ثورتين: النورة الاسلامية و دولتها و الفكر الامؤسس للنورة و الدولة، أصول الفقه المنفتح على الفلسفة والعرفان، هو فكر أجدث زلزالا في مفاهيم الفلسفة المعاصرة و في مفاهيم الفكر السياسي و الممارسة السياسية، حيث أن الفكر المؤسس للنورة و الدولة يستمد مرجعيته من الدين و من الشعب. و هذا ما يعتبر نقيضا لأطروحة الفكر السياسي المعاصر الذي يقوم على فصل السياسة عن الدين[1].

1986.

1. انظر في هذا السياق: السيد محمد باقر الصدر: الإسلام يقود الحياة (فصل: منابع القدرة في الدولة الإسلامية). نشر وزارة الإرشاد الإسلامي – طهران - بدون تاريخ ص 175-207

فنحن هنا بصدد كونية أخرى تتجاوز الكونية الغربية التي بررها هيجل برؤيته الفلسفية الى السياسة و الدولة و حركة التاريخ. فالدولة الاسلامية في ايران هي دولة تحمل في بنيتها و تركيبتها عناصر الكونية التي تجعلها دولة النورة و الآفاق أي دولة التمهيد في عصر سقوط النماذج.

فنموذجية الدولة في ايران تكمن في كونها تتمحور عقائديا و سياسيا حول التمهيد الذي يهيؤها للمسافات البعيدة التي تفتضي منطقا آخرا منطف يتجاوز المنطف الجدلي الهيجلي الذي جمد الدولة و جمد حركة التاريخ عن طريف نظرية نهاية التاريخ. فدولة النورة الاسلامية هي دولة ممهدة أي دولة التفعيل الحضاري الذي يقوم على أساس العلاقة بين الدولة و المثل الأعلى كعلاقة لا يمكن أن تحتوي المثل الأعلى لأن الالمثل الأعلى هو الله تعالى. اطلاقية المثل الأعلى تفتح المجال لحركة تاريخية تفوف كل فلسفات الصيرورة التاريخية. في حين أن الثوابت التي تقوم على أساسها دولة النورة الاسلامية هي التي تجعل الدولة دولة الصيرورة التي لا تنفذ طاقتها. زمان النورة الاسلامية هو زمان السياسة بمعناها الحفيفي: السياسة بمعناها الأخلاقي و التغييري. أما زمان الدولة فهو زمان السياسة في عالم الممكن, أي سياسة الحسابات و تبرير كل السلوكات من أجل تحفيف أهداف السلطة أو الحاكم. و لاية الفقيه كسرت هذه المعادلة و حولت الدولة الى استمرار للنورة. أي حولت زمان الدولة الى زمان النورة و جعلت السياسة بمعناها الحفيفي تنمو و تستمر, أي جعلت السياسة سياسة التمهيد المنفتح على المسافات البعيدة و الآفاق. لذلك لا تزول النورة, في النظام السياسي في ايران في مرحلة الدولة: لأن قيادة الدولة هي في حدذاتها ثورة, فولاية الفقيه و الفكر الذي تجسده من موقع " النيابة" عن الامام كل ذلك لا يمكن أن يزول في مرحلة الدولة.

لا شك أن دولة ولاية الفقيه هي دولة هيجلية من حيث أنها تجسد قيما, لكن اذا كانت الدولة الهيجلية تجسد المطلف, و هي مطلف في نظر هيجل. اذا كان الأمر كذلك, فان دولة ولاية الفقيه تجسد القيم لكنها كلما جسدت القيم ترسخت و تعمقت حالتها التعبدية لله تعالى. و اذا كانت دولة هيجل قد انتهت الى الاسترخاء و نهاية التاريخ, فان دولة ولاية الفقيه تجابه الأحداث و تنفتح على آفاق مشروع كوني يحتوي و يتجاوز كل الكونيات التي ظهرت عبر التاريخ.

في هذا السياف يمكن القول بأن دول ما بعد النورات أصبحت رهينة للايديولوجيا: ايديولوجيا الزعيم, هي دول أفرغت النورة من مضمونها, في حين أن دولة النورة هي دولة تفعيل قيم و مفاهيم النورة و هذا ما تتميز به الدولة في ايران اليوم, لذلك فتحت ايران في هذا العصر مرحلة تاريخية جديدة: مرحلة دولة النورة أي دولة التمهيد في أفف الانتظار, و لعل الدولة في ايران هي الدولة الوحيدة من بين كل دول ما بعد النورات التي تسير في خط النورة, و هذا راجع الى:

أولا: الأساس العقائدي و المفاهيمي الذي تقوم عليه السياسة في ايران اليوم.

ثانيا: عقائدية و ثورية القيادة, أي ولاية الفقيه خصوصية هذه القيادة من حيث هي

" نيابة" عن الامامة أي قيادة لعصر بأكمله تتجاوز حدود دائرة التغيير لأن دورها دور تمهيدي يتجاوز كل طاقات القيادات الثورية عبر التاريخ.

ثالثا: تفاعل الشعب الإيراني مع القيم و المفاهيم الإسلامية الملازمة للثورة الإسلامية، وهذا عكس قيادة "الزعيم" الذي حول الثورة الشعبية في العالم الإسلامي إلى دكتاتورية بمجرد تأسيس الدولة، دولة ما بعد الثورة.و كل ذلك تحت غطاء الدفاع على الوحدة الوطنية و مكتسبات الثورة، فهنا تم عزل الشعب عن السياسة وعن الدولة، وتحولت العلاقة العقائدية بين الشعب و الثورة إلى علاقة إيديولوجية بمعناها المبتذل، بين الدولة و الشعب. علاقة إيديولوجية تبريرية للوضع القائم. و ليست علاقة تمهيدية على غرار الدولة بقيادة ولاية الفقيه. فمسار الدولة في طريق الثورة. أي في طريق التمهيد حول السياسة في إيران إلى واقع كوني يتجلى في الممارسة السياسية في الداخل، في علاقة الدولة بالمجتمع و يتجلى في علاقة الدولة بالعالم و بالدول وبقضايا العالم كالحروب و استغلال الشعوب و التلوث و مشكلة الطاقة و علاقة العلم بالتكنولوجية و بالأخلاق.

لقد نجحت إيران في هذا العصر في بناء دولة عصرية إسلامية و ليس "دولة إسلامية عصرية" لأن ولاية الفقيه فعلت العلاقة بين الطموح التاريخي ذو المصدر العقائدي: فعلت العلاقة بين الطموح التاريخي للشعب الإيراني و الدولة.

الخاتمة

و هكذا فالدولة بقيادة ولاية الفقيه لا يمكن إلا أن تكون دولة التغيرات الكبرى أي دولة التمهيد التي تسير في خط كونية الثورة الإسلامية كواجب شرعي و مطلب تاريخي و شعبي و خيار استراتيجي في أفق المشروع المهدوي دولة شعب مسؤول عن عصر بأكمله و عن مستقبل المسلمين و البشرية كلها ويجابه اليوم الفكر الهيجلي الذي تجسده أمريكا التي تحاول عبثا منع إيران الحقيقة الإلهية من لعب دورها الكوني.

الحكومة المهدوية

الدكتور خليل خلف بشير[1]

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد:فهذا بحث يتناول في صفحاته حكومة امام معصوم من أئمة أهل البيت يظهر في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً هو الإمام الحجة محمد بن الحسن المنتظر _ عجل الله تعالى فرجه وسهّل مخرجه _ ولعل الاعتقاد به من أساسيات العقيدة الإسلامية فأمره مختص بكثير من الفرق الإسلامية، وغير الإسلامية كاليهود والنصارى، ولعل السبب في ذلك يكمن في كون المصدر واحداً اذ ان اول من أشار اليه هو الله سبحانه وتعالى ثم بشّر انبياءه به وبدولته المباركة، وازداد التبليغ لفكرة المهدي الموعود ببزوغ رسالة جده محمد المصطفى (ص) اذ كثُرت الروايات الدالة على وجوده المبارك، والوعد بدولته المباركة، وأصبح انتظاره أفضل الاعمال، وأفضل الجهاد على ما وصل إلينا من احاديث الرسول الكريم وآله الكرام _ عليهم آلاف التحية والسلام _.

وقد جاء بحثي هذا الموسوم (الحكومة المهدوية) مسلطاً الضوء على الآيات التي أشارت الى الوعد بدولته الميمونة، وخصائص هذه الدولة من خلال القرآن الكريم، ومعرّجاً على صفاته، وصفات أنصاره فضلاً عن صفات دولته مؤكداً على جوانب مهمة في حياة البشرية تشهد تطوراً ملموساً أبرزها: الجانب الاقتصادي ثم الزراعي، والديني، والقضائي، والإداري، والعلمي، والحربي، ومشيراً الى الفرق بين العولمة وعالمية الدولة المهدوية، ومدة الدولة المهدوية.

على أنني بذلت جهدي، وأعملتُ فكري لأضع هذا البحث بالمستوى المطلوب فإن وفقتُ فلله حمدي وشكري وإلا فلله ولسيدي الحجة اعتذاري سائلاً الله تعالى ان ينفعني به في الدنيا والآخرة، وان يكون في مصاف اعمالي يوم القيامة (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)(الشعراء /88-89)، والله ولي التوفيق.

1. جامعة البصرة/كلية الاداب/قسم اللغة العربية

لم تحظَ قضية في الفكر الانساني بمثل ماحظيت به قضية الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) الذي يمثل الحلقة الاخيرة في سلسلة الإمامة فقد ورد عن الإمام الحسين (عليه السلام) إنه قال ((منا اثنا عشر مهدياً أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو الإمام القائم بالحق، يحيى الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون))[1]، وقد بشرت به الاديان السابقة فضلاً عن الإسلام في كتاب الله (القرآن الكريم) في الكثير من آياته من ذلك قوله تعالى (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأرض وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) (القصص /5) إذ أولت هذه الآية بالائمة من آل محمد انتهاء بالقائم[2]، وقوله تعالى (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأرض يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الانبياء/105) فقد ذكر العلامة الطباطبائي أن الآية مطلقة ولا موجب لتخصيصها بإحدى الوراثتين (الدنيوية او الاخروية) بيد أن هناك من يخصها بالوراثة الدنيوية ويحملها على زمان ظهور الإسلام أو ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) الذي أخبر به النبي (ص) في الاخبار المتواترة المروية عن طريق الفريقين[3]، وقوله تعالى(وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(النور/55) اذ يذكر العلامة الطباطبائي آراء المفسرين ثم يناقشها منوصلاً في النهاية الى أن "الآية إن أعطيت حق معناها لم تنطبق إلا على المجتمع الموعود الذي سينعقد بظهور المهدي (عليه السلام)..."[4]، وقد تضمنت الآية ثلاثة وعود للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهذه الوعود هي:[5]

أ) الاستخلاف في الأرض وذلك لأجل إقامة حكومة العدل الالهي.

ب) تمكين الدين: نفوذ المعنويات، وحكومة القوانين الشرعية في جوانب الحياة كافة.

ت) تبديل الخوف بالأمن: إزالة كافة عناصر الخوف، واستبدالها بالأمن التام والاستقرار الكامل.

وتدلنا هذه الآية الشريفة المفسرة بظهور المهدي "على أن مهمته (عج) ربانية ضخمة متعددة الجوانب، جليلة الأهداف فهي عملية تغيير شاملة للحياة الانسانية، وإقامة مرحلة جديدة..."[6] ومن أراد المزيد من الآيات فليراجع كتاب (المهدي في

1. ينظر: كمال الدين وتمام النعمة /الصدوق 317.
2. ينظر: الإمام المهدي في القرآن والسنة /سعيد ابو معاش 335-337.
3. ينظر: الميزان في تفسير القرآن /السيد محمد حسين الطباطبائي 262/14.
4. المصدر نفسه 169/15.
5. ينظر: الحكومة العالمية للإمام المهدي /آية الله العظمى مكارم الشيرازي 100.
6. عصر الظهور /الشيخ علي الكوراني 253

القرآن والسنة) لسعيد معاش فهذا الكتاب زاخر بالآيات التي فسرها الائمة بالإمام المهدي _ عليهم السلام أجمعين _[1].

خصائص الدولة المهدوية

من خلال الايات التي بشرت بالمهدي الموعود يمكننا أن نبين خصائص الدولة المهدوية بالاتي:[2]

1. استخلاف صالحي المؤمنين: وهذا جلي في ثلاث آيات هي قوله تعالى (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأرض يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)(الانبياء/105), وقوله (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(النور/55), وقوله (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأرض أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)(الحج/41).

2. اتمام النور الالهي, وإظهار الإسلام على الدين كله: وهذا ما صرح به القرآن الكريم في خمس آيات, وذلك في قوله تعالى (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة/32), وقوله(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (الصف/8), وقوله (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبة /33), وقوله (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا) (الفتح /28), وقوله (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (الصف/9) فالمؤمنون في ترقب وانتظار لهذا الوعد الإلهي, والله لا يخلف المبعاد, وسيتحقق بيد المهدي مما يدل على ان الفتح المبين, والظهور المشرف بيد هذا المهدي من آل محمد, وكما بدأ الإسلام بآل محمد فانه سيختم بآل محمد, ونجد مصداق ذلك في قول الإمام الصادق (عليه السلام):"بكم فتح الله وبكم يختم "[3].

3. إقامة المجتمع التوحيدي الخالص:وهو أن تكون مقاليد المجتمع البشري بيد الصالحين الذين كانوا يستضعفون في الأرض, والذين يمثلون الإسلام المحمدي الاصيل فعند تمكينهم في الأرض يقيمون الصلاة, ويؤتون الزكاة, ويأمرون بالمعروف, وينهون عن المنكر, ولعمري تلك دعائم المجتمع التوحيدي الخالص الذي يعبد الله وحده لا شريك له.

4. تحقق الغاية من خلق النوع الإنساني كما تشير الى ذلك الآية الكريمة (وَمَا

1. وكذا ينظر: الفصل الثالث في كتاب المصطفى والعترة –المهدي المنتظر, القسم الاول 16/87-152.
2. ينظر: اعلام الهداية:الإمام المهدي المنتظر خاتم الاوصياء /لجنة التأليف 14/208-212.
3. ينظر:بحار الانوار /العلامة المجلسي 99/131.

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات /56) اذ حصر الغاية من خلق الانسان بالعبادة الحقه لله عز وجل, وهذا ما يتحقق في ظل دولة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)على الصعيدين: الفردي والاجتماعي.

5. انهاء الردة عن دين الحق:ذهب العلامة الطباطبائي الى ان قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (المائدة/54), تتحدث عن عصر الظهور المهدوي, وان الردة المقصودة فيها عن الدين الحق مع البقاء على الظاهر الإسلامي, وذلك بموالاة اليهود والنصارى واتباعهم في طريقة الحياة في مختلف شؤونها, وهذه الردة هي التي تنهى عنها الايات السابقة لهذه الآية التي تتحدث عن الانحراف الذي يصيب العالم الإسلامي قبل الفتح المهدوي[1]

صفات الإمام

المتصفح لاحاديث اهل البيت (عليهم السلام) في وصف الإمام المهدي _ عجل الله تعالى فرجه _ يجد وجهه كالكوكب الدري, ولونه لون العربي, والجسم كأجسام ابناء يعقوب (عليه السلام) أي طويل ممتلىء, ابيض مشرب بالحمرة, واسع البطن وعريضة, عريض الفخذين, بظهره شامتان:واحدة على لون جلده, واخرى على شبه شامة النبي (ص), افرق الثنيا, اجلى الجبهة, كث اللحية, اكحل العينين, شاب مربوع, حسن الوجه والشعر, يسيل شعره على منكبيه, ويعلو نور وجهه سواد شعر لحيته ورأسه, شبح السن شاب المنظر حتى ان الناظر ليحسبه ابن اربعين سنة او دونها, ولا يهرم بمرور الايام والليالي[2], وهو اشبه الناس خَلقاً وخُلقاً, وسمتاً وهيبةً برسول الله (ص), وبعيسى (عليه السلام), ويبدو من الروايات انه يشبه خمسة من الرسل (يونس, ويوسف, وموسى, وعيسى, ومحمد _ صلوات الله عليهم _ فهو يشبه يونس برجوعه من غيبته, وهو شاب بعد كبر السن, وهو يشبه يوسف بغيبته عن خاصته وعامته, ويشبه موسى بدوام خوفه, وطول غيبته, وخفاء ولادته, وتعب شيعته مما لقوا من الاذى والهوان, اما شبهه بعيسى فاختلاف من اختلف فيه حتى قالت طائفة منهم: ما ولد, وقالت طائفة: مات, وقالت طائفة: قُتل وصُلب, واما شبهه بجده المصطفى (ص) فخروجه بالسيف, وقتله اعداء الله وأعداء رسوله والجبارين والطواغيت, وانه يُنصر بالسيف والرعب[3].

1. ينظر:الميزان 5/432-440.
2. ينظر: كمال الدين 652, وبحار الانوار 51/96, والاربعون حديثاً في المهدي /ابو نعيم الاصفهاني, 20, 21, 22.
3. ينظر:كمال الدين 327, والغيبة /النعماني 146 ب 10 ح4

صفات أنصاره

المتتبع لأحاديث النبي (ص) في وصف انصار الإمام الحجة يجدهم ثلة مؤمنة صالحة تتولى ادارة الدولة في ظل قيادته, وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعدد اهل بدر, وثمة تعبير دقيق يطلقه النبي عليهم, وهو تعبير (اخواني) مؤدياً دلالات كبيرة في شدة ارتباطاتهم وامتثالهم لتعاليم الرسالة المحمدية فلننظر الى الروآية الآتية التي رواها ابو بصير عن الإمام الباقر (عليه السلام) "قال:قال رسول الله (ص) ذات يوم وعنده جماعة من اصحابه:(اللهم لقّني اخواني) مرتين فقال من حوله من اصحابه: اما نحن من اخوانك يارسول الله؟ فقال: لا انكم اصحابي, واخواني قوم آخر الزمان آمنوا ولم يروني, لقد عرّفنيهم بأسمائهم وأسماء آبائهم, من قبل ان يخرجهم من اصلاب آبائهم, وارحام امهاتهم [1].

وثمة اوصاف اخرى تتلخص بأنهم مؤمنون منفون, ومنفانون مضحون, ومنتظرون صابرون, وصالحون مستضعفون, ويألفون ويؤلفون[2] لا تأخذهم في الله لومة لائم, ليوث بالنهار ورهبان بالليل, أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين, وشباب غير مكتهلين, بسطاء مجهولون منتقلون, زهاد متعففون, منلهم في الأرض كمثل المسك يسطع ريحه فلا يتغير ابداً, ومنلهم في السماء كمثل القمر المنير الذي لا يُطفأ نوره ابداً[3].

صفات دولته

من المعروف ان المجتمع الانساني في بداياته كان يعيش بسيطاً في علاقاته الاجتماعية, والاقتصادية إلا انه بمرور الزمن, واتساع المجتمع, وتعدد حاجاته, وتعقيد علاقاته اخذ يرتب نفسه شيئاً فشيئاً من خلال تشكيل ما يسمى حديثاً بـ (الدولة), وهي ضرورة لامناص منها, لان حياة البشر لا تستقيم بدون دولة تحكمهم, وتدير شؤونهم, وتنظم امورهم لاسيما في عالمنا المعاصر الذي تعقدت فيه الحياة وتشابكت العلاقات تشابكاً كبيراً, واليوم يتجه العالم نحو الدولة العالمية الموحدة, إلى الانتماء العالمي بدلا من الانتماء القومي والوطني, وهذا يذكرنا بكون الناس امة واحدة يحكمها نظام واحد هو نظام الفطرة الالهية فطرة الله التي فطر الناس عليها كما يخبرنا بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى

1. بحار الانوار 52/123-124
2. ينظر:مقال الشيخ محمد العبادي الموسوم (سيماء انصار الإمام المهدي) مجلة فكر الكوثر العدد الثاني, السنة الاولى, خريف 1428 هـ 2007 م, ص 119, 112.
3. ينظر:في رحاب الإمام المهدي/عبد الرحيم المبارك 259-265.

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة/213)، وقوله (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (يونس/19) لكنها امة تختلف في حياتها عن بساطة الامة الاولى وسذاجة عيشها وافكارها وطموحاتها بل ستعود امة منطورة على جميع المستويات، والجوانب[1]، واليك وصف لهذا التطور الكبير الذي ستشهده الامة مركزاً على الجوانب الاتية:

1-الجانب الاقتصادي: ويبدو من الروايات ان الخيرات والبركات تنتشر في ايام دولة الإمام (عليه السلام) فتخرج الأرض كنوزها وخيراتها للناس فقد روي عن رسول الله (ص) انه قال:"تنعم امتي فيه _ أي في حكم المهدي _ نعمة لم ينتعموا مثلها قط، تؤتي الأرض أكلها لا تدّخر عنهم شيئاً، والمال يومئذ كدوس يقوم الرجل فيه فيقول: يا مهدي، اعطني، فيقول: خذ"[2]، وفي دولته يرتفع الدخل السنوي للافراد بحيث لايبقى في المجتمع فقير، ولا مسكين، ولا محتاج او متسول، لان الثروة تقسم بينهم بالسوية كما روي ذلك عن النبي (ص) في قوله:"أبشركم بالمهدي يبعث في امتي على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جورا وظلما، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحا، فقال له رجل ما صحاحا؟ قال بالسوية بين الناس، قال: ويملأ الله قلوب امة محمد (ص) غنى ويسعهم عدله، حتى يأمر مناديا فينادي فيقول:من له من مال حاجة فما يقوم من الناس الا رجل، فيقول ائت السدان يعني الخازن فقل له ان المهدي يأمرك ان تعطيني مالا، فيقول له احث، حتى اذا جعله في حجره واحرزه ندم، فيقول كنت اجشع امة محمد نفسا، او عجز عني ما وسعهم؟قال فيرده فلا يقبل منه، فيقال له انا لا نأخذ شيئاً اعطيناه "[3]، وكذا قول الإمام الصادق (عليه السلام): " اذا قام القائم حكم بالعدل، وارتفع في ايامه الجور، وامنت به السبل، واخرجت الأرض بركاتها، ورد كل حق الى اهله....وحكم بين الناس بحكم داود (عليه السلام) وحكم محمد (ص) فحينئذ تظهر الأرض كنوزها، وتبدي بركاتها، ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته ولا لبره لشمول الغنى جميع المؤمنين."[4]، والواقع ان يملأ القلوب بالغنى النفسي والمعنوي فيستأصل منهم جذور الحرص المقيتة، ويزيل عدم الوثوف بالمستقبل في ظل عدالته الاجتماعية ف ا يرى شخص في نفسه من حاجة لجمع الثروة، لان يومه وغده مضمونان[5] فقد ورد ن جده المصطفى (ص) انه قال:"...حتى تملأ الأرض جوراً فلا يقدر احد ان يقول:الله ثم يبعث الله عز وجل رجلاً مني ومن عترتي فيملأ الأرض

1. ينظر:مقال السيد محمد الشوكي الموسوم (الدولة العالمية:ضرورة ام طموح؟)، مجلة فكر الكوثر العدد الثاني، السنة الاولى، خريف 1428 هـ 2007 م، ص 43، 44
2. المستدرك على الصحيحين /الحاكم النيسابوري 558/4.
3. ينظر:الاربعون حديثاً في الإمام المهدي 27.ومعجم احاديث الإمام المهدي (عليه السلام)/الشيخ علي الكوراني العاملي92.
4. بحار الانوار 339/52.
5. ينظر:الحكومة العالمية للامام المهدي 223-224.

عدلاً كما ملأها من كان قبله جوراً، وتخرج له الأرض افلاذ كبدها ويحنو المال حنواً ولا يعده عدّاً "[1].

2-الجانب الزراعي: ببزوغ فجره تتضاعف البركات في الأرض لا سيما في مجال الزراعة اذ قال رسول الله (ص) في وصف القائم "يخرج في امتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الامة "[2]، وروي عن امير المؤمنين (عليه السلام) انه قال في معرض حديثه عن الحجة "...ويذهب الشر ويبقي الخير، ويزرع الانسان مدا، وتخرج له سبعة امدادا"[3]، وكذا يروي عن سعيد بن جبير (رضي الله عنه) انه قال: " ان السنة التي يقوم فيها القائم عليه السلام تمطر الأرض اربعاً وعشرين مطرة وترى آثارها وبركاتها "[4].

وفي هذا الصدد يروى انه يقضي على نظام الاقطاع في الاراضي الزراعية كما في الحديث الشريف القائل "اذا قام قائمنا اضمحلت القطائع فلا قطائع "[5].

3- الجانب الديني: تذكر الروايات ان الإمام حينما يحكم فإنه يأتي بدين جديد كما ورد ذلك عن الإمام الباقر (عليه السلام) عندما سأله عبد الله بن عطاء قائلاً:"اذا قام القائم (عليه السلام) بأي سيرة يسير في الناس...؟ فقال: يهدم ماقبله كما صنع رسول الله (ص) ويستأنف الإسلام جديدا"[6]، وفي روآية اخرى انه يأتي بأمر جديد فقد روي النعماني حديثاً مفاده ان ابا جعفر (عليه السلام) قال: ان قائمنا اذا قام دعا الناس الى امر جديد كما دعا اليه رسول الله (ص).الى اخر الحديث[7].

ولمناقشة هذه الروايات نتساءل: ما هو الدين الجديد الذي سيأتي به الإمام؟ وهل يختلف عن دين جده؟ كما يدعي بعض ادعياء البابية والمهدوية في تفسيرهم لهذا الحديث بمعنى النسخ للشريعة الإسلامية، وهي محاولة خبيثة ومنكرة في فهم النبوة والتشريع، وتبرير استهانتهم بالكتاب والسنة، وما جاء فيهما من احكام وتكاليف[8].

والجواب على هذا السؤال لا بد من تسليط الضوء على الترابط الكبير بين الإمام، وجده بأعتبار ان النبي (ص) كافح الجهل، والظلم، والفساد لتأسيس الدولة العالمية بعد معاناة وجهاد طويلين لكنه رحل الى المليك الاعلى عاقداً الامل على ولده المنتظر ليسود الإسلام على وجه الأرض اذ في دولته سيسود العدل ويطبق على

1. ينظر:بحار الانوار 18/28.
2. المستدرك على الصحيحين 557/4.
3. حياة الإمام المنتظر- المصلح الاعظم /باقر شريف القرشي 292.
4. كشف الغمة/ابن ابي الفتح الاربلي 258/3.
5. فرب الاسناد/الحميري 39.
6. بحار الانوار 354/52. وقول الإمام الباقر (عليه السلام) "يهدم ماقبله كما صنع رسول الله (ص وآله)" لا يعني انه لايسير بسيرة جده، وانما يبل عن الدنيا كل ماينطف ظاهره بأسم الاسلام، ويستبطن خلافه كما هدم رسول الله (ص وآله) من قبل اركان الشرك واليهودية والنصرانية والمجوسية (ينظر:نهج الإمام المهدي في الحكم، من بحوث المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي 19-20).
7. ينظر:الغيبة للنعماني 320، وبحار الانوار 366/52.
8. ينظر:الإمام المهدي المنتظر وادعياء البابية والمهدوية بين النظرية والتطبيق /السيد عدنان البكاء 282/1.

جميع الأرض, وعندما نقول: ان الإمام الحجة (عجل الله فرجه) سيأتي بدين جديد يجب ان نعلم بأن الشريعة السمحاء قد ختمت بالمصطفى, وشاء الله ان يكون خاتم الانبياء والمرسلين, وان يكون المهدي خاتم الاوصياء, وهنا يُطرح تساؤل آخر اذا كان الدين الإسلامي قد خُتم بصريح القرآن في قوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا)(المائدة/3) فما هو الدين الجديد الذي سيأتي به الإمام لا سيما ان النبي قد عقد عليه اماناً كبيرة كما اسلفنا؟وما هو الامر الجديد الذي يختلف به عن جده؟

الجواب هو انه سيأتي بأحكام واقعية لا احكام ظاهرية فنحن الآن نعمل بأحكام ظاهرية اجتهد في استنباطها العلماء الاجلاء بعد معاناة وسهر وصبر _ وهم في هذا مأجورون على كل حال _ فإذا ظهر الإمام فأنه سوف يُرجعنا الى الاحكام الواقعية في الموجودة في زمن النبي (ص) فيتصور الناس ان المهدي جاء بدين جديد اذ يعيد كثير من الاحكام التي تناساها الناس وتجاهلوها بعد ان مضى عليها الزمن أي انه يطبق الشريعة بكاملها فيظن الناس انه جاء بأمر جديد فمثلاً صلاة الجمعة _ هذه الشعيرة المهمة _ تنوسيت, وضُيعت يأتي فيوجبها فيتصور الناس انه قد اتى بدين جديد, والواقع انه يحيي الدين بعد اندراس[1].

4-الجانب القضائي: لا شك ان الإمام سيقضي بين الناس بالعدل فهو الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً, وفي الروايات انه يحكم بحكم داود فلا يسأل عن البينة.عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال:"اذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان, لا يسأل الناس بينة...."[2], ويبدو انه يختلف في هذا مع جده الذي يقضي بالبينة لقوله (ص):"انما اقضي بينكم بالبينات والايمان.."[3] في حين لا يحتاج المهدي الى البينات والايمان, وانما يقضي بعلمه, وهذا يعني ان جده يعلم لكنه لا يقضي بعلمه الذي يأتي به عن طريق النبي او عن طريق تحديث الملائكة او عن طريق الالهام.

واما حكمه بحكم سليمان فنحن نعلم من قوله تعالى (وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)(الانبياء /78- 79) ان انساناً عنده مزرعة وجاءت غنم لشخص آخر فدخلت المزرعة, واكلت منها فأفسدت الزرع فالحكم المترتب في هذه المسألة ان الغنم اذا دخلت المزرعة ليلاً فالضمان على صاحب الغنم, اما اذا كان الدخول نهاراً فلا ضمان فكان الحكم بوجوب الضمان, لان الدخول كان في الليل لكن داود وسليمان اختلفا في قيمة الضمان فداود يرى ان الغنم تُعطي لصاحب المزرعة, لان زرعه فسد فبمقدار زرعه يُعطى من الغنم اما سليمان فحكم بأنه لا يأخذ نتاج

1. ينظر:انتظار الفرج, الشيخ ابراهيم النصيراوي, محاضرات حول الإمام المهدي, الجزء الثاني, اعداد وتحقيق:مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي, ص136-139.
2. بحار الانوار 86/23.
3. الكافي /الكليني 414/7.

الغنم أي يعطونه من الحليب او الاولاد اما نفس الغنم فلا يُعطى فحكم سليمان مختلف عن حكم ابيه داود، لانه حكم ولائي بحسب المصلحة العامة فالإمام الحجة سيضع احكاماً ولائية كثيرة مراعياً بذلك المصلحة العامة كتنظيمه مرور السيارات، ومرور الركاب، ويضع لذلك احكاماً ولائية على سبيل المثال انه لا دية للرجل الماشي في وسط الطريق حينما يتضرر من سيارة او من غيرها[1]، وهذه _ لعمري _ احكام عادلة تنظر الى المصلحة العامة متجاهلة الكثير من الاحكام الباطلة التي يضعها الناس في احكامهم العشائرية القاصرة المقصرة التي تنظر الى المصلحة الخاصة، وتأخذ ما تريد بقوة العشيرة.

ولا بد ان نشير الى وجود جهاز قضائي يقظ وفاعل، ووسائل مراقبة دقيقة بحيث لا يفلت مجرم من سيطرته، ولا يستطيع انتهاك عدالته، وهو عنصر يحد من انتشار الفساد، وانتهاك حرمة القانون لا سيما انه يخرج بعد ان يستشري الفساد. قال تعالى (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)(الروم/41)

ومن الاحاديث الدالة على عدالته، وردّها المظالم قول الرسول (ص):" عن ابي هريرة قال: قال رسول الله (ص) تفئ الأرض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجئ القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجئ القاطع فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا"[2].

ولما كان العدل يعم ربوع دولته فإن المرأة تقضي في بيتها بالقرآن الكريم والسنة المطهرة كما يروى ذلك عن ابي جعفر (عليه السلام) انه قال:"كأنني بدينكم هذا لا يزال منخضخضاً يفحص بدمه، ثم لايرده عليكم الا رجل منا اهل البيت فيعطيكم في السنة عطاءين، ويرزقكم في الشهر رزقين، وتؤتون الحكمة في زمانه حتى ان المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله (ص) "[3].

وتشير بعض الروايات الى ان النبي عيسى (عليه السلام) يقضي في دولة المهدي بالعدل، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله احد. قال رسول الله (ص):" والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، فيفيض المال حتى لايقبله احد "[4].

5-الجانب الاداري: لا يختلف الإمام المنتظر عن جده في كونه رؤوفاً رحيماً بالناس _ ومنهم المساكين _ بيد انه حازم وحسيب على عمّاله لذا نجده يختار للحكم ولاة هم خيرة اصحابه الذين يتحلون بأعلى كفاءات الوالي الإسلامي من العلم، والفقه،

1. ينظر:انتظار الفرج 141-146
2. صحيح مسلم /مسلم النيسابوري 84/3.
3. الغيبة للنعماني 245.
4. بحار الانوار 383/52.

والشجاعة، والنزاهة، والاخلاص[1]. قال ابن كثير:" اذا كان المهدي ثبت على المسيء من اساءته، وزيد المحسن في احسانه، سمح بالمال شديد على العمال رحيم بالمساكين "[2]، وذكر ابن طاووس روآية ان"المهدي كأنما يُلْعف المساكين الزُبد"[3].

والإمام شديد مع المنافقين الذن يتاجرون بالدين، ويسيئون للمقدسات الإسلام بة لا سيما سدنة الكعبة فيفضحهم على مرآى ومسمع من الناس، ويسميهم (سرّاف الله)، ويذكر الشيخ الطوسي هذا المعنى في روآية تقول:ان " القائم اذا قام قطع ايدي بني شيبة، وعلّق ايديهم على البيت، ونادى مناديه هؤلاء سرّاف الله "[4].

6-الجانب العلمي: تشهد الامة الإسلام ية ابان الحكومة المهدوية تطوراً هائلاً في مختلف العلوم، لأن العلم سيعادل اثني عشر ضعفاً بالنسبة للعلوم والمعارف التي كانت سائدة زمن الانبياء الى يومنا هذا، والدليل على ذلك الروآية الآتية:"عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال: العلم سبعة وعشرون حرفا فجميع ما جاءت به الرسل حرفان فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفا فبثها في الناس، وضم اليها الحرفين، حتى يبثها سبعة وعشرين حرفا"[5].

ويفتح هذا العلم امام الانسان جميع ابواب التكامل الفكري، والرقي المعنوي، والتكامل الروحي فيشهد عصره تطوراً فكرياً وروحياً عالياً كما يلمع الى ذلك الإمام الباقر (عليه السلام) في وصف الإمام وأصحابه:" فيه آية المتوسمين وهي السبيل المستقيم، وان الله ينزع الخوف من قلوب شيعه ويسكنه قلوب اعدائه، فواحدهم امضى من سنان، واجرى من ليث يطعن عدوه برمحه ويضربه بسيفه ويدوسه بقدمه، وحد لله للشيعة في اسماعهم وابصارهم حتى يكون بينهم وبين القائم بريد كلمهم، ويسمعون، وينظرون اليه وهو في مكانه..."[6]، وهذا دليل على تطور وسائل الاتصال لاسيما مانرى بوادره اليوم طبقاً للقوانين العلمية، أي ان كافة الناس سيتمتعون بوسائل نقل الصوت والصورة بيسر وسهولة بحيث لم تعد هنالك من حاجة الى وجود دائرة بأسم البريد فيحكومته ودولته، وتحل اغلب القضايا دون الحاجة الى الاوراق فهنالك اجهزة شهود، واجهزة حضور تدير شؤون المجتمع[7].روي انه (عليه السلام) ينصب له عمود من نور من الأرض الى السماء فيرى فيه اعمال العباد، وان له علوما مذخورة تحت بلاطة في اهرام مصر[8]، قال ابو عبد الله (عليه السلام):" انه اذا تناهت الامور الى صاحب هذا الامر رفع الله تبارك

1. ينظر نهج الإمام المهدي في الحكم 33-34، اعلام الهدآية –الإمام المهدي المنتظر خاتم الاوصياء 224.
2. البدآية والنهآية /ابن كثير 225/9.
3. الملاحم والفتن /السيد ابن طاووس 144
4. الخلاف/الشيخ الطوسي 430/5
5. بحار الانوار 336/52.
6. شجرة الطوبى /الشيخ محمد مهدي الحائري 178/1.
7. ينظر:الحكومة العالمية للامام المهدي 219
8. ينظر:كمال الدين 565.

وتعالى كل منخفض من الأرض، وخفض له كل مرتفع منها حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فأيكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها"[1] عن ابن مسكان، قال: "سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول: ان المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى اخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى اخاه الذي في المشرق"[2]، ومصداق ذلك موجود في ماتقدمه شبكات الانترنيت من خدمة جليلة في الاتصال بين الدول العربية والغربية.

7-الجانب الحربي: يخوض الإمام عدة حروب يستخدم فيها سلاحاً جديداً يقضي على غير المؤمن، ويترك المؤمن، ليس سيفاً وانما نوع اخر من السلاح غير موجود حالياً وانما ورد بتعبير السيف، لانه كان ابرز سلاح يُقاتل به في فترة صدور الاحاديث، ولو كان الائمة المعصومون (عليهم السلام) يستخدمون غير الاسماء المعروفة لكان الرواة يمتنعون عن نقلها خشية ان تقابل بالسخرية والاستخفاف، ومن الاحاديث التي ذكرت اسلحة الإمام بلفظ السيف ولا يراد به السيف[3] كما ورد في وصف سيوف انصاره: " ولهم سيوف من حديدغير هذا الحديد، لو ضرب احدهم بسيفه جبلا لقده حتى يفصله، يغزو بهم الإمام الهند والديلم والكرك والترك والروم وبربر ومابين جابرسا الى جابلقا، وهما مدينتان واحدة بالمشرق، واخرى بالمغرب، لا يأتون على اهل دين الا دعوهم الى الله والى الإسلام والى الاقرار بمحمد (ص)، ومن لم يقر بالإسلام ولم يسلم قتلوه حتى لا يبقى بين المشرق والمغرب وما دون الجبل احد الا اقر"[4].

ويمكن تفسير النصوص التي ورد فيها (السيف) بالاتي[5]:

لما كان السيف رمزاً للسلاح او القوة لذا فيكون معنى الاحاديث انه يظهر انه يظهر بالسلاح او انه يظهر بالقوة.

اما معنى حمله السيف _ كما ورد في بعض الاحاديث _ فهو اختياره شعاراً بيد ان اختيار السيف شعاراً يختلف عن اختياره سلاحاً وحيداً في معاركه اذ ان اختيار النسر او المنجل والمطرقة او النخلة او سنبلة القمح وكذا السيف لايعني انها الوسائل الوحيدة التي تعتمد عليها الدولة، وانما ترمز الى بعض المنطلقات الفكرية او الحيوية للدولة.

لعل المقصود من ظهوره بالسيف انه اذا اراد اعدام شخص امر بضرب عنقه انطلاقاً من امر الشريعة بإراحة الضحية، وعدم تعذيبه بالوسائل المختلفة للاعدام فيكون السلاح الوحيد الذي يخيف المجرمين داخل دولته، لا انه سلاحه في معاركه وفتوحاته.

وفي بعض الروايات تصريح لحمله سلاح رسول لله (ص) وسيفه، ودرعه، ومغفرة

1. المصدر نفسه 674.
2. بحار الانوار 391/52.
3. ينظر:الإمام المهدي- نظرة وجيزة وشاملة /الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازي (قدس سره)50-49.
4. بحار الانوار 43/27.
5. ينظر:الإمام المهدي – نظرة وجيزة شاملة 51.

كما ورد عن جابر الجعفي، قال:قال لي محمد بن علي (عليهم السلام):"ياجابر ! ان لبني العباس رأية ولغيرهم رايات، فأياك ثم أياك ثم أياك _ ثلاثا حتى ترى رجلا من ولد الحسين يبايع له بين الركن والمقام، معه سلاح رسول الله ومغفر رسول الله (ص) ودرع رسول الله (ص) وسيف رسول الله (ص)"[1]، ولعل تفسير ذلك يعود الى انتسابه الى رسول الله (ص) رداً للتهم التي تقول: بأنه ليس من ذرية رسول الله، نظراً لقتله اعداداً كبيرة من المجرمين زعماً منهم ان ذرية رسول الله يحاولون الابتعاد عن الخوض في الدماء حتى دماء المجرمين، وربما يحمله في جملة ما يحمله من مواريث الانبياء منها خاتم سليمان، وعصا موسى، وتابوت بني اسرائيل كما ورد ذلك في الحديث الشريف:

" فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، ورضاضة اللوح، وعصا موسى، وقبا هارون، وعشرة اوصاع من المن، وشرائح السلوى التي ادخرها بني اسرائيل لمن بعدهم فيستفتح بالتابوت المدن كما استفتح به من كان قبله، وينشر الإسلام في المشرق والمغرب والجنوب والقبلة "[2].

ومما يؤيد كون السيف رمزاً للقوة والقدرة العسكرية السبب العقلائي الذي يتلخص بكون العودة الى الوراء ليس امراً ممكنا ولا منطقياً، وهو خلاف سنة الخلق واصل تكامل الحياة، وليس هناك من دليل على جمود المجتمع، وايقاف عجلة تطوره بغية تحقيق الحرية، والعدل، والمساواة، وان قيام المصلح والمنقذ العالمي الكبير بهدف بسط الحرية، والعدل، والمساواة لايؤدي بأي شكل من الاشكال الى ركود او ازالة الحركة الصناعية وماعليها من تطور[3]، واما السلاح فالسيف الوارد في الروايات رمز للشجاعة والاقتدار العسكري كما يشير القلم للعلم والثقافة، ويحتمل ان تكون اسلحة الإمام متطورة جداً تفوق ماتملكه قوى الاستكبار العالمي من اسلحة، وتشير الروايات الى ان جنود الإمام المهدي الملائكة، والرعب، والمؤمنون كما يخبرنا بذلك ابو جعفر الباقر (عليه السلام):"القائم منا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر تطوى له الأرض، وتذهب له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عز وجل به دينه على الدين كله ولو كره المشركون"[4]، وكذا قول ابو عبد الله (عليه السلام):" اذا قام القائم (عليه السلام) نزلت ملائكة بدر وهم خمسة آلاف، ثلث على خيول شهب، وثلث على خيول بلق، وثلث على خيول حو. قلت: وما الحو؟ قال:هي الحمر "[5]، ومثل ذلك مروي عن ابي عبد الله (عليه السلام) انه قال:في قول الله عز وجل (أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) (النحل/1) فقال:"هو امرنا امر الله عز وجل الا

1. الاصول الستة عشر/تحقيق ضياء الدين المحمودي248.
2. معجم احاديث الإمام المهدي (عليه السلام)531/1.
3. ينظر:الحكومة العالمية للامام المهدي203.
4. كمال الدين 331.
5. الغيبة للنعماني 251.

تستعجل به حتى يؤيده بثلاثة اجناد:الملائكة, والمؤمنين, والرعب "[1]، وان جبرائيل اول من يبايع الإمام المهدي كما في روآية عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال:اول من يبايع القائم (عليه السلام)جبرئيل ينزل في صورة طير ابيض فيبايعه, ثم يضع رجلا على بيت الله الحرام ورجلا على بيت المقدس ثم ينادي بصوت طلق تسمعه الخلائق "اتى امر الله فلا تستعجلوه "[2]. وبعد ذلك يدعو جبرائيل الى بيعة الإمام كما في الحديث النبوي:"قال رسول الله (ص) يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي: ان هذا المهدي فأتبعوه[3]. وفي حديث آخر مرو عن رسول الله (ص) قال:" يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها مناد ينادي هذا المهدي خليفة الله فأتبعوه"[4]، وفي روآية " عن عبد الله بن عمرو, قال:يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق لو استقبلته الجبال لهدها, واتخذ فيها طرقاً[5]، ويبدو ان كل شيء مسخر له ففي روآية عن الإمام الباقر (عليه السلام) انه قال:"ذخر لصاحبكم الصعب. قال:قلت: وما الصعب؟قال:ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة او برق فصاحبكم يركبه, اما انه سيركب السحاب ويرقى في الاسباب اسباب السماوات السبع والأرضين السبع "[6]، وهنا لايقصد السحاب العادي, لان السحاب ليست من الوسائل التي يمكن السفر بواسطتها الى الفضاء اذ هي تتحرك في جو قريب من الأرض, ولا تبعد مسافة تذكر عنها, ولا يمكنها الارتفاع كثيراً عن الأرض بل هي اشارة الى وسيلة غآية في السرعة لها صوت كالرعد, وقدرة وشدة كالصاعقة والبرق, ولعلها اكثر شبهاً بالصحون الطائرة واسرع منها, والوسائل الفضائية ذات السرعة المذهلة, وهذا يعني ان الإمام يظهر بتكنلوجيا تفوق التكنلوجيا الموجودة فليس هنالك من تخلف صناعي في زمه[7].

العولمة وعالمية الدولة المهدوية

من المعروف لدينا بأن الإسلام يقف موقفاً منحفظاً من مسألة العولمة, لانها تهدف الى فرض هوية ثقافية واحدة هي الهوية الغربية, وتمارس عمليات استلاب حضاري وتنميط لثقافة الشعوب بما ينسجم مع الثقافة الغربية من خلال وسائل

1. المصدر نفسه 251.
2. كمال الدين 671, وقوله (اتى امر الله فلا تستعجلوه)هي الآية 1 من سورة النحل.
3. الاربعون حديثاً في المهدي 26, وينظر:بحار الانوار 369/36.
4. ينظر:الاربعون حديثاً في المهدي 25, وبحار الانوار 81/51.
5. الملاحم والمتن 179, وينظر:معجم احاديث الإمام المهدي (عليه السلام)39 اذ ذكر (لهدمها)بدلاً من (لهدها)
6. بحار الانوار 344/54.
7. ينظر:الحكومة العالمية للامام المهدي 207-208.

الاعلام الجبارة، وتقنيات المعلومات المحتكرة بيد الشركات الغربية الكبرى التي تسلب من الاخرين فرصة المنافسة، وتحول دون التثاقف المتوازن بين الشعوب والامم المختلفة[1] اذ ان العالم بأسره سيكون قرية كبيرة واحدة ترفض وجود الحواجز بين احيائها، واطرافها المتعددة، على ان الشركات الاقتصادية الغربية العملاقة قد تمكنت من خلال المنافسة الحرة بينها، وبين مراكزنا الاقتصادية والصناعية الداخلية ان تعزل مراكز الانتاج الصناعي الداخلي، وتضعفها، وتكتسح الاسواق في العالم الإسلامي[2]، وبذا فالعولمة لا تنتج دولة عالمية منسجمة، يسودها نظام وقانون واحد، لانها تمارس انواعا مختلفة من القسر والفرض مما يؤدي الى نشوء حالة من الممانعة عند الشعوب المختلفة تدعوها الى التمرد على ماتنتجه العولمة من قوانين، وانظمة لادارة العالم فلا بد من بديل للشعوب المحرومة والمستضعفة، ولا بديل لها سوى دولة الإمام العالمية التي سوف تحقق التقارب والتواصل الحقيقي بين الشعوب عبر قنوات الاختيار والقناعة[3] اذ كثير من الاطروحات الأرضية سوف تفشل في قيادة العالم الى ساحل النجاة، وتحقيق الاهداف الكبرى سوى هذه الدولة الالهية المباركة التي سوف تكون عالمية من خلال بسط نفوذها، وسيادتها على جميع المعمورة، وتكون الدولة الوحيدة في العالم التي لاتقوم بأزائها دولة اخرى، والروايات على سعة ملكه وسلطانه كثيرة منها قول الإمام الباقر (عليه السلام): "يفتح الله له الروم والصين والترك والديلم والسند والهند وكابل شاه والخزر"[4]، وقول امير المؤمنين (عليه السلام): "اذا بعث السفياني الى المهدي جيشاً فخسف بهم بالبيداء، وبلغ ذلك اهل الشام، قالوا لخليفتهم: قد خرج المهدي فبايعه وادخل في طاعته والا قتلناك، فيرسل اليه بالبيعة، ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس، وتنقل اليه الخزائن، وتدخل العرب والعجم واهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال حتى تبنى المساجد بالقسطنطينية وما دونها "[5].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) في الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه): "هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيدة الاماء، يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون، ثم يظهره الله عو وجل فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها، وينزل روح الله عيسى بن مريم (عليه السلام)فيصلي خلفه، فتشرق الأرض بنور ربها، ولا تبقى في الأرض قطعة عبد فيها غير الله عز وجل الا عبد الله عز وجل فيها، ويكون الدين لله وليو كره المشركون"[6].

---

1. ينظر:الدولة العالمية:ضرورة ام طموح؟52.
2. ينظر:التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الاسلامية /الشيخ محمد مهدي الاصفي 64-65.
3. ينظر:الدولة العالمية:ضرورة ام طموح ؟52-53
4. بحار الانوار 348/52.
5. الملاحم والفتن 139.
6. مجموعة الرسائل /الشيخ لطف الله الصافي302/2

وترضى جميع الخلائق بدولته كما تفصح لنا بذلك الروايات فعن حذيفه عن النبي (ص) قال:"المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدري، فاللون لون العربي، والجسم جسم اسرائيلي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورا، يرضى بخلافته ارض السماء والطير في الجو...."[1]، و " تفرخ الطيور في اوكارها، والحيتان في بحارها، وتمد الانهار، وتفيض العيون، وتنبت الأرض ضعف اكلها، ثم يسير مقدمته جبرائيل، وساقته اسرافيل فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما"[2].

مدة الدولة المهدوية

اختلفت الروايات في مدة حكم الإمام المهدي (عج) لاسيما الاخبار الواردة من طريق اخواننا اهل السنة والجماعة فقد ورد في سنن ابي داود حديث مروٍ عن ابي سعيد الخدري قال:قال رسول الله (ص):"المهدي من اجلى الجبهة، اقنى الانف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاكما ملئت جورا وظلما، يملك سبع سنين "[3]، وكذا حديث آخر مروٍ عن ابي سعيد الخدري يقول:"ان في امتي المهدي يخرج يعيش خمسا او سبعا او تسعا زيد الشاك. قال: قلنا وما ذاك؟ قال: سنين. قال:فيجيء اليه الرجل فيقول:يامهدي اعطني قال:فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله"[4]، ولعل المرجح عند الشيخ الكوراني في الاحاديث التي تذكر مدة حكم الإمام المهدي (عليه السلام)ان اصلها الحديث الذي يذكر ان النبي (ص) اجاب على السؤال عن مدة حكمه بأن عقد بيده الشريفة اصابعها الخمس، ثم عقد من الثانية اصبعين، ففسره الرواة بسبع، ثم صحفت الكلمة في النسخ بتسع.ولكنها قد تكون سبع مراحل او عقود مثلا ولا دليل على حصرها بالسنين[5].

وكذا يرجح السيد صدر الدين الصدر (قدس سره) المدة بسبع سنين[6]، والواقع ان مدة حكمه تمتد زمناً طويلا من 5 سنوات او 7 سنوات الى 309، وهي مدة مكث اصحاب الكهف اذ يستغرق تبلورها، وتشكيلها مدة 5 او 7 سنين، وعصر تكاملها: 40 سنة، وعصرها الاخير اكثر من ثلاثمائة سنة.[7]

الخاتمة:

(قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى) (النمل/59)، وبعد:
فقد تبين لي من خلال البحث جملة من النتائج اوجزها على النحو الاتي:

1. نوادر المعجزات /محمد بن جرير الطبري الشيعي 196.
2. بحار الانوار 304/52.
3. سنن ابي داود/ابن الاشعث السجستاني310/2.
4. بحار الانوار 88/51.
5. معجم احاديث الإمام المهدي (عليه السلام)305/1.
6. المهدي/آية الله العظمى السيد صدر الدين الصدر (قدس سره)266.
7. الحكومة العالمية للامام المهدي 231.

الدولة المهدوية امر الهي، وعقيدة راسخة آمن بها الناس على مختلف عقائدهم ومشاربهم، وقد عدت بها جميع الاديان، والكتب السماوية ـ ومنها القرآن الكريم ـ، وهو نتيجة حتمية لما تعانيه البشرية من ظلم، واضطهاد، وجور، وفساد فحري بها ان تتطلع الى اليوم الموعود، والقائد المنتظر لينشر العدل، والسلام، والخير، والامن، والامان فيتم النور الالهي ولو كره المشركون.

لما كان المهدي يخرج في آخر الزمان، وولايته امتداد لرسالة جده، وجده خاتم الانبياء والمرسلين فلا غرابة ان يكون جامعاً صفات مجموعة من الانبياء فهو اشبه الناس خَلقا وخُلقا، وسمتاً وهيبةً برسول الله (ص)، وبعيسى (عليه السلام)، ويبدو من الروايات انه يشبه خمسة من الرسل (يونس، ويوسف، وموسى، وعيسى، ومحمد ـ صلوات الله عليهم ـ فهو يشبه يونس برجوعه من غيبته، وهو شاب بعد كبر السن، وهو يشبه يوسف بغيبته عن خاصته وعامته، ويشبه موسى بدوام خوفه، وطول غيبته، وخفاء ولادته، وتعب شيعته مما لقوا من الاذى والهوان، اما شبهه بعيسى فاختلاف من اختلف فيه حتى قالت طائفة منهم: ما ولد، وقالت طائفة: مات، وقالت طائفة: قُتل وصُلب، واما شبهه بجده المصطفى (ص) فخروجه بالسيف، وقتله اعداء الله واعداء رسوله والجبارين والطواغيت، وانه يُنصَر بالسيف والرعب.

من المعلوم ان حياة البشر لا تستقيم بدون دولة تحكمهم، وتدير شؤونهم، وتنظم امورهم لا سيما في عالمنا المعاصر الذي تعقدت فيه الحياة وتشابكت العلاقات تشابكاً كبيراً، واليوم يتجه العالم نحو الدولة العالمية الموحدة، والى الانتماء العالمي بدلاً من الانتماء القومي والوطني، وهذا يذكرنا بكون الناس امة واحدة يحكمها نظام واحد هو نظام الفطرة الالهية فطرة الله التي فطر الناس عليها كما يخبرنا بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة/213)، وقوله (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (يونس/19) لكنها امة تختلف في حياتها عن بساطة الامة وسذاجة عيشها وافكارها وطموحاتها بل ستعود امة منطورة على جميع المستويات، والجوانب: فالتطور على الصعيد الاقتصادي ـ كما يبدو من الروايات ـ ان الخيرات والبركات تنتشر في ايام دولة الإمام (عليه السلام)فتخرج الأرض كنوزها وخيراتها للناس، وتبدي بركاتها، ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته ولا لبره، لشمول الغنى جميع المؤمنين، وتتضاعف البركات في الأرض لا سيما في مجال الزراعة اذ ورد عن رسول الله (ص) في وصف القائم انه يخرج في امتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، وتكثر الماشية، وتعظم الامة، ويزرع الانسان مداً وتخرج له سبعة امداد، وانه يقضي على نظام الاقطاع في الاراضي الزراعية وعندما نقول:ان الإمام الحجة (عجل الله فرجه) سيأتي بدين جديد يجب ان

نعلم بأن الشريعة السمحاء قد ختمت بالمصطفى، وشاء الله له ان يكون خاتم الانبياء والمرسلين، وان يكون المهدي خاتم الاوصياء بوصف النبي (ص) قد كافح الجهل، والظلم، والفساد لتأسيس الدولة العالمية بعد معاناة وجهاد طويلين لكنه رحل الى المليك الاعلى عاقداً الامل على ولده المنتظر ليسود الإسلام على وجه الأرض اذ في دولته سيسود العدل ويطبق على جميع الأرض، اما تأويل مجيئه بدين جديد هو انه سيأتي بأحكام واقعية لا احكام ظاهرية فنحن الآن نعمل بأحكام ظاهرية اجتهد في استنباطها العلماء الاجلاء بعد معاناة وسهر وصبر فإذا ظهر الإمام فأنه سوف يُرجعنا الى الاحكام الواقعية في الموجودة في زمن النبي (ص) فيتصور الناس ان المهدي جاء بدين جديد اذ يعيد كثير من الاحكام التي تناساها الناس وتجاهلوها بعد ان مضى عليها الزمن أي انه يطبق الشريعة بكاملها فيظن الناس انه جاء بأمر جديد فمثلاً صلاة الجمعة _ هذه الشعيرة المهمة _ تنوسيتْ، وضُيعت يأتي فيوجبها فيتصور الناس انه قد اتى بدين جديد، والواقع انه يحيي الدين بعد اضمحلال، اما على صعيد القضاء فيوجد جهاز قضائي يقظ وفاعل، ووسائل مراقبة دقيقة بحيث لا يفلت مجرم من سيطرته، ولا يستطيع انتهاك عدالته، وهو عنصر يحد من انتشار الفساد، وانتهاك حرمة القانون لا سيما انه يخرج بعد ان يستشري الفساد، ولما كان العدل يعم ربوع دولته فإن المرأة تقضي في بيتها بالقرآن الكريم والسنة المطهرة. وفي الروايات انه يحكم بحكم داود فلا يسأل عن البينة، وكذا يحكم بحكم سليمان، وتشير بعض الروايات الى ان النبي عيسى7 يقضي في دولة المهدي بالعدل، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.

واما على الصعيد الاداري فلا يختلف الإمام المنتظر عن جده في كونه رؤوفاً رحيماً بالناس _ ومنهم المساكين _ بيد انه حازم وحسيب على عمّاله لذا نجده يختار للحكم ولاة هم خيرة اصحابه الذين يتحلون بأعلى كفاءات الوالي الإسلام ي من العلم، والفقه، والشجاعة، والنزاهة، والاخلاص،

واما على الصعيد العلمي تشهد الامة الإسلام ية ابان الحكومة المهدوية تطوراً هائلاً في مختلف العلوم، لأن العلم سيعادل اثني عشر ضعفاً بالنسبة للعلوم والمعارف التي كانت سائدة زمن الانبياء الى يومنا هذا، ويفتح هذا العلم امام الانسان جميع ابواب التكامل الفكري، والرقي المعنوي، والتكامل الروحي فيشهد عصره تطوراً فكرياً وروحياً عالياً.

وأما على الصعيد الحربي فأن الإمام يخوض عدة حروب يستخدم فيها سلاحاً جديداً يقضي على غير المؤمن، ويترك المؤمن، ليس سيفاً وإنما نوع اخر من السلاح غير موجود حالياً وإنما ورد بتعبير السيف، لانه كان ابرز سلاح يُقاتل به في فترة صدور الاحاديث، لما كان السيف رمزاً للسلاح او القوة لذا فيكون معنى الاحاديث انه يظهر انه يظهر بالسلاح او انه يظهر بالقوة.

أما معنى حمله السيف _ كما ورد في بعض الاحاديث _ فهو اختياره شعاراً بيد ان اختيار السيف شعاراً يختلف عن اختياره سلاحاً وحيداً في معاركه اذ ان اختيار النسر او

المنجل والمطرقة او النخلة او سنبلة القمح وكذا السيف لايعني انها الوسائل الوحيدة التي تعتمد عليها الدولة، وانما ترمز الى بعض المنطلقات الفكرية او الحيوية للدولة، فالسيف الوارد في الروايات رمز للشجاعة والاقتدار العسكري كما يشير القلم للعلم والثقافة، ومما يؤيد كون السيف رمزاً للقوة والقدرة العسكرية السبب العقلائي الذي يتلخص بكون العودة الى الوراء ليس امراً ممكنا ولا منطقياً، وهو خلاف سنة الخلق واصل تكامل الحياة، وليس هناك من دليل على جمود المجتمع، وايقاف عجلة تطوره بغية تحقيق الحرية، والعدل، والمساواة، وان قيام المصلح والمنقذ العالمي الكبير بهدف بسط الحرية، والعدل، والمساواة لايؤدي بأي شكل من الاشكال الى ركود او ازالة الحركة الصناعية وماعليها من تطور، ويحتمل ان تكون اسلحة الإمام متطورة جداً تفوق ماتملكه قوى الاستكبار العالمي من اسلحة، وتشير الروايات الى ان جنود الإمام المهدي الملائكة، والرعب، والمؤمنون.

ولا تنتج العولمة دولة عالمية منسجمة، يسودها نظام وقانون واحد، لأنها تمارس انواعا مختلفة من القسر والفرض مما يؤدي الى نشوء حالة من الممانعة عند الشعوب المختلفة تدعوها الى التمرد على ما تنتجه العولمة من قوانين، وأنظمة لإدارة العالم فلا بد من بديل للشعوب المحرومة والمستضعفة، ولا بديل لها سوى دولة الإمام العالمية التي سوف تحقق التقارب والتواصل الحقيقي بين الشعوب عبر قنوات الاختيار والقناعة، اذ كثير من الأطروحات الأرضية سوف تفشل في قيادة العالم الى ساحل النجاة، وتحقيق الاهداف الكبرى سوى هذه الدولة الالهية المباركة التي سوف تكون عالمية من خلال بسط نفوذها، وسيادتها على جميع المعمورة، وتكون الدولة الوحيدة في العالم التي لا تقوم بإزائها دولة أخرى وما مجيء الولايات المتحدة الى العراق إلا مسلسل الهدف من القضاء على قاعدة الإمام، وانتظار خروجه لإفشال نهضته، لأنهم يعلمون ان نهايتهم ستكون على يده لذا تراهم يبحثون عن شخصيات علمائية مؤثرة في المجتمع العراقي فيغتالونها وما اغتيالهم لآية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم1 وقبله آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر، وآية الله العظمى محمد الصدر وآية الله العظمى الشيخ علي الغروي وآية الله العظمى الشيخ مرتضى البروجردي من قبل صدام المجرم وجلاوزته إلا دليل واضح على بحثهم الدؤوب عن انصاره، واعوانه، وما زالوا يمارسون ابشع الاساليب للنيل من عقيدة المهدي، ومن ذلك تجنيدهم شخصيات متلبسة بالدين والعلم، ومن ذلك تضليلهم ثلة من الشباب بشخصية تلبست دور اليماني حتى شوهوا للناس صورة اليماني.

المصادر والمراجع:

1. الاربعون حديثاً في المهدي، أبو نعيم الأصفهاني، تح/ علاءالزبيدي الكوفي، ط1، محرم الحرام، 1428ق- 2007م.
2. الأصول الستة عشر من الأصول الأولية، تح/ضياء الدين المحمودي بمساعدة نعمة

الله الجلبلي، ط1، مهدي غلام علي، دار الحديث للطباعة والنشر، 142و3-1381ش.
3. أضواء على دولة الإمام المهدي(عج)، السيد ياسين _ دامت بركاته _، إعداد وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، ط1، مط: نفارش، جمادي الآخرة، 1425هـ.
4. أعلام الهداية _ الإمام المهدي المنتظر خاتم الأوصياء، ج14، لجنة التأليف، ط3، المجمع العالمي لأهل البيت، قم المقدسة، (د.ت).
5. الإمام المهدي المنتظر وأدعياء البابية والمهدوية بين النظرية والتطبيق، السيد عدنان البكاء، ط1، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1999م.
6. الإمام المهدي في الأحاديث المشتركة بين السنة والشيعة، محمد أمير الناصري، إشراف: الشيخ محمد علي النسخيري، ط2، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، 1428هـ.ق _ 2007م.
7. الإمام المهدي في القرآن والسنة، سعيد أبو معاش، ط2، مجمع البحوث الإسلامية، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للإستانة الرضوية المقدسة، إيران، 1425ق- 1383ش.
8. الإمام المهدي _ نظرة وجيزة شاملة، الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازي، ط1، 1426ق -1383ش.
9. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تح/ محمد باقر البهبودي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).
10. البداية والنهاية، ابن كثير، تح/ علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1408-1988م.
11. التحديات المعاصرة ومشروع المواجهة الإسلامية، الشيخ محمد مهدي الآصفي، ط1، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، مركز التحقيقات والدراسات العلمية، الجمهورية الإسلامية في إيران، 1427هـ.ق.
12. الحكومة العالمية للإمام المهدي، آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي، ط1، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، 1384ش- 1426هـ.
13. حياة الإمام المنتظر _ المصلح الأعظم، باقر شريف القرشي، ط1، مجمع الذخائر الإسلامية، مط: شريعت، 1427هـ.ق -1385هـ.ش.
14. الخلاف، الشيخ الطوسي، تح/ السيد علي الخرساني والسيد جواد الشهرستاني والشيخ مهدي نجف، المشرف: الشيخ مجتبى العراقي، ط2، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، 1420هـ.
15. سنن أبي داود، ابن الأشعث السجستاني، تح/ سعيد محمد اللحام، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، هـ1410-1990م.
16. شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري، ط5، منشورات المكتبة الحيدرية

ومطبعتها، النجف الأشرف، محرم الحرام، 1385.
17. صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت).
18. عصر الظهور، الشيخ علي الكوراني العاملي، ط12، دار الهدى، 1425هـ - 2004م.
19. الغيبة (كتاب)، محمد بن إبراهيم النعماني، تح/ فارس حسون كريم، ط1، مهر _ قم، 1422هـ.
20. فكر الكوثر، مجلة تصدر عن مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية ع2، س1، خريف 1428هـ -2007م.
21. في رحاب الإمام المهدي، عبد الرحيم مبارك، ط1، مجمع البحوث الإسلامية، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، 1426ف -1383ش.
22. قرب الإسناد، الحميري القمي، ط1، تح/ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مط: مهر _ قم، 1413هـ.
23. الكافي، الشيخ الكليني، تح/ علي أكبر الغفاري، ط3، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1367ش.
24. كشف الغمة، ابن أبي الفتح الإربلي، دار الأضواء، بيروت، لبنان، (د.ت).
25. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، تح/ علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، محرم الحرام، 1405-1363ش.
26. مجموعة الرسائل، الشيخ لطف الله الصافي، (د.ت).
27. محاضرات حول المهدي، الجزء الثاني، إعداد: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، ط1، النجف الأشرف، 1425هـ.
28. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تح/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي، (د.ت).
29. معجم أحاديث الإمام المهدي (عج)، الشيخ علي الكوراني العاملي، ط1، مط:بهمن، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، 1411هـ.
30. الملاحم والفتن، السيد ابن طاووس، ط1، مؤسسة صاحب الأمر (عج)، أصفهان، 15شعبان، 1416هـ.
31. المهدي، العلامة السيد صدر الدين الصدر، ط2، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، 1422هـ - 2001م.
32. المهدي المنتظر (ف1)، موسوعة المصطفى والعترة، حسين الشاكري، ط1، نشر الهادي، 1420هـ - ف.
33. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، دار الكتب الإسلامية، طهران، (د.ت).
34. نهج الإمام المهدي في الحكم، من بحوث المرجع الديني السيد صادق الشيرازي، ط1، مط: نينوى، قم المقدسة، مؤسسة دار المهدي والقرآن الكريم، (د.ت).

35. نوادر المعجزات، محمد بن جرير الطبري الشيعي، تح/ مؤسسة الإمام المهدي (عج)، ط1، مؤسسة الإمام المهدي (عج)، قم المقدسة، 1410هـ.

الأبعاد الإنسانية لمسؤولية التمهيد في زمن الانتظار أصل المسئولية وحدودها ونطاقها

الدكتور علي أبوالخير

تقديم البحث حول الانتظار الإنساني

إن فكرة الخلاص هي فكرة إنسانية بمنحة إلهية، فالله سبحانه وتعالى جعل الخلاص الإنساني في شخص المخلص، والمخلص هو المصلح الإنساني، وبالتالي فإن فكرة المخلص فكرة إنسانية يستفيد منها الإنسان بعد معاناته على الأرض من قوى الظلم والظلام والاستبداد والاستكبار.

لقد بشرت كل الأديان السماوية بظهور المصلح في آخر الزمان ونهاية التاريخ الإنساني المظلم والعسير كما بشر بذلك خاتم رسل الله ونبي رحمته الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: "المهدي من وُلدي، يكون له غيبة، وحيرة تضل فيها الأمم، يأتي بذخيرة الأنبياء فيملؤها عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً"، وهي حركة إلهية تكاملية تصل في نهايتها إلى المجتمع الكامل الرفيع الذي بشر به جميع الأنبياء والرسل (ع) والصالحون. وجاءت هذه الفكرة والبشارة من عهد لعهد ومن نبي لنبي ومن مرسل لمرسل ومن زمان لزمان ومن دين لدين تأكيداً للحقيقة القرآنية على وراثة الصالحين والمستضعفين في الأرض، فقال تعالى:"ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون"[1]، وكذلك قال تعالى " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"[2]، وحين أكد الإمام جعفر الصادق عليه السلام في معنى

1. الأنبياء 105
2. النور 55

قوله عز وجل أنها جاءت في الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف[1].

وكان هدف الأئمة من أهل بيت النبوة والعصمة عليهم السلام من ذلك هو إقامة حكومة الإسلام المحمدي الأصيل، وقد انصبّت جهودهم في إطار تأهيل الأمة وتثقيفها وإعدادها لأمر الغيبة، مما جعلهم عرضة للملاحقة والتنكيل من قبل خلفاء الجور، وتركّزت جهود الإمامين علي الهادي (ع) والحسن العسكري (ع) حول موضوع التمهيد لإقامة حكم الله وخلافة الإنسان في الأرض.

فكانت المهمة الإلهية في إبقاء فكرة الانتظار حية في المجتمع الإسلامي والإنساني تنتقل من إمام لآخر عليهم السلام على امتداد الإمامة حتى وصلت الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

ونحن نعيش الآن في عصر الغيبة والانتظار، حيث اقتضت حكمة الله تعالى أن يحتجب عنا الإمام القائد وأن يتأجل خروجه.ولكن هل تعني غيبة الإمام عقد هدنة بين الحق والباطل، وتجميد الصراع ووقف إطلاق النار في ساحة المعركة بينهما؟... هل أنهى الباطل نشاطه، وتنازل الحق عن دوره في هذه الفترة الطويلة؟ أم أن الصراع لا يزال مستمراً بين جبهتي الحق والباطل؟

لا يستطيع أحد أن يدّعي توقف الصراع، فالباطل لا يزال يواصل اعتداءاته، ويوسع نطاق عمله، ويجدد وسائله وأساليبه.

فهل يجوز أن يقف الحق أمامه مكتوف الأيدي معدوم النشاط يتفرج على انهيار مواقعه وتدمير قواه وطاقاته؟

وإذا كان الصراع بين الحق والباطل إنما يتم عبر إتباع كل منهما، فإن علينا أن نطرح السؤال بالشكل التالي: هل أن أتباع الباطل متوقفون عن نصرة باطلهم ونشره ومدّ سيطرته ونفوذه؟ أم أنهم في عمل دائب مستمر لمقاومة الحق وإظهار الباطل في جميع الحقول وعلى كافة المستويات؟ وإذا كان أهل الباطل نشطين في خدمة باطلهم، والعمل من أجلهم، فهل يصح لأهل الحق أن يعلنوا الهدنة، وإنهاء المعركة من طرف واحد، ويستقبلون رماح الباطل وطعناته، ويسكتون عن اعتداءاته إلى ظهور القائد المنتظر؟

هذا ليس معنى الانتظار، ولا هي وظيفة المؤمنين في عصر الغيبة، فمبادئ الإسلام تأمر بالدعوة إلى الله وتوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحث على هداية الناس، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، هذه المبادئ مبادئ عامة وشاملة تسري على كل زمان، وتلزم كل جيل. وغيبة الإمام المهدي عليه السلام لا تعني نسخ هذه المبادئ ولا تجميد مفعولها... . يقول العلامة المظفر: " ومما يجدر أن نذكره في هذا الصدد، أنه ليس معنى انتظار هذا المصلح المنقذ (المهدي) أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود إلى الحق من دينهم، وما يجب عليهم من نصرته، والجهاد في سبيله، والأخذ بأحكامه، والأمر بالمعروف والنهي عن

1. النعماني/240، والمحجة/148، والبحار: 58/51، والاحتجاج: 256/1

المنكر، بل المسلم أبداً مكلّف بالعمل بما أنزل من الأحكام الشرعية، وواجب عليه السعي لمعرفتها على وجهها الصحيح بالطرق الموصلة إليها حقيقة، وواجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ما تمكن من ذلك وبلغت إليه قدرته (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته). فلا يجوز له التأخر عن واجباته بمجرّد الانتظار للمصلح المهدي، والمبشر الهادي، فإن هذا لا يسقط تكليفاً، ولا يؤجل عملاً، ولا يجعل الناس هملاً كالسوائم)[1] على مستوى نوائنا أيضاً، وكأسلوب من أساليب تحصينها ضد الانحراف، وتجهيزها للعمل والنشاط، علينا أن نكون في حالة انتظار... في حالة ترقّب دائم مستمر لبزوغ فجر الثورة الكبرى، ثورة القائد المنتظر. يجب أن نعيش حالة توقّع غير يائس، ولا جازع. عيوننا متطلّعة للحدث الأكبر... أسماعنا منلهفة لاستماع خبر النهضة العظمى. أفئدتنا مفعمة بالشوق والشغف لساعة الوعد الإلهي. أن نكون على أهبة الاستعداد. ننتظر المفاجأة ونستشرف لمواجهتها. لا يغيب عن بالنا قضية الإمام المنتظر، ولا ننسى الوعد الإلهي بالنصر الظافر. هكذا أراد لنا الأئمّة أنفسهم، وسجّلوه كموقف يجب أن نتخذه، وكحالة نفسية يجب أن نستشعرها ونعيشها باستمرار، يقول الإمام علي(ع): " انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح الله، فإنّ أحبّ الأعمال إلى الله انتظار الفرج [2]، وفي حديث آخر عن أبي الجارود من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام: "قلت لأبي جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله هل تعرف مودّتي لكم وانقطاعي إليكم، وموالاتي إيّاكم؟. فقال: نعم.. والله لأعطينّك ديني ودين آبائي الذي ندين الله عز وجل به: " شهادة لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله.. وانتظار قائمنا والاجتهاد والورع"[3].

الانتظار... لماذا

إنّ الانتظار حالة الأمل، وعدم القنوط... الأمل الذي هو شرط لكل حركة، نحن مدعوّون إلى تمثله دائماً، واليأس الذي هو مدعاة للانحراف، المطلوب منّا رفضه واقتلاع جذوره من أعماق وجداننا. الانتظار يعني أنّنا ما زلنا على أمل بالنصر، لا مجرّد أمل، وإنما ثقة مطلقة بتحقق هذا النصر. فالذين يأملون في شيء قد لا يملكون قناعة بأنّهم سينالوه، وهم ينتظرون لكن على وجل وفي ريبة.

كل الناس يأملون بانتصار الحق، ومحق الباطل، مسلمين وغير مسلمين، لكن من يملك اليقين الذي نملكه؟ والذي كان يملكه الأنبياء والأوصياء، ويغرسونه في نفوس أتباعهم.

نحن لا نأمل بالنصر، وإنّما نرى أنفسنا ونحن نقترب منه. لا يمضي يوم إلاّ وتكون المسافة قد تقلّصت، وأصبحنا على المشارف. هذا هو معنى الانتظار المطلوب. أن لا

1. الشيخ محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية – ص 125
2. الغيبة للنعماني: 208 الحديث 14.
3. الخصال للصدوق: 616.

يخامرنا شك، أدنى شك في أنّنا سننتصر. أن نرى بعين البصيرة رايات الحق تتقدّم، وها نحن ننتظرها كيما تصل إلينا أو نصل إليها. والذين يصابون باليأس يفقدون السلاح وهم وسط المعركة.

فما أيسر أن يقعوا في أسر الضلال والانحراف، وتلك هي الفتنة، وقد قال الإمام عليه السلام: " إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلاّ بعد يأس"[1] ومن هنا تأتي قيمة الانتظار، على أنّ الانتظار له مدلول آخر، ومعنىً عميق غاية العمق. هذا المدلول هو الذي يفسّر لنا لماذا كان الانتظار مطلوباً، وواحداً من مسؤولياتنا مع نوّابنا.

فالانتظار تعبير عن جدارة الحل الإسلامي واستعدادنا لتقبّله، والمشي في ركبه، من يعيش حالة الانتظار لنهضة القائد المنتظر، لا يستطيع إلاّ الثقة بحيوية الإسلام، وقابليته الأزلية على حلّ مشاكل البشرية، وسكب السعادة في قلوبها الحرّى، فالانتظار إذن هو القناعة بالجدارة والأهلية ونحن حينما ننتظر الحل الإسلامي الذي يسود العالم كله تحت راية القائد المنتظر، لا بد أن نكون على أعمق الثقة بهذا الحل. فالتقدّم الحضاري، والتطوّر الذي شهدته الأرض، والتقلب الذي عمّ كل شيء، في التركيب الاجتماعي، والوضع الاقتصادي، وطبيعة الحالة النفسية العامة، إنّ كل ذلك لا يغير من واقعية الإسلام، وقدرته على النجاح، سواء على مستوى النظرية، أو على مستوى التطبيق. فسيبقى الإسلام هو الحلّ الحتمي أزلاً وأبداً. ومهما انحرفت البشرية عنه، فإنّها ستؤوب إليه، وستجده حينذاك مصدر كل السعادة، ومقتلع جذور الشقاء في الأرض.

ما هي طبيعة الانتظار؟... إذا كان علينا أن ننتظر فما هي طبيعة الانتظار المطلوب؟

هناك نوعان من الانتظار

الانتظار الجامد، والانتظار المتحرّك. انتظار أشبه بالموت، أو هو الموت، وانتظار أشبه بالحياة، أو هو الحياة، الأسير المقيّد بالأغلال، والمدفوع نحو المقصلة، ينتظر. والبطل الذي يخوض غمار الحرب، وهو شاكي السلاح، شديد العزم، ينتظر أيضاً. كل من هذين ينتظر الموت والقتل.. لكن هناك فرق كبير بين نوعي الانتظار. فالأوّل مستسلم، لا يستطيع حراكاً، ولا يفكّر حتى في الفرار، والثاني متحرّك، مقدام، ينتظر الشهادة بكل بطولة، بل هو يسعى إليها، ويرحّب بها.

لقد كان محمّد صلى الله عليه وآله ينتظر... كيف كان ينتظر؟ كان القرآن يأمره بالانتظار، (وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ، وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ)[2]. لقد انتظر النصر والفتح، لكن هو الذي كان يمهّد للنصر وللفتح لا غيره، لم يكن يطلب أن يأتيه النصر منحة خالصة من السماء ومن دون ثمن.

1. الكافي: 22/2 الحديث 10
2. إكمال الدين وإتمام النعمة: 346 الحديث 31، الأنوار البهيّة: 366.

لقد هاجر وقاتل، ودعا، وعمل كل شيء في سبيل النصر، ثم كان ينتظر النصر، الانتظار في القرآن، وعند محمّد صلى الله عليه وآله ردیف العمل (اعمَلُوا على مَكانَتِكُمْ، إنّا عامِلُونَ). (وَانْتَظِرُوا إنّا مُنْتَظِرُونَ). فهناك عمل ثم انتظار.

الانتظار في مفهوم القرآن لا يعني الجمود والتوقّع البارد الزائف المبت. إنما يعني التربّص، المداورة مع العدو، التحرّك في شتّى الطرق، استغلال لحظات الضعف، عدم تضييع الفرص، هذا هو التربّص وهو الانتظار القرآني، (قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ، فَتَرَبَّصُوا، فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ، وَمَنِ اهْتَدى)[1]. ولقد انتظر أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ)[2] لكنه لا ينتظر أن يأتيه الموت وهو في فعر داره، وإنّما ينقدّم ليكسب الموت، أو الفتح، فما هو إلاّ إحدى الحسنيين. لقد كان الأئمة ينتظرون الفرج، ويوصون أصحابهم بالانتظار. وكما ننتظر اليوم قائم آل محمّد، لقد كانوا مثلنا ينتظرون، لكن هل تركوا العمل والتضحية، والنشاط الدائب من أجل الحفّ.

إنّ انتظارهم لم يكن يعني إلاّ الاستعداد الدائم والعمل المتواصل، في السرّ والعلن، والتمهيد للنتيجة المطلوبة، هذا هو الانتظار في مفهوم مدرسة أهل البيت عليهم السلام. بث الدعوة، وتوجيه الناس وتحصين قواعد الشيعة، وتوسيع دائرتها... ألم يبارك الأئمّة ثورات العلويين. ثورة زيد، والنفس الزكية، وحركات الحسنيين المتصلة... لقد مدّوا لها جميعاً يد العون في السر، بينما كانوا يحافظون على الخطوط الخلفية، ويحصنون قواعد الشيعة في ذات الوقت. ألم تكن أموالاً طائلة تصب في دورهم ليلاً، وتجمع لهم سرّاً؟ أين كانت تصرف؟ وما معنى هذا العمل؟ لو عرف الأئمّة من الانتظار معنى الجمود فلماذا طاردهم العدو، واضطهدهم ورماهم في غياهب السجون؟!

الانتظار عمل وليس سكوناً، ومن هنا كان " أحب الأعمال إلى الله انتظار الفرج " كما عبّر الإمام[3]، فإذا كنا مدعوّين إلى الانتظار، فإنما نحن مدعوون إلى العمل إلى الانتظار المتحرّك الحي، لا إلى الانتظار الجامد المبت، ففي الحديث عن علي بن الحسين عليه السلام: يا أبا خالد: إنّ أهل زمان غيبته القائلون بإمامته المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان... أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً" [4]

إنّ مثلنا في عصر الغيبة مثل الطليعة التي تنتظر كنائب الجيش. بعد أن تكون قد مسحت لها الأرض، وكشفت لها الساحة.

---

1. هود (11): 121و122.
2. الأحزاب (33): 23.
3. الأمالي للشيخ الصدوف: 436.
4. إكمال الدين وإتمام النعمة: 320 الحديث 2، الاحتجاج للطبرسي: 50/2

ولكن الانتظار أيضا له أبعاد للمسئولية التمهيدية التي تخدم البشرية فاطبة, وهذه المسئولية لها حدودها ونطاقها فضلا عن أصلها الحقيقي الداعي من أجل خلاص البشرية.

أولا... الأبعاد الإنسانية لمسؤولية التمهيد

إن التمهيد للإمام القائم عليه السلام لابد أن يكون معتمد على الانتظار الإيجابي من قبل المؤمنين بقيادة المنقذ للبشرية من الدمار والتمهيد للعودة الميمونة تعتبر مسئولية لها حدود وأبعاد إنسانية ذات جذور إلهية المصدر والتكوين, والإنسان ملتزم بمسؤولية التمهيد في البعد الإنساني, وعلى أسس ربانية, وهذه الأبعاد لمسؤولية التمهيد في زمن الانتظار كما يلي:-

1- أن نجعل من أنفسنا شخصيات إسلامية واعية, على مستوى مواجهة التحديات المناوئة, وذلك بتعميق الوعي العقائدي, والالتزام بالسلوك الإسلامي الصحيح.

وإذا ما عرفنا قوة التحديات الفكرية المادية المعاصرة وحدة المغريات والمرغبات المتوفرة, أدركنا مدى مسؤولية الإنسان المؤمن وقيمة تمسكه والتزامه.

لذلك تعتبر الروايات الواردة عن الأئمة القادة التزام المؤمن بإيمانه ومواجهته للتحديات المناوئة في عصر الغيبة. تعتبر ذلك جهاداً ونضالاً لا يقل عن جهاد صحابة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله, فعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: (من ثبت على موالاتنا في غيبة قائمنا, أعطاه الله عزّ وجلّ أجر ألف شهيد من شهداء بدر وأحد).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة قائمنا فلم يزغ قلبه بعد الهداية)[1]

وقد أكّد الإمام القائد المهدي عليه السلام في رسالة وجهها لأوليائه المؤمنين, عبر الشيخ المفيد (رحمه الله), أهمية الالتزام بالسلوك الصحيح, وعدم الانسياق خلف المغريات والشهوات المنحرفة. قال: (فليعمل كل امرئ منكم بما يقربه من محبتنا, ويتجنب ما يدنيه من كل كراهتنا وسخطنا)[2], وحينما يرفع الإنسان المؤمن وعيه إلى مستوى المواجهة, ويجعل سلوكه في مستوى المسؤولية في هذه الظروف الحرجة. فإنه بذلك يتفوق في فضله ومكانته على جميع الأجيال المؤمنة السابقة. كما ينص على ذلك الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: (إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته, والمنتظرين لظهوره, أفضل من أهل كل زمان, لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة, ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة العيان, وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف, أولئك

1. المصدر السابق, ص514.
2. الغيبة الكبرى, ص427.

المخلصون حقاً والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً)[1]

2- تهيئة النفس وتربيتها على التضحية والبذل والجهاد في سبيل الله: إن نفس الإنسان لا تتغير فجأة، ولا تتحول في لحظة واحدة لتصبح نفسية باذلة معطاءة مستعدة للجهاد والتضحية، بل على الإنسان على أن يربي نفسه ويهيئها مبكراً لينجح في لحظة الامتحان وفي وقت الحاجة، وإلا فسيخسر نفسه ويضيع الفرصة، ويكون من الهالكين.

والمؤمن الذي يعيش في عصر الغيبة، منتظراً لخروج الإمام القائد وظهوره لابدّ وأن يهيئ نفسه لاستقبال الإمام، والانضمام إلى جبهته، والعمل تحت لوائه.

وهذا لا يتأتى للإنسان إذا لم يرب نفسه ويهيئها من الآن للساعة المنتظرة قبل أن تأتي تلك الساعة وهو يفقد زمام نفسه وتخونه إرادته.

ولأن موعد الظهور مجهول لدى الإنسان المؤمن فيجب أن يكون على أهبة الاستعداد دائماً وأبداً، وينوقع الأمر في كل لحظة، فقد سئل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟، فقال صلى الله عليه وآله: (مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلاّ الله عزّ وجلّ، لا تأتيكم إلا بغتة)[2]، وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام: (عندها تتوقعون الفرج صباحاً ومساءً)[3]، وعن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام: (إن أمرنا بغتة فجأة)[4]

ثانيا: حدود المسئولية الجهادية

تشمل حدود المسؤولية الجهادية للتمهيد ما يلي:

أ - تغذية النفس بالثقافة الدينية الواعية، التي تحث الإنسان وتجند كل مشاعره وأحاسيسه باتجاه البذل والتضحية والعطاء، كالقرآن الكريم ونهج البلاغة، وأحاديث أهل البيت عليه السلام، وتعاليهم.

فهناك أدعية رائعة يستحب للمؤمن أن يكررها في عصر الغيبة، كدعاء العهد الذي يكرس في نفس الإنسان حب التضحية وإرادة البذل والجهاد، ولذلك يستحب قراءته كل يوم صباحاً.

وهذه الفقرات المقتطفة من هذا الدعاء العظيم: (اللهم بلّغ مولانا الإمام الهادي المهدي القائم بأمرك (صلوات الله عليه وعلى جميع آبائه الطاهرين) عن جميع المؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها، سهلها وجبلها وبرها وبحرها. وعني وعن والديّ من الصلوات زنة عرش الله، ومداد كلماته، وما أحصاه علمه، وأحاط به كتابه...

اللهم إني أجدد في صبيحة يومي هذا، وما عشت من أيامي عهداً وعقداً

1. المصدر السابق، ص448.
2. الغيبة الكبرى، ص427 - 428.
3. الغيبة الكبرى، ص427 - 428.
4. الغيبة الكبرى، ص427 - 428.

وبيعة له في عنقي، لا أحول عنها ولا أزول أبداً...

اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه والذابين عنه، والمسارعين إليه في قضاء حوائجه، والمنمتلين لأوامره، والمحامين عنه، والسابقين إلى إرادته، والمستشهدين بين يديه.

اللهم إن حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني، شاهراً سيفي، مجرّداً قناتي، ملبياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي.

اللهم أرني الطلعة الرشيدة، والغرة الحميدة، وأكحل ناظري بنظرة مني إليه، وعجل فرجه وسهل مخرجه وأوسع ومنهجه واسلك بي محجته وأنفذ أمره واشدد أزره)[1]

وفي دعاء الافتتاح الذي تستحب قراءته كل ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك، مناطق تهز وجدان المؤمن وتشعره بسوء الواقع الأليم الذي يعيشه في غياب سلطة الحق والعدل، وتجعله يتشوف إلى التضحية والعطاء في سبيل الله، كما يتضح ذلك من تأمل الجمل التالية: (اللهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الإِسْلامَ وَأَهْلَهُ وَتُذِلُّ بِهَا النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ والْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ.اللهُمَّ ما عَرَّفْتَنَا مِنَ الْحَقِّ فَحَمِّلْنَاهُ ومَا قَصُرْنَا عَنْهُ فَبَلِّغْنَاهُ..اللهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنَا صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وآلِهِ وَغَيْبَةَ وَلِيِّنَا وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَقِلَّةَ عَدَدِنَا وَشِدَّةَ الْفِتَنِ بِنَا وَتَظَاهُرَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَعِنَّا عَلَى ذَلِكَ بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ وَبِضُرٍّ تَكْشِفُهُ وَنَصْرٍ تُعِزُّهُ وَسُلْطَانِ حَقٍّ تُظْهِرُهُ وَرَحْمَةٍ مِنْكَ نُجَلِّلُنَاهَا وَعَافِيَةٍ مِنْكَ نُلْبِسُنَاهَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.اللهم برحمتك في الصالحين فأدخلنا... وقَبْلاً في سَبِيْلِكَ فَوَفِّقْ لَنَا)[2]

ب - الممارسة الفعلية للعطاء والتضحية في سبيل الله حسب الإمكانات والظروف، بالتبرع بالمال للفقراء والمحرومين.

فبالمساهمة في الأعمال والنشاطات الخيرية الإسلامية، وبالدفاع عن قضايا الحق والعدل في المجتمع، وبالاهتمام بشؤون الأمة وأحداث العالم.

وإلاّ فمن يبخل الآن بشيء من ماله، فسيصعب عليه غداً أن يجود بنفسه، ومن ينهرب اليوم عن المشاركة في مشاريع الخير، فسيكون أول المنهزمين فيما بعد عن ساحة النضال، والذي لا تهمه الأوضاع المعاصرة ولا يفكر في واقع أمته، سوف لا يتوقف في ذلك الوقت للعمل من أجل توحيد العالم تحت راية الإسلام.

ولا يكفي الرجاء والتمني بديلاً عن الممارسة الفعلية، فإن القرآن الكريم يحدثنا عن قوم اعتذروا عن البذل في سبيل الله في ظرف ما، على أمل أن يتوفقوا للبذل في المستقبل، وحينما تتغير ظروفهم وتتحسن أحوالهم المادية. ولكنهم لم يتوفقوا

1. كتاب (الدعاء والزيارة) لآية الله الإمام السيد محمد الشيرازي دام ظله.
2. المصدر السابق.

لذلك فيا بعد، لأن نفسيتهم لم تمارس البذل، ولم تتشرب على العطاء.

يقول تعالى: (وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ)[1]

إن المهمة الأساسية للإمام المهدي حين خروجه هي: نشر الحق والعدل، وبناء دولة إسلامية عالمية لجميع البشر... فعلى المؤمن أن يقوم بدور التمهيد لإنجاز هذه المهمة الخطيرة، وذلك ببث الوعي الإسلامي الصحيح على أوسع نطاق في العالم، وبتكوين نواة المجتمع الإسلامي الذي يهدف الإمام إلى تحقيقه.

فإذا ما بدأ المؤمنون مسيرة العمل والنضال من أجل تطبيق رسالة الله وترجمتها إلى واقع اجتماعي حيّ، فإن الإمام المهدي عليه السلام حين خروجه سيكمل تلك المسيرة، ويتوجه بانتصاراته العالمية الحاسمة.

وهناك مجموعة روايات تشير إلى هذه الحقيقة، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: (يأتي قوم من قبل المشرق ومعهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوه، فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها قسطاً كما ملئت جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج)[2]

وعن الإمام الباقر عليه السلام: (وكأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم، فيعطونه ما سألوا، فلا يقبلون حتى يقيموا، ولا يدفعونها إلاّ إلى صاحبكم (يعني الإمام المنتظر) فتلاهم شهداء).

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام يتحدث عن المؤمنين في عصر الغيبة قوله عليه السلام: (أولئك هم المخلصون حقاً، والدعاة إلى الله سرًّا وجهراً).

إنّ البحث عن المسؤولية، وعمّا ينبغي أن نفعل، وعمّا هو الواجب علينا، ليس بحثاً نظرياً أستطيع أن أقول فيه كلمتي دون أن ألاحظ بذلك موقف الناس وموقف الأمّة، وموقف الرجل المسلم. حينما أحدّد المسؤولية في شيء فإنّني أكون قد وضعت الموقف العملي للرجل الشيعي، ورسمت له المنهج الذي تتطلّبه المرحلة، ومن هنا تنشأ خطورة هذا البحث.

إنّه بطبيعته بحث مسؤول، يشعر الداخل فيه أنّه مسؤول عن كل كلمة يقولها، ويسجّلها بهذا الصدد. على أنّ خطورة هذا الحديث تنشأ من أهميته وفاعليته في حياتنا في ذات الوقت. فليس هو موضوعاً عابراً، تصادفه مرّة أو مرّات معدودة في العمر، بل إنّنا نعيش معه في كل لحظة ونرسم على ضوئه منهج حياتنا طول العمر. فالخطأ فيه ليس أمراً قد يهون.

والتأثر بالعواطف والخلجات النفسية، والعقد الباطنية في مثل هذا الموضوع يعتبر في غاية الانحراف والتجاوز عن حدود المسؤولية. وأنا غير شاك في أنّ طبيعة مزاج

1. سورة التوبة، الآية 75 - 76.
2. في انتظار الإمام، ص145.

الشخص، ونوع ميوله النفسية، قد يقف حاجباً بينه وبين أن يصل لحقيقة الموقف الذي ينبغي أن يتخذه. كثيراً ما نرى أنّها تعمل عملها في تفهم واقع المرحلة، وتحديد الموقف على ضوئه.

فبطبيعة الحال نجد أنّ الانهزاميين والجبناء والمتشبثين بالأرض، الطامعين في ترف الأرض ومجد الأرض هؤلاء.. نستطيع أن نجزم مسبقاً بالحكم الذي سيصدرونه حينما يكونون بصدد تحديد المسؤولية. لا تنتظر سوى أحكام متخاذلة جبانة. سوف ترى مواقف تهرّب، وكسل، وخوف. سوف تشهد على الدوام، صمتاً، صمتاً. قف، لا تتحرّك القضية خطرة، الإقدام لا يخلو من تهلكة. لا عليك، ولا يعنيك الأمر، ما أنت وذا؟ "لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها".

وعلى النقيض حينما تكون القضية محقّقة لمصلحة شخصية، مجد في الأرض، جاه عند الناس، ثروة من الثروات، تفوّق على الآخرين بحساب المادّة. هنا تستخدم كل الحيل، وكل الوسائل. أقصى ما يملك هذا الرجل من لباقة، وفطنة، وعبقرية يضعه لحساب البرهنة والتدليل على صواب موقفه. يدافع بكل حرقة، وكل حرارة، كما لو كان الموضوع يهم الإسلام والمسلمين. يفتش عن آخر طريق يستطيع النفاذ من خلاله ليقول: إنّ مسؤوليته تحكم عليه بهذا الموقف، ومن ثمّ يكون قد كسب المال، والمجد والراحة، أو ما حلى له من طيّبات الدنيا، باسم المسؤولية، وباسم الدين والشرع والقانون.

لقد رأينا هذه النماذج من الناس. لقد عرفناهم معنا، وعرفناهم في امتداد التأريخ. أليس قد انحاز عمرو بن العاص إلى جبهة معاوية، وإنّه ليعرف أنّ معاوية لعلى ضلال؟ لقد راجع قضيته في نفسه مسبقاً، وعرض عليها الخيار بين الدنيا وبين الدين، أشار عليه أحد ولديه بأن يتّبع علياً طالما هو يعرف أنّه على حق، والحق أحق أن يتبع. بينما وسوس له الآخر الدخول في سلك معاوية، فإنّ الدنيا تنضح من إنائه.

ماذا كانت النتيجة؟ لم يصمد ابن العاص أمام إلحاح الذات، وقوّة الهوى، واندفع مهرولاً يلتمس أعتاب معاوية، وإنّه يلتمس لنفسه المعاذير عن هذا الموقف ويودّ لو يجد من الشريعة ما يسمح له بذلك. وأبو موسى الأشعري؟ أنت تدري أنّه هو الذي كان يخذّل الناس عن عليّ، وهو بطل التحكيم، وفارس لعبة السلام، حينما اتفق مع مبعوث معاوية، عمرو بن العاص على أن ينزع كل منهم الخلافة من صاحبه ويريحوا الأمّة من عناء الخلاف والقتال.

هؤلاء يعرفون الحقيقة جيداً، وإنّهم لعلى يقين. لكن الحقيقة لم تكن دوماً مع هوى الإنسان أو عواطفه ومزاجه.

ولذا فقد ابتعدوا عنها، لأنّها لا ترضي طموحهم، ولا تروي ظمأهم للترف والجاه والمال. ولقد برّؤوا ساحتهم بشتى المعاذير، لكن أيّها كان صادقاً؟

لقد كان هؤلاء من نفس القائمة التي كان منها الأبطال المخلصون، أبو ذر، وعمّار، وسلمان، وبلال. بلا شك كان ابن العاص والأشعري يعرفان كل شيء عن المسؤولية، وعن الواجب، وعن خط الشريعة القديم. لكنّها لا تعمى الأبصار، وإنّما تعمى القلوب

التي في الصدور. فمهما يكن الشخص عالماً، واعياً، مشحوناً بقضايا العلم والدين، فإنّ ذلك لا يكفي للثقة بمواقفه ورؤيته، إذا لم يتجرّد عن دوافع الأنا ونزعات الذات.

ومن ذلك يصبح المطلوب هو أن نعرف: كيف نحدّد مسؤوليتنا بعيداً عن المزاج، والعاطفة، والطموحات الشخصية.

ومهما يكن فإنّ علينا الآن تحديد مسؤولياتنا. ما هو الدور الذي يجب أن نلعبه في ساحة الصراع العام بين قوى الحق، وقوى الانحراف. وما هو الموقف الذي يجب ترسيخ أقدامنا فيه؟ بأي نفسية يجب أن نكون؟ وإذا كانت قيادتنا المعصومة مغيّبة عنّا، فهل نملك قيادات ثانوية نيابية؟ وما هو أسلوب تعاملنا مع تلك القيادات؟ لقد وجدت أنّ بالإمكان اختصار مسؤولياتنا تحت العنوان التالي: "التمهيد للدولة الإسلامية الكبرى". التقدّم خطوات من أجل تحقيق الإنقاذ العام للبشرية. التمهيد لسحق آخر كتيبة من كتائب الظلم، وفتح أبعد حصن من حصونه.

التمهيد لتحقيق شرائط الوعد الإلهي القاطع. (وَعَدَ اللهُ الّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرْضِ)[1]

إنّ البشرية التي مارست مختلف الأطروحات وحرصت على التشكيك بكل وسيلة، من أجل الحياة المطمئنة السعيدة. ثمّ خابت كل آمالها، ويئست من كل الحلول، وتكشف لها الضلال، والخداع، والزيف حينما ولّت وجهها، ولمست العفونة والتعسّف حينما وضعت يدها. إنّ هذه البشرية التي حرفتها أيادي الغاشمين، المستبدين عن رسالة السماء، ستعود إلى رسالة السماء. وينما تنكشف الخدعة، وينما ينجهّز الحق للهجوم الأخير الظافر. فتملأ الأرض بالقسط، وتسود العدالة.

علينا الآن أن نواصل العمل. أن نكسب انتصارات، أن نحقّق أهدافاً. أن نفتح حصوناً. أن نكتشف الخدع والمؤامرات. أن نفضح الغاشمين، فراعنة الأرض في كل مكان. أن نفتح عيون البشرية على الطريق. أن نمسك الزمام ثمّ نتقدّم. إنّك حين تكسب واحداً للحق، تكون قد مهّدت لدولة الحق، وحينما تفضح زيف الباطل تكون قد عرقلت مسيرته. إنّ ساعة النصر قريبة لكنها مرهونة بمقدار ما نحققه من انتصارات جزئية، تمزّق كبد الظلم والطاغوت، وتدعم جبهة الحق، وشعوب الحق.

ثانيا... حدود مسئولية التمهيد

إنّ مسؤولينا يمكن أن نختصرها كالتالي: " التمهيد للدولة الإسلامية الكبرى". ونعتقد أنّ ذلك بحاجة إلى تفصيل أكثر. فما هي حدود هذا التمهيد؟ وما هي كيفيته؟ وإجابة على هذا السؤال نجده في إطارين: الأوّل: العمل على صعيد الذات، الثاني: العمل على صعيد الخارج.

كيف نعمل على مستوى ذواتنا؟ أقصد.. بأي نفسية يجب أن نواجه مشكلتنا؟ وعلى أي محتوى، وعلى أي استعدادات يجب أن نطوي صدورنا؟ إنّنا نواجه مشكلة عنيفة، وفي غاية العنف. إنّنا نعيش صراعاً مريراً قاسياً غاية القسوة. حكم الطاغوت

1. النور (24): 55

والفراعنة يستبد، وينجبّر، ويُبيد. والباطل يعمّ وينتشر ويقارع الحق بأخبث كيد، وأعقد وسيلة. الباطل ينسرّب باتجاهاته، وتياراته إلى صفوف الحق. وكثيرون راحوا ضحية هذه الاتجاهات المدسوسة.

فترى مظاهر الانحراف في كل مكان وفي كل جادّة، وفي كل بيت! والانحراف هو الذي يملك الحكم، وأجهزة السلطة. يملك الجند، والشرطة، وأجهزة الأمن. يملك المادّة، والسلاح، والرجال. يملك وسائل الإعلام، وسبل الدعاية. حقارته تزداد يوماً بعد يوم. يقتل، يشرّد، يعذب، يحبس. يخادع، ينافق، يمكر، يغوي. وغرف كثير من الناس في البحر، وطمّهم الموج. ابتعدوا عن النور. ركضوا وراء كل صيحة. تعقوا وراء الناعقين. لا ثبات لهم على الأرض. ولا قرار لهم على رأي، ويحسبون أنّهم يحسنون صنعاً. والخطر يداهم كل واحد منا. لم تبق بيننا وبين الانحراف حدود، ولا سدود. تداخلت الجبهات، فالباطل يعيش في ديار الحق. هذه هي مشكلتنا.

ومعها.. فإنّا نريد النصر لجبهتنا، نريد أن لا ننحرف، ولا ننصهر، ولا نيأس. نريد أن نتقدّم كل يوم، نخنق أنفاس الباطل، نضيّق عليه الأرض. غزو متبادل، ومعركة في غاية التعقيد والضراوة. فصائل من قوى الانحراف انضمت إلى جبهة الحق. وفصائل من قوى الحق أسرها الانحراف، فاستسلمت. كيف نعمل على مستوى نوائنا إذن؟ من أجل حمايتها. ومن يدّلنا على طبيعة هذا العمل؟ مدرسة أهل البيت عليهم السلام هي التي تحدّد لنا طبيعة العمل.

إنّ علينا أن نلتزم بالثبات، فحينما نعرف أنّنا على حق فما علينا إلاّ أن نثبت. وحينما نعرف أنّ خصومنا على ضلال فما علينا إلاّ أن لا نتنازل لهم. (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا بِالقَولِ الثّابِتِ)[1]. هل تعرفون ثبات أبي ذر، وميثم التمّار وحجر بن عدي؟ لقد ثبت أبو ذر.

لقد أريك الانحراف، حتى اضطرّوا إلى نفيه للربذة، الخالية من الناس والخالية من القوت، ولكن شيئاً من ذلك لم يمنعه عن الإصراح بالحق، والصراخ في وجوه الظالمين. ولقد قال له علي ساعة توديعه وهو راحل إلى الربذة: " يا أبا ذر إنّك غضبت لله، فارجُ من غضبت له. إنّ القوم خافوك على دنياهم و خفتهم على دينك" [2]. ولقد ثبت ميثم التمّار، ولم يعبأ أن تقطع يداه ورجلاه، ثم يقطع لسانه. فهو مسدود إلى جذع نخلة، لم ينقطع عنه نزيف الدم، كان يفضح الباطل، ويشهّر بحكم الطواغيت، ويعرّف الناس بالحق. ويلقّنهم درساً في الثبات والنضال، حتى اضطرّ خصومه لأن يقطعوا لسانه فيكفّ عن الكلام. وأنت تعرف حجر بن عدي، بطل من أبطال جبهة علي عليه السلام.

هؤلاء كيف ثبتوا؟ لقد وثقوا أنّ الحق معهم، والحق لا يعدله شيء، والهزيمة عن الحق ارتماء في أحضان الضلال، وجرم ليس مثله جرم. (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ فأولئك حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ في الدُّنيا وَالآخِرَةِ).

---

1. إبراهيم (14): 27.
2. نهج البلاغة: 12/2 الخطبة 130، الكافي: 207/8.

ولقد شرح لنا الحسين عليه السلام قيمة الثبات، وهو في معرض الحديث عن القائد المنتظر، فقال: " له غيبة يرتدّ فيها أقوام، ويثبت على الدين آخرون، ويقال لهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ أما أنّ الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله"[1].

وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: "إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة، المتمسّك فيها بدينه كالخارط للقتاد.. ثمّ قال: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتّق الله عبد وليتمسّك بدينه"[2].

والثبات يتطلّب منّا جهداً. فعلينا أن نعرف مواقع العدو، وخدع العدو. وعلينا أن نحصّن أنفسنا بالسلاح الكافي للحماية، والكافي للهجوم في ذات الوقت. علينا أن نعرف كاملاً عقيدتنا، لنملك حينذاك تمام الثقة بها، والقدرة على الدفاع عنها، فإنّ العقل الفارغ مغارة إبليس كما ورد في الحديث الشريف. علينا أن نكتشف باستمرار زيف التشكيلات التي يقدّمها أعداؤنا.

ثم علينا أن نعرف أنّ القضية قضية نفس لا بدّ أن نعوّدها الصبر، والعزّ، والإقدام، والتضحية، والشجاعة. يجب أن نصبح على مستوى قضيتنا، فكل شيء إزاءها رخيص وكل شيء من أجلها يهون. ولنتمثل جيداً منطق المقداد حين استشار رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه للحرب، فقام إليه وقال: " يا رسول الله: امض لما أراك الله فنحن معك. والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون. ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون"[3].

يحدّثنا عمّار الساباطي، أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّما أفضل العبادة في السر مع الإمام منكم المستتر في دولة الباطل، أو العبادة في ظهور الحق ودولته مع الإمام منكم الظاهر؟ فقال: يا عمّار: الصدقة في السرّ أفضل من الصدقة في العلانية، وكذلك والله عبادتكم في السر مع إمامكم المستتر في دولة الباطل وحالة الهدنة أفضل ممن يعبد الله عزّ ذكره في ظهور الحق مع إمام الحق الظاهر في دولة الحق. وليست العبادة مع الخوف في دولة الباطل مثل العبادة والأمن في دولة الحق. ولقد عجب عمار وهو يسمع هذا الجواب من الإمام، ولم يكتم استغرابه،

فقال: " قد والله رغّبتني في العمل، وحثثتني عليه. ولكن أحب أن أعرف كيف صرنا نحن اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الإمام الظاهر منكم في دولة الحق، ونحن على دين واحد. فقال: إنّكم سبقتموهم إلى الدخول في دين الله عز وجل، وإلى الصلاة والصوم والحج، وإلى كل خير وفقه، وإلى عبادة الله عزّ ذكره سراً من عدوكم، منتظرين لدولة الحق، خائفين على إمامكم وأنفسكم من الملوك والظلمة.. مع الصبر على دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف من عدوّكم، فبذلك ضاعف

1. البقرة (2): 217.
2. إكمال الدين وإتمام النعمة: 317 الحديث 3.
3. الكافي: 335/1 الحديث 1، إكمال الدين وإتمام النعمة: 343 الحديث 25.

الله عز وجل الأعمال، فهنيئاً لكم"[1]. وهكذا يصبح الثبات عظيماً، حين نعيش تحت سيطرة الظلم، دون أن نصافحه، أو نلين له.

إذا كنّا نريد أن نخدم الحق، ونقدّم له، فإنّ الثبات أولاً شرط ذلك. وإذا كنّا قد خسرنا من جبهة الحق عدداً من الناس، فلماذا نخسر أنفسنا، ونضيّع على الحق حتى طاقتنا نحن؟!. ومهما يكبر حجم الضلال، ويزداد عدد الزالقين في واديه، فإنّه لا يجوز لنا أن نترك الساحة خالية من أحد، ونولّي للمعركة دبرنا، إنّا إذن لظالمون. (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ.. فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ)[2].

والمعسكر يتكوّن من آحاد. أو لسنا نشكّل أولئك الآحاد لنكوّن معسكراً. لقد تحدّث الإمام الصادق عن ضرورة الثبات في عصر الغيبة قائلاً: " كونوا على ما أنتم عليه حتى يطلع الله عليكم نجمكم"[3]. لا ننحرف إلى يمين أو شمال. لا تجذبنا عن مواقع الحق إغراءات الباطل. ولا تقلعنا من أرض الصدق رعدات الفراعنة واليزيديين. أم نريد أن نكون مثل قوم موسى؟ حين غاب عنهم نبيّهم أربعين ليلة فاتخذوا العجل إلهاً. (فالوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى)[4].

لقد ذهبوا مثلاً في التأريخ. مثلاً للسقوط في الفتنة، والفشل عند الامتحان. لقد كانت لهم فتنة أن غاب عنهم نبيّهم، وأغواهم السامري. وإنّا لفي فتنة يضل فيها من يضل، وينبت فيها النابتون. لقد روي عن إبراهيم بن هليل أنّه قال لأبي الحسن عليه السلام: " جعلت فداك مات أبي على هذا الأمر، وقد بلغت من السنين ما قد ترى، أموت ولا تخبرني بشيء؟ فقال: يا أبا إسحاق، أنت تعجل! فقلت: أي والله، وما لي لا أعجل، وقد بلغت من السن ما قد ترى؟ فقال: يا أبا إسحاق ما يكون ذلك حتى تميّزوا وتمحّصوا وحتى لا يبقى فيكم إلاّ الأقل.."[5].

رابعا... حدود المسؤولية في العصر الراهن

إن التوطئة والتمهيد لظهور الإمام المنتظر والتأسيس لمشروعه الإلهي العالمي، يكون عبر خطوات كثيرة منها:

1. الالتزام بتعاليم الإسلام وأحكامه وقيمه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله ضد الأعداء ومواجهة الظالمين والمستكبرين.

2. العمل على نشر الإسلام وتعريف الناس به وتقديمه لشعوب العالم كطرح بديل ومنقذ وكخيار وحيد لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وتقديم صورة مشرقة نقية وصافية وأصيلة عن الإسلام للعالم من خلال سلوكنا ومواقفنا وجهادنا.

3. السعي لإقامة الحكومة الإسلامية التي تمثل القاعدة التي تحكم بالإسلام.

---

1. سيرة ابن كثير: 392/2، بحار الأنوار: 248/19.
2. الكافي: 1 /333 الحديث 2.
3. الأنفال (8): 16.
4. طه (20): 91.
5. إكمال الدين وإتمام النعمة: 349 الحديث 41.

4. إعداد جيل مؤمن واعٍ مخلص ومضحٍ وبحجم المسؤولية يتولى نصرة الإمام والإعداد لظهوره وعياً وإيماناً وتنظيماً وقوة.

5. تربية الأمة وخصوصاً شيعة الإمام على طاعته والالتزام بأوامره والتقيد التام بتوجيهاته، وقد ورد في صفات أنصار الإمام أنهم أطوع للإمام من بنانه.

إن من أراد أن يكتشف مدى طاعته للإمام عندما يخرج فليكتشف الآن مدى طاعته لنائب الإمام الذي أمرنا بطاعته فإن المقياس في مرحلة الغيبة هو الطاعة لولي الأمر، ومن لا تساعده نفسه ولا دينه ولا عقله ولا شهواته ولا أهوائه ولا طموحاته ولا ميوله على طاعة نائب الإمام المهدي في زمن الغيبة فلن يكون مطيعاً للإمام حين الظهور، وعلى أساس ما تقدم ننتهي إلى النتيجة التالية وهي: أن الانتظار ليس هو الرصد السلبي للظهور وللأحداث المتوقعة من دون أن يكون لنا دور فيه سلباً أو إيجاباً.. كما نرصد خسوف القمر وكسوف الشمس.. وإنما هو حركة وفعل وجهد وجهاد وعطاء وتضحية وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وهذا المفهوم الايجابي للانتظار هو الذي يستحق هذه القيمة الكبيرة التي تعطيها النصوص الإسلامية له كقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «أفضل أعمال أمتي الانتظار»، وقوله: «انتظار الفرج عبادة»، أو «المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه».

ويقول الإمام الخميني: علينا أن ننظر في صحيفة أعمالنا قبل أن تصل إلى محضر الله ومحضر صاحب الزمان.

خامسا...البعد الإنساني لنطاق المسئولية

يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم.. وهذا التصريح يدل على أهمية دور المنتظر - بكسر الظاء- المؤمن بقيام دولة الحق.. ويوجز سماحة الشيخ نجند اليعقوبي هذا الدور بشرطين أساسيين وهما (الإيمان بالعودة إلى الدين، والاستعداد للتضحية)

وبهذا الاشتراط يضع على عاتقنا مسؤولية التمهيد والتعجيل بقضية الظهور فضلاً عن إرادة الله سبحانه فيها...

وفي فكرة الانتظار المتبادل ستنحتم على المسلمين المؤمنين بالظهور مسؤولية العمل والجهد ضمن فضاء الانتظار بحيث يكون انتظاراً ايجابياً فاعلاً ممهداً لا انتظاراً سلبياً محدوداً بالرصد والترقب فقط أي بمعنى الانتظار المجرد، ومفهوم الانتظار الايجابي هو المشروط بالعودة إلى الله والاستعداد للتضحية بحيث يرقى هذا الانتظار الجهادي إلى مقولة الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل عبادة أمتي الانتظار) أو مقولته: (انتظار الفرج عبادة)، أو قوله: (المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه) وبهذا يحمل مفهوم الانتظار أخلاقا إسلامية خاصة مما يتطلب تهذيب النفس ووضعها على محك المسؤولية الإسلامية وهذه من فوائد الانتظار أو ثقافة الانتظار أو بالأحرى من فوائد الغيبة حين تكون قضية إسلامية كبرى يعمل

المؤمنون بها ضمن مسؤولية التمهيد بما يوازي العمل بها في الظهور, هذا الظهور المبارك المرتبط بالتمهيد[1]..

من هنا جاءت فكرة بالشمس التي يحجبها السحاب ما يشير إلى فوائد هذه الغيبة, فالشمس حين يحجبها السحاب لا تنعدم فائدتها ولكنها تعطي إشارات انتظارية إلى فائدة اكبر حين ينقشع السحاب, فضلاً عن فائدة محجوبة بالإيمان بالأمل واليقين بوجودها؟

وهنا نذكر حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال: إن علي بن أبي طالب إمام أمتي وخليفتي عليها من بعدي ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً, والذي بعثني بشيراً ونذيراً إن الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر.. فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري وقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟؟ قال: إي وربي وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين, يا جابر إن هذا الأمر سر من سر الله مطوي عن عباد الله فإياك والشك فيه فان الشك في أمر الله كفر..).

وهكذا يرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قضية الغيبة والإيمان بظهور الإمام القائم إلى مرتبة الإيمان بالله لأنه إيمان بأمر الله ومشيئته..

وبهذا الرفع أيضا يصبح الانتظار برنامج عمل ونهجاً دينياً وجهادياً وتربوياً والتزاماً إزاء قضية يقينية مرتبطة بجوهر الدين الإسلامي سواء من حيث كتب الله أو الأحاديث النبوية الشريفة أو أقوال الأئمة المعصومين عليهم السلام, كذلك امتداد هذه القضية إلى المآلات المصيرية للدين الإسلامي وبالتالي للإنسان على الأرض.

وهو امتداد النبوة والتركة العظيمة التي تركها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسلمين: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي من آل بيتي فمثلما بقي القران الكريم (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) بقي امتداد النبوة عترتي في الأرض حيث جعلها الحديث النبوي الشريف صنواً للقران في البقاء بين المسلمين لكي لا يضلوا حتى يردوا الحوض. وبهذا التقريب إلى الواقع من خلال مشاركة المنتظرين المؤمنين بقضية الظهور وتعلق الأمر إلى حدٍ ما بهم وتكليفهم بالأمر, فإن ذلك يفتح باب الواقعية لهذا الأمر على مصراعيه بتصريحه (هذا هو تكليفنا ضمن الإعداد لدولة الإمام لأنها دولة مؤسسات تقوم على أساس توزيع الاستحقاقات على أهلها ووضع الشخص في الموقع المناسب.

ولا يبني الإمام دولته بالطرق الاعجازية ولا بالسيف والتدمير وإنما بسيرة المصطفى حيث بدأ دعوته وحيداً, وبهذا نبتعد عن كل التصورات الخيالية.

إذن فدولة الإمام المنتظر هي دولة أرضية بمؤسسات أرضية وإمكانات أرضية ولكنها بمشيئة إلهية طبعاً, وبهذا التصور أيضا يكون اشتراكنا _ نحن المؤمنين بالظهور _ ضرورياً وفاعلاً فيها بل يحملنا هذا التصور مسؤولية المشاركة الفاعلة

1. سماحة الشيخ محمد اليعقوبي

الممهدة..

كما تقع مسؤولية تعبئة القواعد المؤمنة بقضية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف على عاتق المرجعيات الرشيدة باعتبارهم الفقهاء العدول فهم نواب الإمام بالنيابة العامة.

وبهذا تكون كل المشاريع السياسية والاجتماعية وغيرها ضمن قضية التمهيد فلابد إذن من أن تكون هذه القضية مخلصة وخالصة لأنها مسئولة ومراقبة بل هي جزء من المشروع الرسالي العظيم الذي يمهد لدولة العدل الإلهية.

المؤسسة الأكاديمية ومنهجية التحضير للظهور المقدس

الدكتور عبدالحسين عبدالرضا العمري[1]

يتمثل دور المؤسسة الأكاديمية من حيث التهيؤ والتحضير للظهور المقدس في عملية وضع برامج تنمية بشرية تلحظ فيها طبيعة الظهور ومنهجية التهيؤ له وصناعة الذات البشرية من خلال الوعي بأهمية الوجود المهدوي المقدس للكون بشكل عام من جهة، وللنوع البشري بشكل خاص، وللأتباع بشكل أخص، بما يوفر بيئة تربوية نظيفة من خلال تلك المنهجية المؤطرة بالنظام الأكاديمي المقنن، وبمضمون من الوعي الناضج المبني على قيم عليا من السلوك الفاضل، والأخلاق العالية، كل ذلك يتم من خلال تبني سياسة تعليمية تربوية تتمدد على مساحة من الوعي العلمي المتمر الذي يستجلب عبر آليات نوعية من قيم التراث الإسلامي العظيم المغمس بالنهج المحمدي العلوي الأصيل.

إن التحضير للظهور المقدس يمثل واجباً شرعياً يستمد شرعيته من المضامين المقدسة التي بنيت عليها النظرية الإسلامية في إشاعة العدل والتهيئة لحكومة العدل الإلهي من خلال صناعة رأي بشري عام يستند في مصداقيته إلى طبيعة الظهور نفسه، بما يمثله من رمزية دينية إلهية مقدسة يتطلب حضورها الواقعي وجود قواعد تنربى على أسس علمية، وعلى المعطيات المسببة للتعجيل بعملية الظهور لارتباطها بماهية المجتمع من حيث النظرية والتطبيق، والمنهج التربوي وتطبيقاته، والدفع بالمجتمع على أساس الفهم الواعي لقيمة المقدس بوصفه يمثل منظومة الخلاص البشري من الظلم والطغيان وسلب الحقوق، والالغاء القسري للقيم الإلهية الحقيقية وإحلال القيم المزيفة محلها، بما يلبي حاجات السلطويين والمخادعين، لا بما يلبي حاجات الجماهير العريضة من الفقراء والمساكين المقهورين.

تعتمد المنهجية الصحيحة لصناعة الفرد المهدوي أكاديمياً، على أساس من

1. كلية الآداب / جامعة ذي قار ــ الناصرية / العراق

القيم الفاضلة وانتهاج طبيعة تعليمية واعية تتمثل الوجود المقدس للإمام المهدي (ع) على أنه وجود واقعي يقارب الحقائق الوجودية المرسلة في بنائها القيمي من جهة، وفي بنائها التطبيقي من جهة أخرى، وفي بنائها الحضوري من جهة ثالثة، باعتبار أن أركان المتلازمات المشار إليه لا تتقاطع في ما بينها، وتتعاطى مع الفكرة المهدوية علمياً، وتمارس دورها النوعي الناضج القائم على المنهج العلمي والعقلي الذي تتبناه الجامعة وتساعد على تطبيقه من خلال التحريض على المشاركة الوجدانية قولاً وعملاً، والمشارطة الذاتية الباحثة عن كينونة الذات وعلاقتها الإشراقية مع الحضور المهدوي الشريف، والقناعة بأن طريق الخلاص يبدأ من هنا.

تهيمن على البحث منظومة القيم الوجودية الإسلامية الأصيلة المتمثلة بالنص القرآني وطرحه بوصفه المنظومة القيمية الحاكمة التي يعتمد عليها الظهور المقدس في إقامة العدل، والموروث النبوي العلوي الشريف بوصفه المنهج الذي يمكن أن يتعاطى من خلاله الحضور المقدس في بناء حكومته العادلة، وتوجيه الأفراد بناء على تلك المعطيات التي يجري منهجتها أكاديمياً، بما ينعش الذاكرة الواعية للأتباع ويحفزها للتفاعل من الآن والتهيؤ لاستقبال الظهور المقدس بوعي جماهيري منظم، ووعي علمي قائم على المنهجية القادرة على صناعة الفرد الأكاديمي المهيأ لاستقبال الظهور المقدس.

يستخدم البحث الآليات العلمية المتعارف عليها في بيان المنهجية الأكاديمية الصانعة للفرد الأكاديمي وتهيئته استعداداً لممارسة دوره ابتداءً من لحظة عرض الفكرة بوصفها بذرة يجري انباتها عملياً والتوجه الى الاهتمام بهذا الفرد المهيأ للظهور المقدس في تنميته فكرياً وعقائدياً، وارشاده وفق المنهج الأكاديمي إلى أفضل السبل في بناء الذات المتطلعة والمتشوقة للظهور والتحضير نفسياً وعقلياً واجتماعياً لاستقبال الظهور والاشراقة الكبرى التي ستطل بنورها على الكون كله.

مدخل

تعد المؤسسات الأكاديمية في بلدان العالم كافة هي الوعاء المنتج لمختلف النظريات في العلوم المختلفة، التطبيقية منها والإنسانية على حد سواء، وقد جرت العادة في هذه المؤسسات الأكاديمية أن يبادر علماؤها وباحثوها ومفكروها أيضاً إلى إعادة انتاج النظريات التي قدمها الباحثون قديماً، في العلوم بشتى أنواعها، بغية الاستفادة من قراءتها قراءة جديدة واعية تتلاءم وروح العصر من جهة، ومن جهة أخرى، البحث عن الجزئيات التي تتلاءم وحركة المجتمع الصاعدة باتجاه بلوغ أعلى درجات التطور والكمال الحضاري.

وبطبيعة الحال تقوم هذه المؤسسات الأكاديمية بربط واقع الحال بالماضي من جهة ببيان الأبجديات الأولى التي تقوم عليها تلك النظريات، وربط الواقع بالمستقبل من حيث كونه يمثل الغاية أو الهدف من وراء ذلك والنظر في مدى أهلية تلك النظريات ومواكبتها لتطور الحياة من جهة أخرى، ولأن ذلك يعد مهمة تنهض بها المؤسسة الأكاديمية نفسها بوصفها قائدة المجتمع ومركز التنوير والإشعاع الفكري الذي يستلهم منه المجتمع إبداعه وطريقته في الحياة، كل ذلك جرى ويجري وفق منهج تعليمي وتربوي وضعت أساساته بناء على حاجة المجتمع المتطورة تفصيلياً، على أن يجري تحديث ذلك بناء على الحاجة المتجددة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية وغيرها، بما يسهل مهمة المجتمع، بحثاً عن إمكانيات جديدة يستطيع المجتمع الإنساني التعامل بها ومن خلالها وعلى أساسها؛ لما تمثله من ركيزة أساسية يجري التحرك عليها بوصفها قاعدة منتجة أخلاقياً وتعليمياً وفكرياً، بما يجعل المجتمع البشري بشكل عام، والقواعد التي تنهض بهذه الأطروحات والأفكار ذات واجب مركب، فهي من جهة تعد أنموذجاً للعرض والطرح، ومن جهة أخرى تمثل الصف المتقدم في التطبيق العملي لما يمكن أن تكون عليه الأفكار والأطروحات الفكرية والنظرية.

ولذلك فإن المسلمين ليس بدعاً من هذه الأمم والشعوب في محاولة وضع منهجية علمية من خلال مؤسساتهم الأكاديمية، كونها مراكز علمية مرموقة لدراسة كل النظريات التي عرضها المفكرون والفلاسفة المسلمون السابقون، أو التي أشار اليها وذكرها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) في مقولاتهم وإشاراتهم، ومن هنا تبرز أهمية تناول ما يخص أهل البيت (عليهم السلام) من نظريات بوصفهم الوعاء الحاوي للعلوم الربانية، وكما قال أمير المؤمنين (ع) ((نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة))[1]، وهذه الإشارة واضحة لفلسفة الانتظار وطبيعته ومردوداته الإيجابية والسلبية.

ولعل من أخطر النظريات _ إن لم تكن أخطرها على الاطلاق _ التي أشار إليها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأئمة عليهم السلام، هي وجود رجل ينتمي إلى السلالة المحمدية الشريفة، غائب عن الأنظار منذ ما يزيد على اثني عشر قرناً تقريباً وما يزال غائباً إلى اللحظة التي نعيشها، ووجوده واجب مراعاة للحال البشرية العامة، حيث بعد ذلك فيضاً ربانياً ومن الألطاف التي يعيش في ظلها البشر، وتستكمل هذه النظرية كينونتها الوجودية بظهور هذا الإمام الغائب يوماً ما ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وقد أصبح هذا الكلام من المتواتر لدى المسلمين بشكل عام مع الأخذ بنظر الاعتبار وجود بعض الفوارق الجزئية التي لا تقدح في أصل النظرية، وما يعزز هذه النظرية من حيث الأصل أنها موجودة في الديانات الأخرى ولكن بأشكال وأنماط تتناسب ومفهوم تلك الديانات عن الشخص المخلص

1. نهج البلاغة 162 – 163.

في نهايات الحياة البشرية على هذا الكوكب.

تتخذ الكتابة عن الأمام المنتظر (عج) أساليب شتى وصيغاً متعددة تختلف عن بعضها بعضاً باختلاف الوجه الذي يسلكه الباحث وقد اغنى الباحثون في هذا المجال المكتبةالإسلامية بالعديد من المؤلفات القيمة التي تناولت موارد شتى من العقيدة المهدية. وكلما غاص الفرد في خضم هذه العقيدة فتحت له أبواب لا حصر لها يلج فيها ليستخرج منها الدرر النفيسة, وفي هذه الدراسة الموجزة ارتأينا أن نطرح نظرية وجود الأمام المهدي (عج) من خلال عرض منهجي يتطلب وجود منهج أكاديمي منظم, ومن خلال ذلك نستطيع أن نعطي هذه القضية الكبرى حجمها الحقيقي بشكل واضح متجاوزين بعض الجزئيات التي تركنا الخوض فيها خوفالإطالة التي لا تعني شيئاً أحياناً.

إن التحضير للظهور المقدس يمثل واجباً شرعياً وأخلاقياً يستمد شرعيته من المضامين المقدسة التي بنيت عليها النظرية الإسلامية في إشاعة العدل والتهيئة لحكومة العدل الإلهي من خلال صناعة رأي بشري عام يستند في مصداقيته إلى طبيعة الظهور نفسه, بما يمثله من رمزية دينية إلهية مقدسة يتطلب حضورها الواقعي وجود قواعد بشرية تتربى على أسس علمية, وعلى المعطيات المسببة للتعجيل بعملية الظهور لارتباطها بماهية المجتمع من حيث النظرية والتطبيق, والمنهج التربوي وتطبيقاته, والدفع بالمجتمع على أساس الفهم الواعي لقيمة المقدس بوصفه يمثل منظومة الخلاص البشري من الظلم والطغيان وسلب الحقوق والالغاء القسري للقيم الإلهية الحقيقية و ما يجري من إحلال القيم المزيفة محلها, بما يلبي حاجات السلطويين والمخادعين, لا بما يلبي حاجات الجماهير العريضة من الفقراء والمساكين المقهورين.

ويكمن التحضير لمسألة الظهور المقدس والتعاطي مع هذه النظرية المهمة والخطيرة _ يتمثل في تحويلها من نظرية محصورة بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وأحاديث الأئمة (عليهم السلام) إلى الواقع الملموس لمعايشتها من قبل المجتمع الإسلامي من خلال وضعها وفق منهج علمي رصين تقوم المؤسسات التربوية والأكاديمية بتدريسه لطلبتها.

تعتمد المنهجية العلمية الصحيحة لصناعة الفرد المهدوي أكاديمياً, على أساس من القيم الفاضلة وانتهاج طبيعة تعليمية واعية تتمثل الوجود المقدس للإمام المهدي (ع) على أنه وجود واقعي يماثل الحقائق الوجودية المرسلة في:

1. البناءالقيمي.
2. البناءالتطبيقي.
3. البناءالحضوري.

باعتبار أن أركان المثلث المشار إليه لا تتقاطع في ما بينها, وتتعاطى مع الفكرة المهدوية علمياً وبشكل منهجي, وتمارس دورها التوعوي الناضج القائم على المنهج العلمي والعقلي الذي تتبناه الجامعة وتساعد على تطبيقه من خلال

التحريض على المشاركة الوجدانية قولاً وعملاً، والمشارطة الذاتية الباحثة عن كينونة الذات وعلاقتها الإشراقية مع الحضور المهدوي الشريف، والقناعة بأن طريق الخلاص يبدأ من هنا.

أولاً / البناء القيمي

يعد البناء القيمي لأي منظومة معرفية، لب الموضوع وكينونته الناهضة بالمضمون والمستوعبة لكل مضمونات الفكرة المعرفية، بوصفها المرتكز القاعدي الذي تقوم عليه تلك المنظومة المعرفية، بما يعطيها القوة الدافعة للتأسيس الفكري والمعرفي والسلوكي والتطبيقي والحضوري، وعلى هذا الأساس حصر الحديث النبوي الشريف البعثة النبوية الشريفة بتنميم الأخلاق، حينما قال (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ومحاسنها)[1]، وهنا تتمثل البعثة النبوية في مكارم الأخلاق بوصفها سبباً رئيساً في البعثة، وكذلك كونها مضمون الكينونة الرسالية الابتعاثية من عند الله تبارك وتعالى؛ لأن الدين لن يكون فاعلاً في المجتمع ما لم تعززه مكارم الأخلاق، باعتبارهما يكمل بعضهما بعضاً، وهنا تبرز مسألة هامة عن علاقة البناء القيمي بالظهور المهدوي المقدس، والموضوع واضح جداً، فالظهور المقدس يقع من الرسالة المحمدية السمحاء في اللب التشريعي والقيمي والعبادي، كونها تقوم على مجموعة من المقومات الأساسية، وواحد من هذه المقومات، هو الإمامة العادلة بوصفها تشريعاً إلهياً قرآنياً جاء به القرآن الكريم بنص صريح في قوله تعالى:

((وَنُرِيدُ أَنْ نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ))[2].

وهذه الإمامة العادلة تقع في ضمن مكوناتها الضمنية، المنظومة القيمية الرابطة للأفراد، التي تضبط إيقاع حياتهم بشكل خارج نطاق المألوف، لا على أساس التمرد الأخلاقي الخارج عن الاستقامة أو نبذ القيم، بل على أساس التمرد على القيم البالية التي لا تنسجم والأخلاق القويمة، وتوجيه الأمة باتجاه صحيح ينسجم ومتطلبات السماء وأوامرها ونواهيها، بما يجعل الأمة أو المجتمع يسير سيراً صحيحاً، ولن يأتي ذلك من دون إرشاد أو مرشد، بل لا بد من مرشد يقوم بدور الإرشاد وفق منهج صحيح ينبني الأطر والأنظمة العلمية الحقيقية النافعة؛ لأجل توجيه المجتمع أو الأمة بطريقة علمية تقوم على أساس الفهم الواعي لحركة التاريخ والعقائد وضبطها من خلال شخصية المرشد الذي أوكله الله تبارك وتعالى على هذه المهمة العظيمة، وهذه الشخصية الموكل إليها هذه المهمة يجب التعريف بها للأجيال كونها هي مصدر النبات والفيض الرباني للناس، بدليل قوله تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ...)[3]، فالوجود الاستراطي هنا هو السبب في عدم نزول العذاب على

1. تفسير الميزان 6/ 309.
2. سورة القصص الآية (5).
3. سورة الأنفال الآية (33).

الناس، وهذا يحتاج إلى بيان منهجي تقوم المؤسسة الأكاديمية بدور التبيان الصريح لمهمة هذه الشخصية من خلال ما يأتي:

1. كيفية وجود هذه الشخصية.
2. طبيعة هذا الوجود.
3. ضرورة هذا الوجود.
4. مهمة هذا الوجود.

ويتم ذلك بوجود منهج يقوم على إعداده جملة من العلماء والباحثين من الحوزات الدينية والجامعات الأكاديمية، بما يجعل الطالب الأكاديمي على بصيرة من هذا الأمر، ولا يقتصر الفهم على ما يتلقاه المتعلم الأكاديمي من هنا وهناك وبشكل مبتسر ومقطوع، بل يصار إلى إيجاد المنهج الذي يستضيء بنور الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، كقوله (صلى الله عليه وآله) لجابر بن عبدالله الأنصاري عن مهمة الإمام الثاني عشر (علي السلام) ومدى الفائدة من وجوده:

(إي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلاها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه إلا عن أهله)[1].

من هنا يتبين أهمية البناء القيمي للمجتمع في التهيؤ للظهور المقدس، وضرورة أن يكون التحضير لتلك المهمة الخطيرة والعظيمة على أساس من الخلق الرباني الحقيقي ومتابعة أخلاق النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (ع) من خلال طاعتهم في أوامرهم ونواهيهم؛ لأن ذلك يمثل طاعة لله تبارك وتعالى، حيث قرن طاعته سبحانه بطاعة رسوله وطاعتهم، كقوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ....)[2].

ومن واجبات المنهج الأكاديمي، أن يبين أن مسيرة الأنبياء واحدة تتبنى الفكرة نفسها، في أن هناك شخصية ربانية قد أوكل إليها مهمة الإصلاح الأكبر في نهاية الحياة؛ لكي يكون هناك مواءمة بين الماضي والحاضر، من حيث المعتقد الرباني وطبيعة القيم التي نادى بها هؤلاء الأنبياء (ع)، وكما أشارت إلى ذلك بعض الآيات القرآنية، منها:

(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَاوَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ..)[3].

وبهذه الإشارات الربانية التي جاءت بها آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، يتم بناء المنهج الأكاديمي في منظومته القيمية للتأسيس لحياة قادمة، تتبنى الأجيال تأصيلها وبناءها الهرمي وصولاً إلى البناء التطبيقي الذي لا يمكن أن

1. تفسير الميزان 4/ 420.
2. سورة النساء الآية (59).
3. سورة الشورى الآية (13).

يهتز بسبب أو بآخر، وكما قلنا، مع بيان العلاقة القائمة بين المنهج المهدوي ومنهج الأنبياء الذين سبقوا وطبيعة تلك العلاقة الربانية الاعتقادية الإصلاحية الشاملة.

يأخذ البناء الاجتماعي القيمي دوره الفاعل في بناء الفرد قيمياً من خلال ثقافة الفهم والاستيعاب والتفاهم ومعرفية المحاورة ومحاورة المعرفة، وانطلاقاً من (محتوى التعلم والتربية والتعليم والتأثير البيئي، بما فيه الوسط العائلي والأسري وموقع الفرد في خريطته وأنشطته وإسهاماته المتنوعة)[1]؛ لأن أخطر ما يمر به الفرد المهدوي _ من وجهة نظرنا _ هو التكوين الفكري والبناء القيمي الذي يتطلب تأدية الواجبات والحقوق تجاه الذات والآخر، وما يقابله من عمل الآخر _ فرد أو جماعة أو مجتمع _ وبالشكل الذي يترتب عليه صالح الأعمال التي يؤديها الفرد أو الجماعة.

على أن هذا البناء القيمي يجب أن ينمو في الذات الإنسانية نمواً مضطرداً حتى يتحول إلى سلوك يومي في الطاعة والإذعان للإمام المنتظر (عج)، حيث أن الطاعة والانقياد المطلق لله سبحانه وتعالى ومن وجدت فيه هذه الميزة سيرى نفسه إنه مطيع لإمامه وكذلك المرأة مطيعة لإمامها وزوجها، وتوطين النفس على الطاعة أمر في غاية الصعوبة ولكن الفائز من وطن نفسه عليها حيث أن للطاعة آثار غريبة عجيبة ففيها الخير كله وفي قصة هارون المكي أحد أصحاب الإمام الصادق (ع) كل العبرة في أهمية الطاعة المطلقة للإمام، وهو ما يمكن فهمه منحيث أن هذا المفهوم أشار إليه الإمام الصادق (ع) حينما جاء أحد أصحابه، وهو من خراسان، قائلاً له، ما الذي يمنعك أن يكون لك تقعد عن الملك أو الحكم، وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف؟ فقال له الإمام عليه السلام: اجلس يا خراساني..ثم قال: يا حنيفة (وهي إحدى جواريه) اسجري التنور فسجرته حتى صار جمراً، ثم قال: يا خراساني قم فاجلس في التنور، فقال الخراساني يا سيدي يا بن رسول الله لا تعذبني بالنار أقلني أقالك الله، قال: قد أقلتك، بينما هم كذلك أقبل هارون المكي ونعله في سبابته فقال له الصادق (عليه السلام): الق النعل من يدك واجلس في التنور، فألقى النعل وجلس في التنور وأقبل الإمام يحدث الخراساني حديث خراسان ثم قال: قم يا خراساني وانظر ما في التنور، قال فقمت إليه فرأيته متربعاً فخرج إلينا وسلم علينا فقال الإمام: كم تجد يا خراساني بخراسان مثل هذا؟ فقلت: والله ولا واحدا فقال الإمام: لا والله ولا واحد، أما إنا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقتالذي يمكن لنا أن نكون على قمة الحكم، وهو هنا يشير إلى حتمية وجود ذلك في عصر الحجة المنتظر (عج).

والقصد من كلام الإمام هو عدم وجود المطيعين لهم بالطاعة المطلقة أمثال هارون المكي الذي لو قيل لهم ارموا بأنفسكم في الموت رموها ولم يجادلوا، فالفخر كل الفخر من وطن نفسه على ذلك، ورب قائل يقول هذا الأمر يخص الرجال دون النساء سنقول له انه يخص النساء كما يخص الرجال فالطاعة هي الطاعة ليس

1. علم الاجتماع في نهج البلاغة / هاشم ناصر المحنك /149-150.

هناك طاعة خاصة بالرجال وطاعة خاصة بالنساء، وكما بيّنا سلفاً، بأن للمرأة دوراً عليها أن تؤديه بشكل مرضٍ لله ولرسوله وللإمام (ع)، نعم هناك خصوصية لكل من الرجل والمرأة في التعاطي مع الأحكام الشرعية وبعض المفردات التي لا تتناسب وطبيعة المرأة بيولوجياً فقط.

ولعل البديهة تفرض القول إن التشريعات الإلهية غير التشريعات الوضعية للإنسان؛ لأن الخالق عز وجل حينما وضع التشريعات، وضعها بمنظور الجعل التكويني للمخلوق العاقل وغير العاقل، المتحرك والساكن، المتغير والثابت، الظاهر والباطن، المنظور وغير المنظور، بما يجعل بناء الفرد قيمياً، بالموجه الثقافي والتعليمي والتربوي والتعليمي، من خلال فهم مستوى التمسك بصالح الأعمال، والتعود على رفض كل ما لا ينطابق مع القيم الأخلاقية الإنسانية، عن طريق تحول هذا البناء القيمي إلى سلوك غريزي بالممارسة والمعاودة الذاتية والترويض على كيفية الطاعة دون رقيب مباشر، مكتفياً بالرقيب الداخلي (الضمير) الذي يجعله محصناً ضد كل التيارات المنافقة وغير الصالحة.

ثانياً / البناء التطبيقي

ونعني به ذلك الإطار الذي يجمع كل التجارب الدينية والاجتماعية والجهادية التي قام بها الأنبياء والاوصياء خلال تاريخ البشرية، سعياً منهم لإقامة دولة العدل الإلهية التي ستكون حكومة الظهور المقدس للحركة المهدوية الشريفة هي الحكومة الكاملة، المتضمنة لكل المبادئ والقيم الإنسانية التي جاءت بها تلك الحركات الإصلاحية، كل ذلك يجمعه المنهج الذي تقوم على إعداده بالمؤسسات الأكاديمية مع الأخذ بنظر الاعتبار، الحركة الأدبية التي تتبنى هذا الاتجاه، من أدب وشعر وكتابة وقصة ومسرحية ورواية وغير ذلك من مناحي الفكر الإنساني الذي يختزل المنظور المقدس بشكل انفعالي وعلى شكل ومضات فكرية تحاكي قيم المثل العليا بحركة استباقية تتوخى الحذر من الوقوع في مطبات الترهل الفكري والعقائدي، مستلهمة الإمكانيات الضخمة في العقل البشري ومستنيرة بنور العلوم الإلهية التي أودعها كتابه الكريم، وعلم النبوة والإمامة في تحشيد كل طاقة تتبنى الفكر العقلي غير السفسطائي في بلورة حركة أدبية انفعالية تسهم في إذابة الجليد الفكري المسلط على عقول الناس من أجل التفاعل مع عملية الظهور.

ولأن من مهمة المجتمع البشري أن يضع كل طاقاته خدمة لعملية الظهور، فإن للمرأة في عصر غيبة ولي الله الأعظم (عج) دوراً لا يمكن أن نغفل عنه إذ يقع عليها واجب التبليغ ونشر العقيدة المهدوية والعمل على توعية النشء الجديد وتربيته بشكل يسهم في إقامة قاعدة شعبية قادرة على استيعاب الأطروحة المهدوية وفهم فلسفة الثورة العالمية وأهدافها، فشخصية المرأة المؤمنة تحتم عليها أموراً والتزامات يجب عليها التقيد بها لتكون أهلا للوسام الذي اتشحت به وهو نعتها بالمؤمنة، فالإيمان إقرار بالجنان وعمل بالأركان، فلابد للمرأة من فهم هذا المعنى

لكي تصبح قدوة لغيرها من النساء المسلمات، ومن هذه الالتزامات التي يجب أن تتقيد بها هي:

1. العفة والابتعاد عن المحرمات وان لا تجعل نفسها ألعوبة بيد الشيطان وعليها أن تتحداه بكل الوسائل كي لا يكون له عليها سبيلا.

2. عليها بحسن التبعل إن كانت متزوجة وهذه عبارة (حسن التبعل) كم هي قصيرة في عد كلماتها إلا أنها تحمل من المعاني ما شاء الله ففيها رضا الرب وبتركها غضبه.

3. أن لا تنسى أنها مدرسة تتعلم فيها الأجيال وهذه المنزلة تحتم عليها الكثير من الأمور لأنها إن فسدت فسدت الأجيال وان صلحت صلحت الأجيال.

إذن للمرأة دور قبل الظهور المبارك وهو التمهيد له وبعد الظهور المبارك وهو نصرته، والروايات أكدت على ذلك فقد جاء عن الإمام الصادق أن من أنصار الإمام المهدي الذين يظهرون معه ثلاثة عشر امرأة يداوين الجرحى...وذكر أسماء بعض منهن وهن كما جاء في الرواية (أم أيمن وحبابة الوالبية.....)والحديث هنا ليس عن شخصيات هذه المجموعة الطيبة التي ورد ذكرها في الحديث وإنما عن سمات المرأة المهدوية بصورة عامة في هذا العمل الإصلاحي المبارك.

من هنا نرى النساء في عصر الظهور يمارسن دوراً لا يقل عن نساء معركة الطف لاسيما دور العقيلة زينب (ع)، مع الفارق بين الدورين فقد لعبت المرأة دوراً في عصر بدء الرسالة المحمدية الخاتمة، وكانت السيدة خديجة الكبرى وابنتها السيدة الزهراء عليهما السلام خير مثال على تلك التضحية التي كانت لها الفضل في ديمومة الإسلام المحمدي الأصيل.

وأن الدور الذي ستلعبه النساء في عهد الحكومة العالمية وبدء الظهور بالتأكيد سيكون دوراً مميزاً؛ لأن نساء عصر الظهور يمتلكن صفات ومؤهلات خاصة وصفات حميدة مما يؤهلهن كي يصبحن ضمن العدة المعدودة التي تلتحف لتبايع الأمام في مكة.

لقد اختلفت الروايات في تحديد عدد النساء اللواتي يلتحقن بالإمام (عج) ويبايعنه في مكة فبعض يشير الى خمسين امرأة وبعض الباحثين يشير إلى أنهن ثلاث عشرة فقط وحينمانجمع بين الروايات نجد أن عدد النساء اللواتي يصحبن جيش الأمام(عج) خمسون امرأة، ثلاث عشرة منهن لهن أدوار خاصة تتمثل بالتحريض وإسعاف الجرحى فضلاً عن أن المرأة هنا تلعب دوراً هاماً في التبليغ ضد الدجال وحركته الاباحية؛ إذ ورد عن الأمام الباقر(عليه السلام) (يجيء والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيهم خمسون امرأة يجتمعون بمكة على غير ميعاد قزعاً كقزع الخريف)[1].وعنه أيضا (عليه السلام) (وتؤتون الحكمة في زمانه حتى أن المرأة لتقضي في بيتها

1. الغيبة للشيخ الطوسي محمد بن الحسن /1415 هـ.

بكتاب الله تعالى وسنة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)[1].

ولعل إشارة الباري في محكم كتابه المجيد (وَلاَتَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً)[2]تسلط الضوء على المستقبل الذي يمثل وجهاً ضبابياً في فهم المعنى المراد والمطلوب، وهو يحتاج إلى بيان يمارس عملية التشخيص الحقيقي الذي ينطبق عليه مفهوم المظلومية التي طالما ذكرها القرآن الكريم، ولذلك حينما سئل الأمام الصادق (عليه السلام) عن قوله تعالى ذاك، قال: (ذلك قائم آل محمد يخرج فيقتل بدم الحسين فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً ثم قال (عليه السلام) يقتل والله ذراري قتلة الحسين لرضاهم بفعال آبائهم[3].

فالأمام المهدي(عج) سيكمل ما بدأه الأنبياء والاوصياء والأئمة والصالحون وسيعمل على قيادة الثورة الربانية التي مهد لها من سبقه من الأنبياء والصالحين، ولعل ثورة الإمام الحسين (ع) هي الفجيعة الكبرى التي يقف عندها طويلاً الإمام الحجة المنتظر (ع)؛ لأنها تمثل مدرسة العشق الإلهي الخالص، والأرض التي جرت فيها المعركة التي استشهد فيها الإمام الحسين (ع) هي (مناخ ركاب ومنازل عشاق)[4]، وقد ورد في حديث عن أمير المؤمنين(عليه السلام) حينما مر بأرض كربلاء في أيام صفين فشم تربتها وقال: (واهاً لك أيتها التربة ليحشرن منك أقواما يدخلون الجنة بغير حساب)[5].

من هنا يتبين أهمية توضيح معالم الثورات والحركات التغييرية التي قام بها المصلحون من الأنبياء وغيرهم في المنهج الأكاديمي واجراء عملية الربط العقائدي والفكري والجهادي والسلوكي بين هذه الحركات التغييرية والحركة المهدوية المقدسة كونها هي المكملة والخاتمة لكل حركات التغيير الإلهية التي سبقتها.

ثالثاً / البناء الحضوري

يمثل البناء الحضوري اللبنة الثالثة في المنهج الأكاديمي المقترح، إذ يعد وجهاً تطبيقياً من نوع آخر، فالحضور الجماهيري في المنتديات والمهرجانات والمؤتمرات وكل النشاطات الثقافية الأخرى من تأليف الكتب وإلقاء المحاضرات وإقامة اللقاءات الثقافية والفكرية والإعلامية لنوعية المجتمع وإفهامه دوره المنوط به، ولكي يفهم العالم كذلك ماهية الظهور المقدس وطبيعته وكيفيته، والمصلحة التي يمكن أن تكون أو التي يحصل عليها المجتمع البشري في بناء حياة كريمة بوجود حكومة عادلة تعطي لكل ذي حق حقه، غاية ذلك التعبير عن المفهوم الكلي والطبيعة الإلهية للثورة المهدوية، وأن وجود إمام عادل ومخلّص تلتقي عنده كل الديانات في

1. الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية / الشيخ عباس القمي / مؤسسة النشر الإسلامي.
2. سورة الاسراء الآية (33).
3. الكافي للكليني محمد بن يعقوب بن اسحق / دار الكتب الإسلامية.
4. عوالم العالم للبحريني عبد الله نور 165.
5. بحار الأنوار للمجلسي 44/ 255.

ضرورة وجوده وقيادته للعالم، كل ذلك يمثل ركائز أساسية يجري الإفادة منها في بناء المنهج الأكاديمي المطلوب.

إن من أهم الركائز التي يجري التركيز عليها في بناء المنهج الأكاديمي، هو الخطاب الإعلامي من خلال البث المعرفي؛ لأن (مثل هذا الخطاب يحمل مسؤولية مطالبة الأمة بتجسيد خصوصيتها ولتتصدى لخطابات التردي وتبعد عنها أي تأثر بإعلاميات الاغتراب)[1] الزائفة التي تحتال على الفرد المسلم من خلال تقديم المغريات المادية التافهة والمزيفة وتحويله إلى سلعة تباع وتشترى بالإعلان التجاري الرخيص.

لعل الأسلوب الذي سينتخذه الإمام المهدي (عج) في محاورة الخصوم لحظة الظهور المقدس على أرض الواقع، لا يفرق عن السلوب الحواري الذي اتبعه الأنبياء والمرسلون والأئمة والصالحون من قبله؛ لأن مبدأ الحوار والمجادلة بالحسنى والإقناع بالحجة والدليل هو الطريق الذي سلكه هؤلاء الأنبياء وسيسلكه الإمام المهدي (عج) من بعدهم، حيث أن ذلك هو تطبيق للمنهج القرآني في حفظ الذات البشرية من الامتهان، والدم البشري من الابتذال وعدم هدره إلا بالحق والدفاع عن المقدسات وليس في سبيل نزوات السلاطين المستبدين، ولعل نظرة إلى تاريخ الرسالات السماوية تعطينا كيفية المنهج وماهيته الذي سلكه الأنبياء مع مجتمعاتهم، ومن الأمثلة القريبة إلى ذلك أو التي تقع منه في صلبه، تلك المسيرة العظيمة التي الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) مع قريش وغيرها في الدعوة إلى الإسلام، وكذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في محاججته لقريش بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحينما تولى الخلافة بعد ذلك أثناء خروج السيدة عائشة وطلحة والزبير والخوارج ومعاوية عليه، فقد كاتبهم وضرب لهم الدليل تلو الدليل على أحقيته وبطلان دعوتهم، فلما لم يجد من الحرب مخرجاً كانت الحروب الثلاثة (الجمل والنهروان وصفين) التي قتل فيها كثيراً من الناس، وقطعاً هناك جبهة تدافع عن الباطل وأخرى تدافع عن الحق، وهيهات أن يتساويا؛ لأن العدل والإنصاف يوجب معرفة حق كل صاحب حق، وباطل كل صاحب باطل.

كما فعل الحسن (ع) مع معاوية حين الصلح معه، والحسين (ع) مع أهل الكوفة قبل مجيئه إلى الكوفة وبعد مجيئه إليها، بل حتى وهو محاصر استخدم الحوار مع جيوش بني أمية فلما لم يجد غير القتال سبيلاً نزل إلى ساحة الحرب وقدم الضحية تلو الضحية حتى قدم نفسه الشريفة ثمناً للمبدأ الإلهي الذي سيدافع عنه فيما الإمام المهدي (عج)، حيث سيتبع الأسلوب ذاته من المحاورة السلمية مع أعدائه من خلال إرساله سفرائه إليهم _ كما تقول الروايات _ فقد ورد عن أبي بصير في حديث طويل (يقول القائم(عج) لأصحابه يا قوم أن اهل مكة لا يريدونني ولكني مرسل إليهم لأحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم فيدعو رجلاً من أصحابه

1. الإعلام والأمل الموعود، صباح محسن كاظم /العارف للمطبوعات 2012/17.

فيقول له: امض الى اهل مكة، فقل: يا أهل مكة أنا رسول فلان إليكم وهو يقول لكم: إنا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمد وسلالة النبيين وإنا قد ظلمنا واضطهدنا وقهرنا، وابتز منا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا فنحن نستنصركم فانصرونا، فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا عليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية، فإذا بلغ ذلك الأمام قال لأصحابه: ألم أخبركم أن أهل مكة لا يريدوننا، فلا يدعونه حتى يخرج فيهبط في عقبة طوى في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر حتى يأتي المسجد الحرام فيصلي فيه عند مقام إبراهيم أربع ركعات ويستند ظهره إلى الحجر الأسود ثم يحمد الله ويثني عليه)[1]، فالإمام المهدي يريد بهذا الأسلوب أن يعيد للأذهان موقف الرفض المستمر للحوار السلمي من قبل أعداء الإسلام، وهو يتبع نهج إبائه السابقين، كما في واقعة الجمل حيث رفع أمير المؤمنين(عليه السلام) مصحفاً بيده وقال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إلى ما فيه وله الجنة؟ فقام غلام شاب اسمه مسلم عليه قباء بيض فقال: أنا أخذه فأعادها الأمير ثلاثاً فلما اخذ الكتاب قال لهم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فضربه رجل فقطع يده اليمنى، فتناوله باليسرى، فضربه أخرى فقطع اليسرى، فاحتضنه، فضربوه بسياطهم حتى قتل)[2].

من هنا نجد أن الأمام المنتظر يتبع سبيل آبائه وأجداده (عليهم السلام)، ولعل فحوى الخطاب الذي يلقيه في مكة عند إعلانه الثورة تأكيد على إلقاء الحجة على أعدائه، كذلك فعل الأمام الحسين(عليه السلام) فقد ذكر الناس وبأكثر من مناسبة بحقه و أهل بيته عليهم كما ذكرهم بكتبهم ومراسلاتهم له دعوتهم له للمجيء الى العراق وتخليصهم من سلطة الحزب الأموي فتجده يقول: (أتقو الله ربكم ولا تقتلوني فانه لا يحل لكم قتلي ولا انتهاك حرمتي فاني ابن بنت نبيكم وجدتي خديجة زوجة نبيكم ولعله قد بلغكم قول نبيكم الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة)[3]، ولم يكن جواب القوم الا أن قالوا إما أن تستسلم لابن زياد ليرى فيك رأيه أو نقاتلك قتالاً أدناه قطف الرؤوس وقطع الأيدي والأرجل[4]، هذه هي حقيقة موقف الحزب الأموي وجلاوزته ويذكر موقف أخر للإمام الحسين (عليه السلام _الذي أكثر من الوعظ والإرشاد ولكن بلا جدوى_ حينما رام مسلم بن عوسجة أن يرمي معسكر العدو فمنعه الأمام(عليه السلام) وقال له: "دعني حتى ارميه فان الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبارين وقد أمكن الله منه، فقال الحسين(عليه السلام): لا ترمه فاني اكره أن ابدأهم بقتال)[5]، هذه هي مواقف سيد الشهداء والتي سيعيدها جليةً حفيده التاسع إذ سيخرج بعد مقتل النفس الزكية السفير الخاص بخمسة عشر ليلة

1. بحار الأنوار ج52/ 37.
2. الجمل وصفين والنهروان لابي مخنف، ط1، ص2002/165م.
3. كلمات الإمام الحسين للشريفي 417.
4. الارشاد للشيخ المفيد ج99/2، بحار الأنوار للمجلسي ج5/45.
5. كامل الزيارات للقمي ج2/ 205.

وذلك بعد إلقاء الحجة وقطع العذر عن الأمام الصادق(عليه السلام) (ليس بين قيام آل محمد وبين قتل النفس الزكية إلا خمسة عشر ليلة)[1].

وفي الحوار الإنساني لابد دوماً من وجود متبنيات قبلية مشتركة يحتكم إليها الجميع، ولعل ذلك لا يتعارض مع المشترك الديني إلا بما يعزز الوازع الأخلاقي العرفي الذي يتساوق مع الدين الحقيقي وليس المزيف الذي يلبي حاجات السلاطين، وعلى هذا الأساس فإن الدعوة الأولى هي دعوة الحوار الإنساني الذي سعت إليه كل الديانات، كما نص على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى:

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلَّا اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ...)[2]، فإشاعة الحوار الإنساني مهمة رسالية لا ينهض بها إلا الأنبياء أو المصلحون العظماء، وفي المقدمة منهم الحجة المنتظر (عج).

إن صناعة الثقافة المجتمعية التي تتمحور حول الوجود المهدوي المقدس يمثل واجباً شرعياً وأخلاقياً، الغرض من ذلك إشاعة الثقافة المهدوية المعنية بقضية الظهور الكبرى، بوصفها منظومة وجودية أصيلة تمثلت بالنص القرآني في إشاراته الكثيرة عنها، والحديث النبوي الشريف وما ورد عن أئمة أهل البيت (ع)، وما بشر به أنبياء الله السابقون، كالذي ورد في الأناجيل المسيحية وغيرها من الكتب السماوية التي احتفظت بذلك بالرغم من تحريف المحرفين.

الخلاصة

من خلال ما تقدم، يتبين لنا أن الأكاديميات الإسلامية بشكل عام لم تأخذ دورها الحقيقي في عرض القضية المهدوية المقدسة وطبيعة الظهور المقدس وكيفية هذا الظهور وماهيته والمتحصل من وراءه من الخير والأمن والطمأنينة، ولذلك فمن واجب الأكاديمية أن تضع منهجاً دراسياً يحوي الآتي:

1. أن يتولى هذا المنهج بناء الفرد المسلم قيمياً بالنظر إلى المفاهيم الإسلامية الحقة ومكاشفته بخبايا التاريخ لكي يكون على بينة من تاريخه الملئ بالمغالطات السياسية والأخلاقية والثقافية وغير ذلك.

2. أن يتولى المنهج بناء الفرد المسلم بناءً تطبيقياً من خلال الموازنة بين الحاجة العقلية المتمثلة بالروايات والأحاديث والآيات القرآنية، والحاجة الانفعالية المتمثلة بالقصة والرواية والشعر والمسرح والندوات والمسابقات الثقافية وغير ذلك بما يعزز الفكر المهدوي لدى الفرد المسلم.

3. أن يتولى المنهج بناء الفرد المسلم حضورياً بإشاعة روح الحوار والتسامح وتقبل الآخر، مع بيان الظلم الذي تعرض له أهل البيت (ع) من الآخرين من خلال الاستدلال

1. قصص الأنبياء للسيد نعمة الله الجزائري ص37.
2. آل عمران الآية (64).

بالروح الحوارية العالية التي يتمتع بها القرآن الكريم.

حث أهل البيت عليهم السلام العلماء على تربية الشيعة للتمهيد للإمام المهدي(عج)

عادل عبد النبي عبد الله

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه سيدنا المصطفى محمد وآله الطيبين الطاهرين لا سيما بقية الله في الارضين واللعن الدائم على أعدائهم أعداء الله أجمعين.

ورد عن الامام المعصوم عليه السلام:

(لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي احد إلا ارتد عن دين الله, ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل...).

في الحديث الشريف بيان واضح إلى أهمية العلماء المربين من ذوي المواصفات التربوية الخاصة في زمن الغيبة لمنع الارتداد عن دين الله تعالى القويم والانحراف عنه بسبب غيبة حجة الله في أرضه الولي الأعظم عليه السلام.

وقد وصف الإمام عليه السلام اولئك القادة التربويين, بربان السفينة؛ اذ يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك الربان بسكان السفينة يوجهها في لجج البحار الغامرة إلى شاطئ السلام, وليس إلى ذلك من سبيل أفضل من التربية على حب آل محمد عليهم السلام والسير بسيرتهم والاهتداء بهديهم وقد مدح الإمام عليه السلام هؤلاء الممسكين بقلوب ضعفاء الشيعة حين وصفهم بالأفضلين.. فهم:

1. داعون إليه. فكيف ندعو إليه؟! وهل يتم ذلك إلا من خلال التربية في منهج مدروس مستنبط من خلال الثقلين العاصمين من الضلال الذين اوصى بهما باني الشريعة حين قال صلى الله عليه وآله وسلم: (تركت فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بها فلن تضلوا بعدي, كتاب الله وعترتي اهل بيتي وقد نبأني السميع العليم انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)؟

2. دالون عليه. فكيف ندل عليه؟ وهل الى ذلك سبيل غير التربية بسبيل الله تعالى في الاستقامة والدعاء له تعالى بالتوفيق الى الصراط المستقيم لمعرفة حجته:(اللهم عرفني نفسك، فانك ان لم تعرفني نفسك لم اعرف رسولك، اللهم عرفني رسولك، فانك ان لم تعرفني رسولك لم اعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فانك ان لم تعرني حجتك ضللت عن ديني).

3. نابون عن دينه بحجج الله تعالى. وانى لنا ان نذب عن دينه دين الله تعالى دون ان نربى على الإمساك بحجج الله وهم عليهم السلام حجج الله، وكيف يتسنى لنا صدق الامساك والتمسك بهم صلوات الله عليهم؟

4. المنقذين لعباد الله الضعفاء من شباك ابليس ومردته، ومن فخاخ النواصب لاحظ إشارة الإمام الرضا عليه السلام الى من سماهم العلماء الداعين اليه والدالين عليه والذابين عنه باعتباره القادة التربويين والدعاة الى منهجه والدالين على وجوده الهادي المبشرين بخروجه الممهدين لحكومته باعتباره الحجة التي لا تخلو الارض منها ومثل ماهي اشارة لمعاني قيادة العلماء وصفاتهم التي تجمع كل معاني التربية تاهيلا الى قيادة الشيعة في مقابل المشاكل والاضطرابات والأعداء حيث شبههم الإمام عليه السلام بربان السفينة، ورد عن الصادق(عليه السلام): إن لشيعتنا بولايتنا عصمة لو سلكوا بها في لجج البحار الغامرة وسباسب البيداء الغائرة بين سباع وذئاب وأعادي الجن والإنس لآمنوا من مخاوفهم بولايتهم لنا، فتق بالله عز وجل وأخلص في الولاء لائمتك الطاهرين.

وقد حصر الامام عليه السلام المنهج التربوي في التمهيد والإعداد لظهور الامام المهدي المنتظر بما يلي كما يظهر من حديث سيدنا الامام عليه السلام:

1. خص واحدة من مهام الربان القائد لتربية الممهدين بالعلماء الداعين اليه والدالين عليه بما يملكون من قدرة العلم وسلطان الاسلوب الدامغ، فهم متمرسون في ادارة الحوار التربوي ولنا في اسلوب ائمتنا منهج رائع وبديع لابد منه في تربية النشئ به وعليه تمهيدا للظهور البهي، فنحن نرى الاغلب من الناس لايفلتون اليوم من شباك ابليس الذي اخذ يقتحم البوت من خلال وسائل الاتصال المتطورة وهو ينتزع ابناءنا وبناتنا منا وكأن الامام عليه السلام يستشرف حالنا ويدقق وصفها ويشير علينا بالعلاج التربوي الناجع فما هو العلاج الناجع؟

2. لا يكفي في القائد التربوي باكتساب العلم الممهد بمواصفات الدعوة ما لم يكن ممن يملك القدرة والقوة والأسلوب الميداني الناجع في انقاذ عباد الله الضعفاء والمستضعفين من شباك إبليس ومردته من المستكبرين وان يكون من مخلصي الشيعة من فخاخ النواصب ومن فخاخ مدعي المهدوية من فخاخ التفريط والافراط، إن إتباع الفقهاء الهادون من أهمّ سبل النجاة في زمن الفتن، والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف فكما ان هناك دولا ذات قوة وسلطان تروج وتبني شباك ابليس، ودولا ذات غنى وسلطان تدعم النواصب، لابد بالمقابل ومن سنن الله تعالى في خلقه ان نجد في اعداد الامة وتربية النشئ دول ذات قدرة وسلطان تدعم توجهنا لتربية الناس

اعدادا لدولة العدل الالهي ولا نيئسهم من رحمته جل وعلا.

فهل الى ذلك سبيل؟

في مضمون الإجابة على هذه الأسئلة يأتي بحثنا لائذا بالوسطية الإسلامية كأسلوب أنفع وأنجع في التربية إنشاء الله تعالى...

1- الأسلوب التربوي في الجهاد ضد شعار إبليس في العالم

في قول الإمام:((لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومريده ومن فخاخ النواصب لما بقي احد إلا ارتد عن دين الله...)

ظاهر القصد؛ العلماء الذي لبسوا عدة الجهاد ليقودوا الأمة ضد أعداء الانسان والإنسانية الذين يحملون شعار إبليس الذي رفعه ضد آدم حين أمره الله تعالى بالسجود لآدم, وهو؛ (أنا خير منه).

والذي يدقق في أصل النظريات التي يعتمدها المستكبرون الذين يحكمون العالم اليوم يجد انها من سنخ ذلك الشعار الابليسي اللعين ضد الانسان والإنساني؛ (إنا خير منه), وهم معرفون على طول وعرض التاريخ الإنساني, ولو العلماء الداعين الى إمام الزمان والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومريده كما يصفهم الإمام ومن فخاخ النواصب لأرتد الجميع عن دين الله..فمن التربية التعريف بمن وماهية اولئك العلماء وبمن وماهية أعداء الانسان والإنسانية الذين يرفعون شعار(أنا خير من آدم وبنيه).

قال الله تعالى في الغاية من خلق آدم عليه السلام كخليفة في الارض:

(إني جاعل في الأرض خليفة).

وأمر الملائكة بالسجود له (فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا إبليس لم يكن من الساجدين).

والذي منع ابليس من السجود لآدم هو الكبر الذي ظهر يقول وتبريره انه خير منه. ولانع عصى خالقه العظيم باء باللعن والخروج من الجنة فكان عدوا لآدم وذريته.. قال تعالى يخاطب بني ادم: (انه عدو لكم فاتخذوه عدوا) وحصر الخلاص من شباك ابليس باتباع رسله عليهم السلام.. قال تعالى:

(يا بني ادم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[1].

والعلماء الذين يقصدهم الإمام بالمخلصين من شباك إبليس؛ هم السالكين منهج الرسل عليهم السلام والمقصودين بخطاب الله تعالى في قوله تعالى:

((الم اعهد إليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين)[2].

1. الأعراف – 35.
2. يس – 60.

فمن أهم مهام التربية الممهدة للظهور هي إعداد الانسان لمهام رسالته على الأرض.

ومن اجل وعي هذا الفهم في التربية لابد من دراسة ظاهرة ارسال الرسل تترا الى الناس.

2- ظاهرة إرسال الرسل عليهم السلام ومهام التربية

تعتبر ظاهرة إرسال الرسل والأنبياء من أهم الظواهر في تاريخ الإنسانية بحيث لا يسع لأحد حتى ولو كان ملحدا أن ينكر لها. وفي الانتروبولوجيا حيث تدرس الظواهر الإنسانية تهمل هذه الظاهرة على تواكدها وأهميتها ووضوحها؛ لا لسبب بل:

1. لأنها جوهر التأريخ، وصميم معنى الوجود الإنساني، ولأنها تعبير عن معاني رسالة الإنسان ومهام وجوده على سطح هذا الكوكب، ولأنها في مضامينها وتفاصيلها تحكي قصة الصراع الأزلي بين الخير الذي يمثله الرسل والأنبياء عليهم السلام، والشر الذي يمثله المترفون ومستغلي البشر من المستكبرين.

فعلى طول تاريخ البشرية كانت قصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وسيرهم الذاتية؛ تحكي قصة الصراع الأزلي بين الأنبياء وهم يرفعون شعار بغض الظلم ومحاربة الظالمين وإشاعة الفضائل والقيم الراقية من جهة.. وبين المترفين والمستكبرين الذين يرفعون شعار: أنا خير منه؛ شعار إبليس من جهة أخرى.

2. لان الانتروبولوجيا التي هي كما يشاء البعض أن يعرّبها بالـ(انسنة)؛ أي دراسة الظواهر الإنسانية، وهو علم يوجه اليوم لصالح المترفين المستكبرين في العالم ولتوظف من قبل أصحاب رؤوس الأموال الكبار في العالم؛ في خدمة السياسات الغربية والصهيونية المعادية للبشر، وعليه فان جميع الظواهر التي تدرس اليوم في معاهد المستكبرين ليس تاريخية ولا حقيقية بل مفتعلة مثل ظاهرة الإرهاب، والدليل على ذلك أنهم أنفسهم يرفضون تعريف الإرهاب لتبقى هذه اللفظة مطاطة، ولتستمر هذه الظاهرة عائمة، كي يوجهونها إلى حيث يشاءون وضد من يشاءون ولتكون ذريعة لشن الحرب ضد من يشاءون بما يخدم مصالحهم، وحيث تتعزز سطوتهم.

ان الشعار الذي كان يرفعه الأنبياء وخلفاؤهم من العلماء والثلة القليلة المستضعفة التي تتبعهم ويكرسون أعمالهم في تجسيده هو: بغض الظالمين ومحاربة الظلم ونشر الفضائل وإشاعة القيم الإنسانية الراقية.

ولذا فان هوية كل تربوي إسلامي وشعاره يجب ان يتطابق مع أهل الخير في صراع القوى فيكون؛ هو نفس شعار الأنبياء والرسل، والعلماء خصوصا الذين هم امناء الرسل وخلفاء الانبياء وهو:محاربة الظلم وبغض الظالمين.

3- العلماء الذين يقصدهم الامام:

وهنا يمكن للعالم الرباني أمثال الإمام الخميني قدس سره ان يترك لنا رسالة في التربية من خلال سيرته الجهادية في رفع شعار أمريكا الشيطان الأكبر الذي يعتبر اليوم كرسالة له في التربية يجب ان تحتذي, اذا اعتبرنا ان بغض الشيطان وحزبه؛ تعبر وسيلة تعبير عن حقيقة ما يحيط بالإنسان وما يبدع به لتوصيل فكره إلى الآخرين فهو تربية أيضا حسب نظر الإسلام له.

فالتربية كل ما يستخدمه الانسان من وسائل تعبيرية قولا او فعلا او نشاطا يتجسد في واقع الناس وفي إعلانه عن حقيقته العقائدية في نصر المظلوم وإزهاق الباطل وكل ما ينطوي عليه فحواه للبشرية, بأنه ضد الظالم وفي سبيل محاربة الظلم ونشر الفضائل وشيوع القيم, فهو على سبيل امتداد الرسل عليهم السلام, بل وفي ذات الرسالة الكونية والمهام التي أرسلوا عليهم السلام من اجلها.. وحتما في ذات سبيل الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا, ولأنه ذات سبيل الرسالات في إقامة العدل ومحاربة الظالمين. فمهمته عليه السلام ان يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

4- مهام التربية الإسلامية

وهنا نصل الى ان من أهم مهام التربوي في الاسلام الآن هو التمهيد للمنقذ المنتظر عليه السلام, وعلى هذا النهج لابد للتربوي الإسلامي من المعارف الأربعة التالية:

أولا؛ معرفة؛ من هم الظالمون؟ ليعرف عدوه في الجهاد, إذ التربية ضمن مهام الرسل عليهم السلام هو من أرقى أبواب الجهاد.

وثانيا؛ لابد من معرفة أي الاستراتجيات تناسب العقيدة الإسلامية باعتبارها عقيدة الكمال ومن ذاتها تنبثق الاستراتجيات؟ فليس للتنظير خارج الإسلام مساحة بل التمسك بالاجتهاد من خلال مصادر التشريع العاصمين؛ القران والمعصوم.

وثالثا؛ معرفة أي الأساليب والآليات هي المطلوبة شرعا في التمهيد للإمام المنقذ الذي يملأ الأرض عدلا؟

ورابعا؛ معرفة اي الأشخاص هم المؤهلين للقيام برفع شعار الأنبياء والإمام المهدي عليهم السلام في بغض الظلم ومحاربة الظالمين وتجسيده؟:

وهذه المعارف الأربعة الآنفة هي ما يجب بيانه في علم التربية الإسلامية.

أولا- من هم الظالمون الذين يجب بغضهم ومحاربتهم:

ان الظالمين الكبار في هذا العالم والذين هم سبب في كل مآسي الإنسانية ينضوون جمعيا تحت شعار إبليس وهو: انا خير منه. وكل من ينضوي تحت هذا الشعار فهو ظالم عدو للإنسان والإنسانية وقد وجدنا المنتظمون منهم في جبهات

معادية علنا للإنسان وهم ثلاث أصناف:

1. الرجل الأبيض(الإنسان النوردي)[1] كما يسميه المؤرخ البريطاني الشهير (توينبي) او كما يسميه آخرون الرجل الأصهب, ولهذا التوجه تيار ضارب في التاريخ الأوربي (شرحنا تفاصيله في توالي البحث) وقد نالت البشرية من هذا الظالم الويلات بكل إشكالها وعشرات الملايين من الضحايا حتى من ذات الجنس, وما تجلى على مر التاريخ من تعسف استخفافا بكل معاني الإنسانية.

لذا فعلى التربويين و الفنانين الاسلامين من اجل التمهيد للظهور باعتباره مهمتم الأولى وفي بناء ووضع استراتجياتهم ان يجسدوا في أعمال تربوية وفنية تعريفية بكل المظالم التي قامت في التأريخ بسبب قيادة الجنس الأبيض للبشرية كما جرى في أوربا نفسها من ويلات وحروب بسبب نزعة(أنا خير منه), وكما جرى في الأمريكتين أثناء الغزو الأوربي لهما, وإبادة السكان الأصليين واسترقاق الأفارقة وما رافق ذلك من عنصرية مقيتة, وما جرى في العالم ويجري اليوم من إرادة الغرب للتحكم في العالم. وقد اشرنا من خلال البحث الى تفاصيل ذلك.

2. شعب الله المختار[2]: تجسد الحركة الصهيونية تمام معاني العنصرية من

---

1. يقول المؤرخ البريطاني الشهير (أرنولد توينبي): "إن دراسة الجنس أو العرق كعامل منتج للحضارة؛ تفترض وجود علاقة بين الصفات النفسية, وبين طائفة من المظاهر الطبيعية. ويعتبر اللون هو الصفة البدنية التي يعول عليها الأوربيون- أكثر من غيره- في الدفاع عن نظريات العرق الأبيض المتفوق, وان أكثر النظريات العنصرية شيوعا هي التي تضع في المقام الأول السلالة ذات البشرة البيضاء والشعر الأصفر والعيون الشهباء, ويدعوها البعض بـ (الإنسان النوردي) أي الإنسان الشمالي, ويدعوه الفيلسوف الالماني (نيتشه) بالوحش الأشقر.
ونيتشه هذا يمثل اكبر المفكرين الغربيين الذين مجدوا القوة, وتفوم فلسفته على "إدارة القوة", والسعي لإنجاب الإنسان الأعلى, واخذ هذه الفكرة "هتلر" وبنى عليها نظرية تفوق العرق الجرماني؛ والتي ترتب عليها جنون القوة وهاجس السيطرة الشاملة, وقهر الشعوب الأخرى واستعبادها, فأفرزت تلك الحروب التي دمرت أوربا وغيرها.
«نقلا عن: المقدادي؛ فؤاد كاظم؛ "الإرهاب بين ثقافتين", مجلة رسالة الثقلين, العدد: 42؛ ص6».

2. من حسن الحظ؛ كان بعض اليهود الأكثر وضوحا في فضح أسطورة شعب الله المختار, والتوظيف السياسي لها لتحقيق أطماع اليهود في السيطرة على العالم واستعباد شعوبه ونهب موارده.
وربما لا تكون هناك أسطورة في تاريخ البشرية تركت أثرًا في العالم أجمع مثل أسطورة «الشعب المختار» والتي صاغها صانعوها وكاتبوها على أنها تفضيل إلهي لصاحبها بصرف النظر عما يقول ويفعل- وينظر إلى الآخر (الغير) من علٍ - فهو «المرفوض» أو (المستبعد). وهناك تناغما أيديولوجي بين البيض والمختارين في اعتبارهما بمضمون شعار إبليس.
إن فكرة شعب الله المختار مفهوم سياسي محض ابتكره الحاخامات اليهود لحض اليهود على السعي الدءوب للسيطرة على العالم, وهذا المفهوم أحد الأسس البنية التلمودية التي يعتبرها اليهود دستورًا لهم في الحياة.
ولعل من أكثر الكتب شهرة والتي تناولت هذه الأسطورة, الأكثوبة كتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية, للفيلسوف الفرنسي, روجيه جارودي.
(الشعب المختار), عنوان ألفه الإنجليزي «كلبفورد لونجلي» وصدر في يناير 2002م من ثلاثة أجزاء وقام بترجمته إلى العربية د.فاسم عبده فاسم., يرى أن الشعب المختار أسطورة اختلفها اليهود من أجل السيطرة على فلسطين أرض الميعاد!!!, كما أنها بررت للرجل الأبيض استعمار أجزاء واسعة من العالم في آسيا وإفريقيا بحجة التمدين واستعباد الزنوج بحضارة الرجل الأبيض.
ويقول «رضا هلال» في دراسته «المسيح الأميركي الصهيوني» والتي نشرت في مجلة العصور الجديدة 1999م أن المستعمرين البروتستانت وصلوا إلى «العالم الجديد» تحركهم تصورات الإسرائيليين القدامى فأطلقوا على أميركا اسم «أرض الميعاد» و«إسرائيل الجديدة», وأنهم «الشعب المختار الجديد», وزادت هذه النزعة المسيحية المتهودة مع «البيورتيان» المتطهرين (مذهب جون كالفن) وهي أشد الطوائف

مبادئها التي تجسدت على الأرض دموية بالغة وحرقا وتشريدا على ارض فلسطين، فاليهود يعتقدون من كتبهم المقدسة؛ أنهم شعب الله المختار، وما كل الآخرين من دونهم الا عبيدا لهم، ويعتقدون ان دولة إسرائيل هي دولة هذا الشعب وليس لأحد غيرهم على تلك الأرض بل وكل الكرة الأرضية حق العيش كأسياد سواهم، وان كان له حق فهو من درجات أدنى بكثير من الشعب المختار.

وقد تجسد الظلم الذي برز وبرز بفحوى هذه المبادئ وهذا الشعار بمآسي الشعب الفلسطيني التي لها أول وليس لها آخر.

هنا تكون مهمة التربية الإسلامية والفن الإسلامي والفنانين الإسلاميين ان يجسدوا هذا الظلم برسائلهم التربوية وبأفعالهم الفنية تعريفا بالظلم وتمهيد للظهور.. وفي البحث في تفاصيل ذلك الظلم والمظالم التي جرت في التاريخ وإظهارها للعالم، بعد ان نعرف بها جيلنا، لان التعريف بالعدو لله والإنسان هو جزء من هوية الإسلام، ولذا فهو اساس بالتربية.

3. التكفيريون النواصب: وهم مدعون للإسلام على مذهب منحرف ليس له

المسيحية نطرقًا من ناحية الاعتقاد في حرفية الكتاب المقدس ونبوءات العهد القديم، وهكذا فإن الانتماء الصهيوني لدى الأمبركيين قد تغلغل في روحهم قبل ظهور اللوبي اليهودي.

إنها أسطورة لغرض سياسي من صنع حاخامات اليهود وتسميتها اسطورة يكفي لعدم صحتها وبكذبها ما جاء في الإنجيل:

فقد جاء في إنجيل متي في الإصحاح الثالث والعشرين ما يلي:

لكن ويلٌ لكم أيّها الكتبة والفريسيّون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ".

- وجاء قول المسيح في إنجيل متّي في الإصحاح الحادي عشر في ذمّ اليهود:

"ويلٌ لكِ يا كور زين. ويلٌ لكِ يا بيت صيدا. لأنّه لو صُنعت في صور وصيداء القوّات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً في المسوح والرماد. ولكن أقول لكم إنّ صورَ وصيداء تكون لهما حالةً أكثر احتمالاً يوم الدين ممّا لكما. وأنتِ يا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية. لأنّه لوصُنعت في سدوم القوّات المصنوعة فيك لبقيت إلى اليوم."

- وجاء في الإصحاح الثاني عشر من إنجيل متّي قوله:

"يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلّموا بالصالحات وأنتم أشرار."

- وجاء في الإصحاح السادس عشر في ذمّ اليهود قال السيّد المسيح

" جيلٌ شرّير فاسق يلتمس آية."

- وجاء في الإصحاح الخامس عشر قول المسيح في ذمّ اليهود:

"فقد أبطلتم وصيّة الله بسبب تقليدكم. يا مُراؤون حسناً تنبّأ عنكم إشعياء قائلاً. يقترب إليّ هذا الشعبُ بفمه ويُكرمني بشفتيه وأمّا قلبه فمبتعدٌ عنّي بعيداً. وباطلاً يعبدونني وهم يعلّمون تعاليم هي وصايا النّاس."

- وقال: "يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين..."

- وجاء في إنجيل لوقا في الإصحاح الحادي عشر قال المسيح:

"ويلٌ لكم أيّها الفريسيّون المراؤون لأنّكم تعشّرون النعناع والسذاب وكلّ بقل وتتجاوزون عن الحقّ ومحبّة الله، كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك. ويلٌ لكم أيّها الفريسيّون لأنّكم تحبّون المجلس الأوّل في المجامع والتحيّات في الأسواق. ويلٌ لكم أيّها الكتبة والفريسيّون المراؤون لأنّكم مثل القبور المخفيّة والّذين يمشون عليها لا يعلمون."

- وقال أيضاً: "ويلٌ لكم لأنّكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم؛ إذاً تشهدون وترضَون بأعمال آبائكم لأنّهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم."

بالإسلام صلة لا في الأصول ولا في الفروع[1]، لكنهم مع هذا - كما يتصورون- أنهم وحدهم في هذا العالم القابضون على الحقيقة وهم وحدهم الذين يمثلون الإسلام وهم خير من الآخرين تحت شعار ابليس (انا خير منه)، ولذا فان كل الآخرين كلهم كفار حتى ولو كانوا يشهدون الشهادتين.

هكذا برز هذا الفكر الصفيف ليجد له تحت تأثير الظلم الغربي وظلم شعب الله المختار ذريعة، وهو موجود ولا يزال يمارس القتل والتفجير، بل وحتى التمثيل المحرم على الكلب العقور ولصالح العدوين الآخرين للإنسان والإسلام.

على التربيةبين الإسلاميين تحرير رسائلهم التربيةية لمواجهة هذا الظلم وعلى الفنانين الإسلاميين والفن والإسلامي التعريف من خلال الفن بهذا العدو الاستراتجي للإنسان والإسلام ومهام الرسل تمهيدا للظهور.

وعلينا ان نبدأ أولا بإقامة مجلس عالمي للتربية والفنون الإسلامية. جوهره المنبر الحسيني ومحركوه المبلغون والقراء والخدام الحسينيون؛ تكتب مهامه ونظامه الداخلي وأهدافه واستراتجياته وآليات عمله، وليتولى بعدها هذا المجلس المفترض الإشراف على التربية الممهدة ويوجه التربية للتمهيد وان يكون التربيون والفنانون بمواصفات الممهدين الذين فصل الامام عليه السلام مؤهلاتهم في في قوله الذي بدأنا به البحث.

هذا جانب والجانب الثاني الذي وجه به اهل البيت شيعتهم في اشاعة التربية الممهدة؛ هو ان طلبو منهم التعريف باحاديثهم عليهم السلام:

5- استثمار الشعائر الحسينية لتربية التمهيد

اولا- شعار يا لثارات الحسين تمهيدا للظهور:

إذا رجعنا إلى النصوص والروايات المأثورة عن أئمة أهل البيت (ع) والتي ذكرت المواصفات التي لا بد أن تتوافر في الشخصية الإنسانية اللائقة بصحبة الإمام (عج) نجد أنها ركّزت على الشروط والمواصفات التالية:

1. النصب، هو نصب العداوة لأهل بيت النبي صلوات الله عليهم، وهو قديم أسسه مغتصبو الخلافة من الإمام علي عليهم السلام، ولكن التكفير كحركة سياسية كان قد ابتداء في شبه الجزيرة العربية على يد محمد بن عبد الوهاب سنة 1143 هـ واشتهر أمره بعد 1150 هـ بنجد وفراها، توفي سنة 1206 هـ، وقد أظهر الشرك بقوله بعقيدة التجسيم وتحيز الله تعالى في المكان، وحرف كل الفروع بدعوة ممزوجة بأفكار منه زعم أنها من الكتاب والسنة، وأخذ بعض بدع نفي الدين أحمد بن تيمية فأحياها، وهي: تحريم التوسّل بالنبي، وتحريم السفر لزيارة قبر الرسول وغيره من الأنبياء والصالحين بقصد الدعاء هناك رجاء الإجابة من الله، وتكفير من ينادي بهذا اللفظ: يا رسول الله أو يا محمد أو يا علي أو يا عبد القادر.
وهؤلاء التكفيريون اليوم ونحت شعار إبليس(أنا خير منه)؛ صاروا إرهابيين قتلة، لا يتورعون عن التمثيل بضحاياهم وهم يعلمون ان المثلة في الإسلام محرمة حتى على الكلب العقور، ولفرط ظلمهم يقتلون حتى الطفل الرضيع في لفافته، كما فعلوه في الجزائر والعراق وافغنستان...، يفجرون السيارات والعمارات والأنفاق؛ ليقتلون اكبر عدد من الناس مهما كانوا ولمجرد القتل حتى وجد أعداء الإسلام في هؤلاء القتلة المدعين أسوء صورة لأقبح رسالة تربيةية يتشوهن بها الإسلام، وهكذا كان وكما أرادوا. فاليوم صار الإرهاب مرادفا للإسلام خصوصا في الغرب.

أولاً: الايمان، وهو الممارسة الفعلية للعقيدة وهو درجة رفيعة لا تنال إلاّ بالالتزام بكل ما أمر الله به والابتعاد عن كل ما نهى الله عنه.

ثانياً: الإحاطة بالإسلام في بعده الموضوعي المعرفي ضمن معياري التقلين العاصمين من الضلال الكتاب والعترة، وتنقية عقيدة التوحيد ووعيها وتجسيدها فعلا وقولا وحتى صمتا، فقد سأل رسول الله (ص): ما رأس العلم، قال: معرفة الله حق معرفته، فقيل: وما حق معرفته؟ قال: أن تعرفه بلا مثل ولا شبيه، وتعرفه إلهاً واحداً خالقاً قادراً أولاً واخراً وظاهراً وباطناً، لا كفو له، ولا مثل له، فذاك معرفة الله حق معرفته".

وقد علمنا من كتاب الله تعالى في سالف البحث ان التوحيد لا يكتمل إلا ببغض الظلم وإعلان عداوة الظالمين.

فإذن؛ من الضروري أن تكون معرفة الله بهذا المعنى، متوافرة في شخصية من يريد أن يكون من أصحابه (عج) وأنصاره والممهدين لدولته، لأنهم يجسدون شخصية المسلم الممهد المنتظر للإمام (عج) في مجتمعاته، لأنه يؤدي معاني شعار بالثارات الحسين عليه السلام الذي استشهد في سبيل التوحيد عقيدة الأمة ضد الظلم وبغضا للظالمين.

ثالثاً: الشجاعة والاستعداد للتضحية، فقد ورد في الحديث: "ويلقى الله محبته لإمام الزمان(عج)(في صدور الناس فيسير مع قوم أسد بالنهار، رهبان بالليل".

وفي حديث آخر: "يخرج إليه الأبدال أي الصالحين من الشام، وعصب أهل المشرق، وإن قلوبهم زبر الحديد، رهبان الليل ليوث النهار".

وفي حديث ثالث:

هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ....

رابعاً: الارتباط بالإمام والانقياد له وطلب الشهادة في سبيل الله تعالى بين يديه: فقد ورد في حديث جامع عن مواصفات أنصار الإمام (عج) عن الإمام الصادق (ع) قال:

رجال كأن قلوبهم زبر الحديد، لا يشوبها شك في ذات الله، أشد من الجمر، لو حملوا على الجبال لأزالوها، لا يقصدون برايه بلدة إلا خربوها، يتمسحون بسرج الإمام (عج) يطلبون بذلك البركة، ويحفون به، يقونه بأنفسهم في الحروب ويكفونه ما يريد، فيهم رجال لا ينامون الليل، لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل، يبيتون قياماً على أطرافهم ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار.

هم أطوع له من الامة لسيدها، كالمصابيح، كأن قلوبهم القناديل، وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله. شعارهم: يا لثارات الحسين(ع) إذا ساروا سار الرعب أمامهم مسيرة شهر. بهم ينصر الله إمام الحق".

وهناك مراسم وشعائر أوجدها الإسلام في زيارات الأربعين الراجلة وزيارات النصف

من شعبان.. فعلى الحكومة الممهدة ان تعد المجتمع ليشارك بالملايين ينادون بالثارات الحسين من اقصى الأرض إلى أقصاها.

وانا كان قد سار أربعة عشر مليونا في العام الحالي, فللمهدين أن يشجعوا ويرعوا خمسين مليونا من كل أقطار الأرض كلهم ينادون للتوحيد وبغض الظلم ولعن الظالمين من خلال شعار يا لثارات الحسين.

ان في ذلك تظاهرة كونية تدعو للتمهيد في غايته.. وان علم الانتروبولوجيا الذي يوظف في الغرب وفي أمريكا لصالح نظرية نهاية التاريخ لفوكويا ونظرية تصادم الحضارات لصموئيل هنتنغون, مبنية على الزيف وعلى العنصرية وتفضيل العرق الأبيض, ونحن اذ نبني علم الإنسان إنما نبنيه ونمجده حيث هو الخليفة في الأرض حيث هو الإنسان الكامل المرتقب الذي ينتظره البشرية ليملء الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا, علم الأنتروبولوجيا...(علم الإنسان), هذا الكائن..الذى دائما هو مصدر التساؤلات...و الدراسات...و التكهنات عن أصوله و جذوره.. و الذى خصه الله تعالى بسورة باسمه ألا وهى "سورة الإنسان, و الذى انزل الله سبحانه و تعالى فيه كثير من الآيات تحمل كثير و كثير من الصفات...و أنزل له أيضا كتابه الكريم ليخلق منه الإنسان الكامل و حمل الأمانة التى رفضت السماوات و الأرض حملها... قال تعالى:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)[1].

هذا الإنسان..كان دائما و لا يزال موضع تأمل و دراسة,من قبل كثير من العلوم الطبيعية و الإنسانية على حد سواء.

فقد انتبه الإنسان الى الفروق القائمة بين الجنس البشرى...,فشده هذا لمعرفة الطبيعة البشرية,و قاده الى دراسة و تفسير الاختلافات فى الملامح الجسمية,و لون البشرة و العادات و التقاليد,و الديانات و الفنون و غير ذلك من مظاهر الحياة.

و من هنا تبلورت فكرة نشأة فرع جديد من فروع المعرفة اصطلح على تسميته "الأنتروبولوجيا."

نحن نصف الخصائص الإنسانية,و البيولوجية,و الثقافية المحلية,كأنساق مترابطة و متغيرة,و ذلك عن طريق نماذج و مقاييس و مناهج متطورة.كما نهتم بوصف و تحليل النظم الاجتماعية و التكنولوجيا,و نعنى أيضا ببحث الأدراك العقلي للإنسان, و ابتكاراته و معتقداته ووسائل اتصاله. و بصفة عامة,فالأنتروبولوجيون يسعون لربط و تفسير نتائج دراسات الظواهر الإنسانية في إطار العقائد والنظريات العقائدية لخدمة إغراض وأهداف تلك العقائد والنظريات, ولذا فالقراءات الفاسدة تترتب او تنتج عن العقائد والنظريات الفاسدة.. وهذا ما نلمسه اليوم, فحتى المسلمون الذين تثقفوا بالثقافة الغربية يدعون الى اللبرالية في الإسلام, وهناك حسن حنفي وعبد الكريم

1. (72) سورة الأحزاب.

سيروس أمثلة حية اليوم.

ثانيا- دراسة ظاهرة حب الحسين(عليه السلام) وسيلة للتوحيد الخالص:

لاشك إن الحسين بن علي ابن أبي طالب(عليه السلام), هو سبط الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله), وريحانته وشمامته وروحه التي بين جنبيه, ولم يبق احد ممن عاصر الرسول(صلى الله عليه وآله) عاش معه في المدينة, إلا وسمع الرسول(صلى الله عليه وآله) يحدث الناس ويعلمهم منزلة الحسين(عليه السلام) ومجده, وفضله في الأرض والسماء, ومن تلك الأحاديث, الحديث المتواتر التالي:

حسين مني وأنا من حسين, أحب الله من أحب حسينا...[1]؛

وفي هذا الحديث شهادة واضحة لتمازج معنى النبوة المحمدية بمعاني الإمامة التي يمثل الحسين نموذجها, فهما شيء واحد, وهي إشارة مقصودة لما سنؤول إليه الأمور, وما سينهض به الحسين من أعباء النبوة ومهامها متجسدا فيما سيحدث للحسين(عليه السلام), فيكون بذلك محمد بامتداد الحسين عليه السلام. متلما هو الحسين امتداد طبيعي لجده النبي(صلوات الله عليهما وآلهما)

ومن المؤكد أن كبار الصحابة والرعيل الارقى لمعاني صحبة الرسول(صلى الله عليه وآله). من أمثال؛ حمزة ابن عبد المطلب, وجعفر الطيار, و أبو ذر وسلمان المحمدي والمقداد بن الأسود الكندي وعمار بن ياسر... كانوا يعلمون معاني تلك الإشارات, وكانوا يجدون في حب الحسين علامة لسلامة الدين مع انه كان طفلا آنذاك.

فمنذ الصدر الأول للإسلام كان التميز بحب الحسين عليه السلام ميزة الخاصة من المؤمنين, وهكذا شاء الله تعالى, فقد اعلم رسول الله(صلى الله عليه وآله) بشواهد واضحة حبا خاصا للحسين ليري الأمة, إنها ليس مجرد عاطفة الجد للحفيد, بل إن هناك دين ينقوم بهذا الحب.

وان حب الحسين عليه السلام هو معيار صدق الايمان, لأنه وصية رسول الإسلام: أحب الله من أحب حسينا, فحبه حب لله ورسوله.. ومن يتبع وصية الرسول بحب الحسين إنما؛ هو حب الله تعالى حيث قال تعالى:

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ * إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)[2].

وان نفاذ وصية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في النفس الإنسانية بحب الحسين, دليل محبة الله ورضاه, ينعكس ويتجسد في رقة تلك النفس, نستطيع أن

1. انساب الأشراف للبلاذري ج3؛ ص1285.، ومسند احمد ج4 ص172, وسنن ابن ماجة ج1, ص144, وتاريخ دمشق لابن عساكر(ترجمة الإمام الحسين), وإرشاد المفيد ج2:ص:127

2. آل عمران – 31-33.

يتبين في زفراتها حسرة على الحسين عليه السلام وبغضا للظالمين، ومن صدر محب وعين متطلعة لرضا الله سبحانه، تفيض من الدمع حزنا.

وان عدم نفاذ وصية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، في النفس الإنسانية للفرد، سيتبين في صنف الناس من كل جلف جاف صلف، يظهر في سلوكه واضحا؛ دليل سخط الله تعالى، ينعكس في غلظة النفس وفي ضيقها من ذكر المظلوم الحسين عليه السلام، وربما في سخريته من مشاعر المسلمين المتعاطفة مع مصيبة الحسين عليه السلام.

والمخلص في تعبده يدعو الله تعالى: اللهم أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع ومن نفس لا تشبع ومن علم لا ينفع ومن صلوات لا ترفع ومن دعاء لا يسمع.

وان الذي نقصده واضح في أمثال الذي يرى في نفاذ وصايا الحبيب محمد (صلى الله عليه وآله)، في حب الحسين عليه السلام ووصايا الله تعالى في مودة القربى من آل محمد، ونوبان القلوب بالحزن على مصائبهم وامتلاء الصدور بحبهم، وفيض العيون لمظلوميتهم(عليهم السلام)؛ يرى في ذلك بدعة، هو المثال السيئ للإسلام المنحرف عن الفطرة، حيث يرى المنكر معروفا والمعروف منكرا، وذلك ما كان يحذر منه الرسول صلى الله عليه وآله، في آخر الزمان، فأمثال الذين يرون في البكاء على الحسين عليه السلام بدعة، ويضعون أنفسهم قادة للإسلام و في قمة الهرم في الدعوة للدين، ومحاربة البدع والمنكر والأمر بالمعروف. هم الذين حذّر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله منهم في آخر الزمان.

الاصل التربوي في مظلومية الحسين عليه السلام

جبل الإنسان على المحبة والعاطفة، وقد شوهد النبي صلى الله عليه وآله، يبكي كلما يرف قلبه لحال يعرض له ولم يرى ارفق منه وارف منه، وبكى يعقوب عليه السلام على ابنه يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم، وامتدح الله البكائيين الأواهين من الأنبياء والصالحين، وان الذي لا يملك العاطفة اتجاه من يحب، تتجلى بدمعة يسكبها في مظلوميته او في عاديات الدهر عليه او لتواتر الأحزان عليه، انما هو جلف صلف قد قلبه من صخر، كما يصفه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، لأنه في الحقيقة فاقد لمقوم أساس من مقومات إنسانيته، فهو منحرف عن الفطرة السليمة التي هي أساس الدين، بل هل هي الدين ذاته.. يقول الله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

ان الحسين عليه السلام بالنسبة لدين الفطرة؛ الإسلام، هو بالإجماع: سبط الرسول صلى الله عليه وآله، وريحانته، وحبيبه، وسيد شباب أهل الجنة في المسلمين

1. الروم- 30.

والمطهر من الرجس بنص الكتاب، والمطلوب مودته بنص القران، وخامس أصحاب الكساء، والإمام المفترض الطاعة بنص الكتاب[1] أيضا وهو من الآل الذين لا تصح الصلاة

---

1. وفي القرآن الكريم، حيث يأمر الله تعالى بطاعة أولي الأمر، ويقرن طاعتهم بطاعته، فإنه- جل وعلا- يقصد بهم، المعصومين دون غيرهم، اذ يجب ان نتوجه الانتروبولوجيا بقراءة معصومة للتاريخ الإنساني وفق معايير علمية، هكذا:
فان لم يكن المعصوم، فعلى الإنسانية ان توجده! في معيار لصحة الاعتقاد لا يعدمه أولي الألباب، لكن الذين في قلوبهم زيغ، يرون أن الله يأمر بطاعة الظالمين إذا كانوا أمراء!أو متسلطين من خلال دست الحكم!
ففوله تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.
هو من المحكم؛ فالله جل شأنه وتعالى اسمه، معروف ليس نكرة، والرسول(ص) كذلك مشخّص ومعروف وليس نكرة أيضا، فهل ضمن هذا السياق، يصح أن يكون أولو الأمر نكرات مجهولين؟
إن الله تعالى لا يأمر بطاعة مجهولين نكرات؛ ولا يجعل طاعة مجهولين نكرات، قرينة لطاعته جل وعلا، لأنه سبحانه لا يأمر بالفحشاء، وقد كتب على نفسه الرحمة، ولا يكون سبحانه سبباً في ظلم أحد، فلا يظلم ربك أحداً، فهو سبحانه يأمر بالقسط.
قال تعالى:
(قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ).
وقال تعالى:
(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)
وقال تعالى:
(إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)
ولو أن أحداً يقول بطاعة أولي الأمر على كل حال؛ أي لابد من وجوب طاعة البر والفاجر! فإنما هذا أفك ومفتري على الله جل شأنه، بل وينسب القبح إليه وهو المحسن المطلق، ولا شك أن هذا القائل منحرف في عقيدته، لأنه يقول بخلاف النصوص التي تؤكد الصفات الحسنى لله تعالى، والتي لا يختلف فيها مؤمنان.
وفوله هذا لا يعدو أن يكون؛ ترويجاً لنهج الوضّاعين الكذابين على الله ورسوله (ص).
ولو تأول البعض الأمر بطاعة أولي الأمر مهما كانوا وبما كانوا وعلى ما كانوا، من غير المعصومين؛ فإنها ردة في الدين وانحراف عن الفطرة، ومخالفة للنصوص الربانية، ومجانبة للعقل، وطعن في الدين...
كيف؟
فهي ردة في الدين؛ لتعارض طاعة الظالم الخطء المطبع لهواه، مع العدل في حكمه وملكه جل وعلا، فكيف يقرن الحكيم طاعته بطاعة الضال الطاغي، ويشترطها بدء لقبوله؟!
إن القول بطاعة الحكام؛ انقلاب على المعنى الجوهري للدين. فالدين له مهمة كبرى وأساسية؛ هي تحقيق العدل الإلهي على الأرض، بتحريم الظلم أيا كان مصدره.
وهي انحراف عن الفطرة؛ لأن الفطرة الإنسانية تنفر من القبح ومن كل ظلم، فكيف تقبل بطاعة الظالم وتواليه وتطيع له الأمر؟!.
وهي مخالفة للنصوص؛ في معنى الدين ذاته؛ فكيف ينسجم أمر الله تعالى بالعدل والإحسان، والقسط، وعدم الركون إلى الظالمين كما في قوله تعالى:
(وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ).
فكيف ينسجم هذا الأمر، مع إمكان قبول تحكيم الظالم، وغير العادل؟!.
وهي مجانبة للعقل؛ فإنما يعرف العقل بإصابته للحق وإقامته للعدل، ويعرف الحمق بالخطل والقبح، وإتيان الباطل، فكيف يطلب الحكيم المطلق - جل وعلا- والحكم العدل، من عباده إطاعة الضال الظالم؟!.
وهو طعن بالدين؛ لأنه يدخل في الدين ما ليس فيه، وما ليس منه. بل يدخل ما ينافيه، لذا فهو قطعاً؛ اعتقاد روّج له بأمر من الطغاة من الحكام الظالمين لبقاء حكمهم.
إن أولي الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم واشترطها بدء لطاعته جل وعلا؛ هم المعصومون العدول، الذين لا يأتي منهم القبيح، أو الذين التزموا العواصم التي أمر الرسول (ص) بالتزامها وهما الكتاب والعترة المعصومة، وهم أعلام الإسلام؛ أهل الذكر، والراسخون في العلم، أمناء الرحمن، وسلالة النبيين وموضع الرسالة: الذين أمر الله تعالى بمودتهم، فقال:
(ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ).
وأذهب عنهم الرجس بإرادته وطهرهم تطهيراً؛ حيث قال سبحانه وتعالى:
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

الا بالصلاة عليهم... وكثير مما لا يحصى وهو من المسلمات عند جمهور المسلمين في فضل الحسين وتميزه بالمحبة.

فكيف نجد إنسانا يحب الحسين عليه السلام وهو بهذه الميزات، وتفيض عينه بحب الحسين عليه السلام، طاعة لله وللرسول، وحسب وصايا الرسول والكتاب الحكيم ونقول عنه انه مبدع، وان عمله لا يرضي الله ورسوله!!

انه منتهى الجهل، بل هي نعرة إبليس وغواية الشيطان، باتهام الإنسان بما حباه الله تعالى من فضل، فلعنة الله على إبليس والشياطين وحزبهم.

والأقرب من هذا ان هذا النوع من الحرص على الدين، هو البدعة،، وتحت عنوان هذا الحرص، يمارس كل البدع التي حذر منها الرسول الأعظم دون ان يرعوي، وهو يعلم ان الرسول صلى الله عليه وآله، حذر منها، بل ليخدع نفسه صنفها من البدع المقبولة، وهذا من البلية الشر التي تضحك!

والأغرب الغريب من كل هذا ان الذي يرى في البكاء على الحسين عليه السلام، من محبي الحسين عليه السلام بدعة، قد يساوي بين الحسين عليه السلام والذي لعنه الله ورسوله، ويترضى عليهم!!

ثالثا- نهج الحسين عليه السلام التربوي وكيف يمهد لدولة الاسلام العالمية:

إن من أهم ما يلفت نظر المرء في سلوك الأفراد والجماعات في الحياة الدنيا، هو أن يرى، أو يسمع أحدا أو جماعة يبكون، وكلما كان البكاء حادا كلما كان الانتباه يشتد إليه والفضول يحوم حوله.

وكلما كان بكاء المسلمين على الحسين عليه السلام سلوكا جمعيا وشديدا كلما كان

أكثر إثارة في شد الانتباه، ويبعث على طلب الجواب المقنع، على الصعيد الفردي والاجتماعي ثم على الصعيد السياسي، ولذا كان بكاء المسلمين على الحسين عليه السلام يقض مضاجع الطغاة على مر العصور. وتلك حقيقة تاريخية وسياسية في حياة المسلمين تحتاج إلى دراسة.

فالإنسان قد يقول كذبا، او يفعل زورا، او يماري او يجادل باطلا، لكنه لا يستطيع ان يبكي كذبا في مجاميع، وربما في شعوب بالكامل، وفي موضوع تنعقد النفوس

ولذا فإن القول بطاعة الفاجر، وجعلها قرينة لطاعة الله تعالى، يلغي الحكمة التي تترتب أصلا من أمر الله تعالى جملة وتفصيلا، وتجعل الدين ككورة بابابر بدل أن يكون كخلية نحل.

فأولي الأمر في الآية المحكمة هم؛ قطعاً معنى لوجود المعصوم الذي لا تخلو الأرض منه في زمانها ومكانها، المختار من قبل الله تعالى المنصوص عليه والدال إليه، فهو النذير وهو الهادي وهو الحجة البشرية لله على البشر.

قال الله تعالى:

(رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً).

والمعصوم؛ هو الخليفة الذي صرح به الله تعالى في خطابه لداود عليه السلام:

(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ).

عليه كدين، والسلوك الجمعي فيه بقصد القربى لله تعالى، وان يطول بكاؤه أحقابا وقرونا ويتكرر حزنه بصدق تام!!!

ولو قلبنا تاريخ الأدب العالمي على الإطلاق فلن نجد شعرا اصدق وأوفر وأكثر وأحسن من أدب ألطف، ترى لماذا؟

والشعر الحسيني خصوصا لم يكن له في الشعر العالمي مثيل بصدق عاطفته، حتى إن عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين يقول: كان الشعر العربي علويا وسيبقى علويا، لما فيه من حرارة العاطفة وصدقها الذي ينبض بحب آل محمد(صلوات الله عليهم).

من هنا ندرك أهمية الحسين عليه السلام، كثائر يطالب الإصلاح في امة جده (صلى الله عليه وآله)، قتل ظلما وخيانة وغدرا، ثم سبيت عياله عيال الرسول(صلى الله عليه وآله) الطاهرات، وقدمت الرؤوس المقدسة هدايا لأبناء الباغيات والطلقاء.

اذن؛ صدق عاطفة الناس اتجاه الحسين المظلوم، ودوام الحزن والبكاء على مصيبة الحسين عليه السلام وأهل بيت النبوة الأطهار، كلها أمور تؤدي إلى حفظ الدين؛ وديعة الحسين المحبوب المظلوم المذبوح من اجل هذا الدين، ويمكننا ان نشهد اقتران اظهار مظلومية الحسين بحفظ الدين في اتجاهين:

الاتجاه الاول:

في البكاء على الحسين عليه السلام معاني التصاف العاطفة عند الباكين من أنصار الحسين عليه السلام، بالمبدأ الذي قدم الحسين نفسه شهيدا من اجله، وقدم عياله؛ بنات الوحي، سبايا عند الأدعياء من اجل الدين، فالبكاء هنا احتجاج وتعبير عاطفي مستمر، لاجل أهل البيت(عليهم السلام) المظلومين وضد الظالمين منذ فجر الإسلام الى الآن.

ان أهل البيت((عليهم السلام)) مطهرون بإرادة الله:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)[1].

وإرادة الله لاشك نافذة، فالبكاء على الحسين عليه السلام، إنما هو بكاء لفقدان الإسلام الحق الذي يمثله الحسين الطاهر المطهر عليه السلام بكل ما تعنيه إرادة الله تعالى من محض الخير والسؤدد، و الذي يختفي من واقع المسلمين، فالحسين لازال يذبح في كل لحظة، والبكاء عليه تمثيل لواقع مفقود ولا يمكن لمبدأ الحسين إن يسود إلا بمحق الظالمين، وعلى هذا يستمر البكاء على الحسين عليه السلام، ومعه تستمر مبررات هذا البكاء التي هي ضرورة سيادة دين جد الحسين صلى الله عليه وآله.

و من جانب أخر نجد أن أعداء الحسين عليه السلام، ولا زالوا، بنفس مواصفات يزيد

1. الاحزاب – 33.

وعمر بن سعد والشمر وعبيد الله، وخولي وسنان... أوغاد أجلاف ظلمة متسلطون، لا يهمهم من الكرسي إلا التحكم في رقاب الناس واكل أموالهم، والتلاعب بمقدراتهم... والدين لعق على الألسن كما يصف الحسين الناس عليه السلام في خطبته يوم عاشوراء

فالبكاء على الحسين عليه السلام إنما هو احتجاج على استمرار الحال وغياب دين الحسين وجد الحسين وأبو الحسين(صلوات الله عليهم).. ترى ما هو دين الحسين الذي يريده الباكون؟

وعلى هذا المنوال تستمر هذه الاطروحة الربانية الحسينية الراتبة، الى ظهور امام الزمان عجل الله فرجه، وفي معانيها يستمر حفظ مذهب ال محمد في نفوس المحتجين من المسلمين البكائين على الحسين فقط.

وهذا للأسباب التالية:

1. فالبكاء على الحسين عليه السلام وسيلة للتعبير عن الالتصاق بالدين الصادق وللكون مع الصادقين، الذين امر الله تعالى بالكون معهم. قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)[1]

والصادقون هم أهل البيت(صلوات الله عليهم).

2. والبكاء على الحسين عليه السلام وسيلة تمثل اختيار السفينة المنجية التي أوصى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بركوبها وعدم التخلف عنها.. قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

(ان مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)[2].

3. والبكاء على الحسين عليه السلام وسيلة للتمسك بالثقل العاصم من الثقلين الذين أوصى بهم الرسول الأعظم صلى الله عليه واله وسلم بالتمسك بهما عصمة من الضلال.

4. فقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم:

(أما بعد أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين؛ اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال؛ وأهل بيتي أذكركم

1. (التوبة:119)
2. ذكر هذا الحديث اكثر من مائة وخمسين عالما من علماء السنة، مرسليه إرسال المسلمات وقد ورد في: المستدرك للحاكم:ج3-ص: 151.وفي المعجم الكبير للطبراني؛ ص130، وفي المعجم الصغير للطبراني؛ص78، وفي مجمع الزوائد للهيثمي؛ج9، ص168، والجامع الصغير للسيوطي، ثم في عيون الأخبار لابن قتيبة ج1؛ص211.

الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)[1]

والبكاء على الحسين عليه السلام طاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله والائمة المعصومين، في محبة الحسين واهل بيته عليهم السلام، كما مر معنا في قوله صلى الله عليه واله: (أحب الله من أحب حسينا).

فالبكاء على الحسين عليه السلام طاعة لله تعالى في مودة ذوي القربى عليهم السلام، المطلوبة في القران. وهو تعبير لتجنب الاصطفاف مع حزب إبليس، فقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم:

(النجوم أمان لاهل الارض من الغرق، وأهل بيتي أمان لامتي من الاختلاف فإذا خالفتهم قبيلة من العرب صاروا حزب إبليس)[2].

الاتجاه الثاني:

في البكاء عل الحسين عليه السلام، دعوة لنصرة المستضعفين من كل جنس ولون، الذي هو عماد مذهب أهل البيت عليهم السلام، باعتبار ان الدين أصلا جاء لعصمة الإنسان من ان يكون مستغلا او مستغلا، وهو بيان لكل معنى جميل في الوجود الذي ليس فيه فرق ولا ميزة لعربي على اعجمي الا بالتقوى التي لم تبرز الا من خلال ثورة الحسين عليه السلام؛ لان البكاء على الحسين فيه حجة على بقية المسلمين بالملازمة والتكرار، حيث البكاء يلازم المستضعفين المحبين لناصريهم الحقيقيين، ويتكرر مع الدهر في أيام الله، وضمن معيار شعائره؛ فهو إذن دعوة للجميع؛ ان يسالوا عن سر هذا البكاء السرمدي، ومن خلال هذه الشعائر؛ هل هو معقول ان تكذب عواطف مئات فطاحل الشعراء وعمالقتهم على مر التاريخ.

فما من فطحل او عملاق في الشعر الا وهو محب لاهل البيت وللحسين عليه السلام من النادبين المبكين الباكين!!!

ليس صدفة ان يكون عمالقة الفكر الإسلامي، هم ممن يبكون الحسين عليه السلام

ومن اشد محبيه وموالية. من امثال العالم المبدع والمفكر العظيم جابر بن حيان الكوفي، والفيلسوف الكبير والطبيب العبقري ابن سيناء الشيخ الرئيس، وابن النديم الذي يصفونه بالمتطرف في حب ال محمد، والفراهيدي، وابو الاسود الدؤلي... وغيرهم كثير، ومن القريبين الفيلسوف المبدع صدر الدين الشيرازي(الملا صدرا)، والامام محمد باقر الصدر والطائر

1. ذكر هذا الحديث غير مسلم أكثر من مئتي مصدر منها: مسند احمد بن حنبل: ج5-182، وطبقات بن سعد: ج2-192، والمعجم الصغير -173، والسنن الكبرى للبيهقي:ج10- 113، وكنز العمال: ج1- 3322، وصححه الالباني في مواضع عدة من تخريجاته؛ سلسلة الاحاديث الصحيحة:ج4- 355، وصحيح الترمذي، وصحيح الجامع الصغير.

2. جاء هذا الحديث في المستدرك: ج3-149، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وفي الصواعق المحرقة: ج2-445، وصححه؛ وفي مجمع الزوائد ج3-147.

الامام الخميني.

اما كل عمالقة الشعر فهم ممن يبكون الحسين ويندبونه؛ الفرزدق والكميت ودعبل وأبو العتاهية وابو فراس وابو نؤاس..حتى لكأن البكاء على الحسين ملهم الإبداع في كل اتجاه.

هل معقول ان هذه العقول العملاقة في التاريخ كلها تبكي الحسين لمجرد صدفة!!!

نطلف هذا التساؤل بفرض ان المتسائل عن البكاء على الحسين عليه السلام هو باحث عن الحقيقة, ولم يكمم عقله بمسلمات ما انزل الله بها من سلطان, لذا فان لم يكن باحثا عن الحق, فليس مأسوف عليه ما يفعله بنفسه فان يوم الفصل كان ميقاتا.

قال الله تعالى:(قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)[1]

6- دور العلماء في التربية تحبيب الحسين الى الناشئة:

اولا- حب الحسين عليه السلام حرب على الطغاة والظالمين:

يترافق إظهار حب الحسين والحسرة على الحسين عليه السلام بذكر قصة مقتله, مع مظاهر الحزن وتعابير الحسرة والأسف, ضمن مراسم للعزاء في سلوك جمعي لشيعته ومحبيه, في كل صقع من أصقاع الأرض وفي كل آن من عمر الناس على سطح هذا الكوكب.

الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه واله وسلم, وامام بنص الرسول قام او قعد, ومكتوب على الجميع لزوم محبته بنص الكتاب ومطهر من الرجس بإرادة الله تعالى و بنص الكتاب ايضا, وهناك وصايا نصية ومميزة للحسين من جده صاحب الرسالة فهو ابن الرسول والرسالة وأمه الزهراء سيدة نساء العالمين وابو المرتضى سيد الوصيين, وعياله هم عيال رسول الله.

اما قتلته فهم أبناء ألعناء الذين لعنهم الله ورسوله في مواطن كثيرة, ومن الذين طردهم رسول الله والمعروفون بانهم القردة والشجرة الملعونة في القرآن, سلالة النوابغ سمية ومرجانة شاربي الخمور وراكبي الفجور, طغاة العصور.

إذن الصورة هكذا: مستضعفون يندبون الحسين عليه السلام, ويبكون مستذكرين قصة الحكام الطغاة أولاد الزانيات, شاربي الخمور وراكبي الفجور, الذين استولوا على السلطة لمآربهم الخاصة, فحرفوا الشرع وساموا الناس الذل والقتل والترويع, وأكلوا الأموال بالباطل, ثم عدوا على عترة نبي الأمة فقتلوا أولاده وسبوا بناته.. وتفاصيل مواقف الشرف التي ليس لها مثيل التي وقفها الحسين عليه السلام وأهل بيته

1. الانعام – 149.

وأصحابه، من جانب ومواقف الغدر والخسة بكل ألوانها التي وقفها الطغاة وقادتهم وزبانيتهم.

هذه صورة البكاء الحسيني المتكرر في كل مكان ووقت، احتجاج بالغ التأثير، و في مضمونه تأييد للمظلومين المحرومين وتحريض يؤجج نار الثورة في المستضعفين، مثل ما هو تذكير بعدوان الحكام الظلمة وتحريض الناس على لعنهم والتبرؤ منهم.. إنها سياسة لنصرة الحق دوما وفي منتهى الذكاء، يورثها ويؤسس لها الحسين في قصته.

ان مجالس البكاء على الحسين عليه السلام تهز عروش الطغاة حينما تقام... ولذا فالطغاة والبكائين على الحسين عليه السلام في حال حرب سجال على مر التاريخ مع الظالمين.

إن البكاء على الحسين عليه السلام؛ منار فلق ومشكلة سياسية كبيرة تؤرق الطغاة، وهي في واقعها مشكلة سياسية معقدة جدا، ترتبط بالدين وتحيله الى محض سياسة.. تدفعه للواجهة من جديد وقد ظنوا انهم جعلوا افتراق الدين عن السياسة من المسلمات!

ان الباكين على الحسين عليه السلام هم ثوار الدين الحق شعروا بذلك ام لم يشعروا، لأنهم حمالين لمعاني نهج الحسين المظلوم، والبكاء ظاهر يعبر به المظلوم عن مظلوميته، والبكاء تظاهرة كبيرة للمظلوم على ظالمه، بما يرافق البكاء من دعاء على الظالم ولعن ومقت، وهو مباح بنص القران:

(لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً)[1].

في البكاء على الحسين عليه السلام يتجدد الدين:

وجود شعائر تستبكي الناس دوما:

_ كل ارض كربلاء وكل يوم عاشوراء

_ لكل موسى فرعون ولكل يزيد حسين.

_ إشارات وشعائر متجددة؛ مثل مراسم شعار؛ ابد والله لا ننسى حسينا، ومثل؛ مسيرات راجلة من كل أصقاع الأرض باتجاه كربلاء، ومثل؛ تبرع للعطاء بلا حدود وبشكل جمعي للباكين في ذكرى الحسين المظلوم عليه السلام.... وغيره مما تنفتق عنه معاني حب الحسين عند البكائيين عليه.

إذن لولا البكاء و البكائيين على الحسين لصار انتقال الخلافة إلى يزيد وأمثاله من الفجرة الطلقاء والأدعياء، ليكونوا خلفاء رسول الله(صلى الله عليه وآله) في عقيدته ومهام رسالته.. لكان هذا الانتقال أمرا عاديا مثل بقية حوادث التاريخ تلقائيا وبهذا لضاع الدين إلى الأبد.

لان البكاء على الحسين عليه السلام، عزز سيكولوجية بغض الظالمين في

1. النساء:148.

المجتمع الشيعي عبر قرون، وهو بدوره تمهيد لمحقهم على يد المصلح العالمي الثائر الذي يرفع شعار بارات الحسين.

وبهذا فإننا نجد حلقات متناسقة مترابطة لها معنى المسؤولية والتكافل، يفرزها البكاء الذكي على الحسين عليه السلام في مذهب ال البيت(صلوات الله عليهم)، ليس لها مثيل في الأديان والمذاهب الأخرى.

ضمن ذلك الهيكل السيكولوجي الاجتماعي المحبوك في مجتمع البكائيين، يكمن ضمان حفظ الدين وتجدد مهامه، رغم كل ما يبدو انه خلل.

ثانيا _ شعائر الحسين(عليه السلام) محض توحيد لله تعالى:

كما قدمنا في مقدمات البحث، فان هناك نسبة ثابتة بين الظلم والشرك، بل هما وجهان لمعنى القبح في الوجود، وان البكاء على الحسين عليه السلام وكل الشعائر الحسينية خصوصا المسيرات الراجلة، هو تعبير عن كراهية محبي الحسين عليه السلام للظلم، واعلانا لبغض الظالمين في كل عصر ومصر، وانه عمليا يعزز سيكولوجية بغض الظلم وعداوة الظالمين في النفوس الباكية والمجتمعات المتظاهرة..تجسيدا لما ناله الحسين من مظلومية متميزة بمنتهى القسوة والإجحاف، ليس إلا لأنه صاحب دين صحيح جوهره التوحيد الخالص لله تعالى.

وإذا كرهت النفوس الظلم حقيقة؛ فإنما هي تكره الشرك؛ فقد جاء في قوله تعالى:

(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[1].

ان البكاء على الحسين عليه السلام _ كما هو مفترض _ يصدر عن نفوس قومت بتوحيد الله تعالى الخالص، لأنها انطوت على بغض الظالمين وعداوتهم والبراءة منهم. وهذا هو منهج واضح في التوحيد يبرزه القران تعلمناه من سيرة سيد الموحدين إبراهيم الخليل عليه السلام التي يحكيها القران الكريم؛ قال تعالى:

(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)[2].

والآية محكمة واضحة المعاني والدلالات على بغض الظالمين كأساس للتوحيد كعقيدة تستوعب النفوس.

وفي موضع اخر من نهج القران في كون بغض الظالمين وعداوتهم هو نهج

1. لقمان:13.
2. الممتحنة:4.

الموحدين؛ قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام:

(قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ* فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ)[1].

وفي موضع أخر يقول الله تعالى عن سيد الموحدين إبراهيم الخليل عليه السلام في جده لامه أو عمه:

(وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)[2].

تبرء إبراهيم من اقرب رحمه، لأنه علم انه عدو لله تعالى.. والشيء اللافت هنا في هذه الآية الذي يحتاج إلى تأمل كبير، هو تذييل الآية، بمدح إبراهيم بأنه أواه، أي بكاء.

والبكاء على الحسين عليه السلام بما فيه من حسرة وحرقة على مظلوميته ومصيبته الراتبة، فانه يتضمن لعن الظالمين الكبار ومؤسسي الظلم في العالم والبراءة منهم، خصوصا الذين امتطوا الدين الذي جاء بشريعة التوحيد والوحدانية ومحف الظلمة والظلم، فجعلوه سهما لغاياتهم في الحياة الدنيا وعروة للتسلط على الناس بغير عدل افشلوه، ولاحسنا فعلوه.

إذا لا توحيد خالص لله تعالى في الأرض بلا ببغض حقيقي للظالمين ولا أساس لبغضهم عمليا وعلى الواقع الإنساني اليوم إلا في الباكين على الحسين عليه السلام، ولذا فان أئمتنا(عليهم السلام) قد أسسوا عمليا للتوحيد بدمهم وبدموعنا.

فما أغلى ما أعطوا(عليهم السلام) لتوحيده جل وعلا، وما ارخص ما نعطي، ذلك إن كنا نسكب دمعة في سبيل الحسين عليه السلام.

النتيجة: ان من معاني كمال الإسلام انه يحمل في ذات عقيدته مناهجه التربوية الى الكمال في كل شئ ومنه الكمال في منهج الاعداد لحكومته العالمية الكاملة على يد بانيها الرباني الامام ولي العصر عجل الله فرجه الشريف.

1. الشعراء:75-77.
2. التوبة:114.

الاستراتيجية الإعلامية ودورها البارز في رسم معالم العقيدة المهدوية لدى جيل الصحوة الإسلامية ظهورا وإعدادا

الدكتور خالد رمزي سالم كريم

مقدمة

الحمدلله الملك الجواد.. الهادي الى سبل الرشاد.. الذي خلق الخلق كما أراد.. وجعل الأرض مهاداً.. والجبال أوتاداً.. وأنزل من السماء ماء مباركا.. لنخرج به الأرض زرعاً ونباتاً.. وأنعم علينا بنعم كثيرة لا تحصيها الأعداد.. وأشهد ألّا إله إلا الله وحده لا شريك له.. المنزه عن الصاحبة والأولاد.. شهادةً أدخرها ليوم المعاد.. وأستعين بها على الكرب والشداد.. وأشهد أن محمدا عبده صلى الله عليه وسلم وآله الطيبين الطاهرين.. الذي جعله الله بركة ورحمة للعباد... أما بعد:

فهذه شريعة الله تعالى أنزلها لخلقه.. لتؤخذ أحكامها وتُطبق في شتى الميادين.. فإنْ طلب أحد العباد السعادة في غيرها.. ضل وشقي.. وخرج منها صفر اليدين ملجوما بالخسارة والذلة.. ومن أيقن أنها نعمة من الخالق.. ووطّن نفسه على عمل ما يحب الرب جلّ جلاله.. نال رضاه وأحبه.. وكان من الفائزين.. يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما بعد...

فمن نعمّ الله تعالى عليّ أن هبأ لي المشاركة بمؤتمر العقيدة المهدوية الناسع في قم الحبيبة, والذي يدل بلا مجاملة ولا نفاق أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية رائدة الحركة الفكرية الثقافية الإسلامية بلا منازع, فالاهتمام بالشرع الحنيف والتأصيل لمسائل العقيدة الإسلامية (العقيدة المهدوية منها) وكذا الاهتمام بالاصلاح ومكافحة الفساد والتقريب بين المذاهب و وضع معالم للصحوة وإلغاء التبعية الغربية الظالمة (الأمريكوصهيوني), خرج

جميعه بمبادرات إيرانية إسلامية هدفها جمع الكلمة وتوحيد الصف بوسائل شتى وأساليب مختلفة لتعاد للأمة العربية الإسلامية مكانتها وهيبتها على مستوى العالم أجمع,لـــذا تستحق إيران حكومة وشعبا كل تقدير وثناء ومتابعة خطى, للوصول لكل مفيد نافع للأمة الإسلامية قاطبة.

ومن هنا أخترت الكتابة بموضوع بالغ الأهمية, ويكاد يكون مطلب العصر الحديث لعلماء وشباب الأمة العربية والإسلامية على حد سواء ألا وهو " الاستراتيجية الإعلامية ودورها البارز في رسم معالم العقيدة المهدوية لدى جيل الصحوة الإسلامية ظهورا وإعدادا "

نعم إن تسلح جيل اليوم الشباب الفتي المندفع للإصلاح ورفع الظلم وإحقاق الحق بفكر العقيدة المهدوية, سيخلق جيلا من الشباب المسلم المميز مسلكا وثقافة وعقيـــدة, ومن المعلوم أن ذلك لا يكون إلا بالسيطرة على الإعلام وتوجيهه بما يخدم فكرة الإعداد والظهور للإمام المنتظر المهدي عليه السلام ناصب العدل ورافع الظلم وكاسر شوكة الباطل,والأمر إعلاميا لا يؤتي ثماره بأسلوب العرض للمرة الواحدة ثم الاختفاء أمدا بعيدا أو العرض لبرنامج لفترة ثم الضمور,بل لابدّ من وضع استراتيجيات إعلامية منضبطة مدروسة تعتمد المشورة من أهل الاختصاص والعقل والرأي مشتركين مجتمعين,ثم توضع الخطط والأهداف لهذه المنظومة الإعلامية المتعلقة بأمر عقدي متفق عليه بين أهل السنة والشيعة معا وهو خروج الإمام المهدي عليه السلام, وصولا للتغير الشامل المطلوب بالواقع المعيشي للكون بأسره.

ومن المعلوم أيضا أن الصحوة الإسلامية التي تسري في شوارع وعقول الأمة العربية والإسلامية, إن وجهت بطريقة سليمة منضبطة بعيدة عن التأثير الغربي والصهيوني ستصل بنا للصف الواحد, والكلمة الواحدة, والقلب الواحد, والحكم الواحد...نعم بالصحوة الإسلامية نستطيع أن نكون أقوياء لنا هيبتنا وكلمتنا, ونستفيد من خيرات أرضنا, ونستطيع كذلك و بكل ثقة التخلص من الهيمنة الاقتصادية والسياسية الغربية على الثروات العربية والإسلامية.

وللعلم فإن لإيران الإسلامية بلد الثورة والصحوة الحقيقية ديّن ثقيل على كاهل الأمة العربية والإسلامية على حد سواء, وذاك لأنها أخذت زمام التوعية والتثقيف على مستوى دولي للأمة جمعاء, بأهمية العودة للدين عقيدة ومعاملات ومقاصد منطلقا للحوار مع الآخر والتعاطي مع المستجدات ودعت كذلك للتقريب بين المذاهب الإسلامية المختلفة, والتي تنحدر من مصدر واحد وإن اختلفت الأفهام وتنوعت الرؤى, وعملت كذا الجمهورية الإسلامية على طرح موضوع الصحوة الإسلامية بما له وعليه على طاولة النقاش واستدعت لذلك العلماء والمفكرين ورجال الإعلام والشباب وأشركت المرأة والشعر بما له وعليه, لنخرج من ضيق المفهوم إلى وحدة الصف ونبذ الخلاف ووضوح المعالم للأمة جمعاء.

التمهيد: الإمام المهدي في شرعنا الحنيف.

الإمام المهدي عليه السلام وعجل الله فرجه وخروجه للأمة جمعاء، الإيمان به ركن أصيل من أركان الدين، وبه الأمل في ملأ الأرض عدلا و خيرا، وبه ينكسر الصليب. و به يحكم شرع الله تعالى على أرضه كاملة، وترفع به راية التوحيد الحقيقي لله تعالى، لذا أتفق السنة والشيعة معا على أن تناول قضية المهدي تتبع الأمور العقدية والتي لا مرية فيها ولا شك، لذا الإمام المهدي يحتل مكانة مرموقة عظيمة بشرعنا الحنيف،والتعرف إليه مطلوب مرغوب شرعا، وهنا أتناول بعض صفات و مناقب الإمام المهدي عليه السلام:

المهدي عليه السلام أحد سبعة سادة أهل الجنة

روي عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا، وحمزة، وعلي، وجعفر، والحسن، والحسين، والمهدي. ومثله الحاكم: 211/3، وصححه على شرط مسلم، وفيه: أنا وعلي وجعفر وحمزة. وتاريخ بغداد: 434/9، وفيه: نحن سبعة بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة، أنا وعلي أخي وعمي حمزة وجعفر والحسن والحسين والمهدي). وتلخيص المتشابه: 197/1، والفردوس: 53/1، وفيه: بني المطلب سادة... ومناقب ابن المغازلي/48، وليس فيه المهدي عليه السلام. ومقتل الحسين للخوارزمي: 108/1، عن أبي نعيم. وبيان الشافعي/488، كابن ماجة، وقال: هذا الحديث صحيح أخرجه ابن ماجة الحافظ في صحيحه كما سقناه، ورزقناه عالياً بحمد الله، وأخرجه الطبراني عن جعفر بن عمر الصباح، عن سعد بن عبد الحميد كما أخرجناه، ورواه أبو نعيم الحافظ في مناقب المهدي بطرق شتى.

وقال ابن الصديق المغربي/542: وقد وجدت ما يصلح أن يكون للحديث شاهداً، قال الطبراني في المعجم الصغير: حدثنا أحمد بن محمد بن العباس المري القنطري...عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو ابن عم أبيك جعفر، ومنا سبطا هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك، ومنا المهدي. انتهى.

وفي دلائل الإمامة/256، عن الأصبغ بن نباتة، قال: كنا مع علي بالبصرة، وهو على بغلة رسول الله، وقد اجتمع هو وأصحاب محمد فقال: ألا أخبركم بأفضل خلق الله عند الله يوم يجمع الرسل؟ قلنا: بلى يا أمير المؤمنين، قال: أفضل الرسل محمد وإن أفضل الخلق بعدهم الأوصياء، وأفضل الأوصياء أنا، وأفضل الناس بعد الرسل والأوصياء الأسباط، وإن خير الأسباط سبطا نبيكم، يعني الحسن والحسين، وإن أفضل الخلق بعد الأسباط الشهداء، وإن أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب قال ذلك النبي، وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين، مخضبان، بكرامة خص الله عز وجل

بها نبيكم، والمهدي منا في آخر الزمان لم يكن في أمة من الأمم مهدى ينتظر غيره). وعنه إثبات الهداة: 574/3.

وفي قرب الإسناد/13، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: منا سبعة خلقهم الله عز وجل لم يخلق في الأرض مثلهم: منا رسول الله صلى الله عليه وآله سيد الأولين والآخرين وخاتم النبيين، ووصيه خير الوصيين وسبطاه خير الأسباط حسناً وحسيناً وسيد الشهداء حمزة عمه، ومن قد طار مع الملائكة جعفر، والقائم). وعنه البحار: 275/22.

أقول: كفى بهذا الحديث الشريف دليلاً على مكانة هؤلاء العظماء من أبناء عبد المطلب رضوان الله عليه، ومنهم الإمام المهدي عليهم السلام، فهو حديث بقوته ووضوحه حاكمٌ على كل ما رووه من أفضلية زيد وعمرو.

الإمام المهدي عليه السلام مختارٌ مصطفى من الله عز وجل

في الكافي: 49/8، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم وهو مستبشر يضحك سروراً، فقال له الناس: أضحك الله سنك يا رسول الله وزادك سروراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنه ليس من يوم ولا ليلة إلا ولي فيهما تحفة من الله، ألا وإن ربي أتحفني في يومي هذا بتحفة لم يتحفني بمثلها فيما مضى، إن جبرئيل أتاني فأقرأني من ربي السلام وقال: يا محمد إن الله عز وجل اختار من بني هاشم سبعة لم يخلق مثلهم فيمن مضى ولا يخلق مثلهم فيمن بقي، أنت يا رسول الله سيد النبيين، وعلي بن أبي طالب وصيك سيد الوصيين، والحسن والحسين سبطاك سيدا الأسباط، وحمزة عمك سيد الشهداء، وجعفر بن عمك الطيار في الجنة يطير مع الملائكة حيث يشاء، ومنكم القائم يصلي عيسى بن مريم خلفه إذا أهبطه الله إلى الأرض، من ذرية علي وفاطمة، من ولد الحسين.

وفي المسترشد/150، عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: إنا أهل بيت أعطينا سبع خصال لم يعطها أحد من الأولين قبلنا، ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا: نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عمك، ومن له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو جعفر بن أبي طالب ابن عمك، ومنا سبطا هذه الأمة، ومهديهم ولدك.

إثبات الوصية/225، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل اختار من الأيام يوم الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ومن الشهور شهر رمضان واختارني من الرسل، واختار مني علياً، واختار من علي الحسن والحسين، واختار منهما تسعة، تاسعهم قائمهم وهو ظاهرهم وهو باطنهم.

تفسير القمي:65/2: " يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ": قال: ما بين أيديهم ما مضى من أخبار الأنبياء وما خلفهم من أخبار القائم عليه السلام, وقوله:" وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ", أي ذلت. وأما قوله: " أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ", يعني ما يحدث من أمر القائم عليه السلام, وعنه البحار:46/51.

أخذ الله الميثاق للمهدي عليه السلام

البصائر/70, عن حمران, عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماء عذباً وماء مالحاً أجاجاً فامتزج الماءان, فأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً فقال لأصحاب اليمين وهم فيهم كالذر يدبون: إلى الجنة بسلام, وقال لأصحاب الشمال يدبون: إلى النار ولا أبالي. ثم قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ, قال: ثم أخذ الميثاق على النبيين فقال أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ, ثم قال: وأن هذا محمد رسول الله وأن هذا علي أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى. فنبئت لهم النبوة وأخذ الميثاق على أولي العزم ألا إني ربكم, ومحمد رسولي, وعلي أمير المؤمنين, وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزان علمي, وأن المهدي أنتصر به لديني, وأظهر به دولتي, وأنتقم به من أعدائي, وأعبد به طوعاً وكرهاً؟ قالوا: أقررنا وشهدنا يا رب. ولم يجحد آدم ولم يقر فنبئت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي, ولم يكن لآدم عزم على الإقرار به وهو قوله عز وجل: وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً. قال: إنما يعني فترك. ثم أمر ناراً فأججت فقال لأصحاب الشمال: أدخلوها فهابوها, وقال لأصحاب اليمين: أدخلوها فدخلوها فكانت عليهم برداً وسلاماً, فقال أصحاب الشمال: يا رب أقلنا, فقال: قد أقلتكم إذهبوا فادخلوها فهابوها, فتم ثبتت الطاعة والمعصية والولاية). ومثله الكافي:8/2, بتفاوت يسير, ومختصر البصائر/154, وإثبات الهداة:461/1, والبحار:279/26.

أقول: إذا صحت الرواية فينبغي أن تكون نسبة ذلك الى آدم عليه السلام قبل نزوله الى الدنيا, واجتباء الله له وجعله نبياً معصوماً عليه السلام.

المهدي عليه السلام أحد أربعة أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله بحبهم

كشف اليقين/117, عن الفردوس, عن جابر بن عبد الله, عن النبي صلى الله عليه وآله: الجنة تشتاق إلى أربعة من أهلي, قد أحبهم الله وأمرني بحبهم: علي بن أبي طالب والحسن والحسين والمهدي الذي يصلي خلفه عيسى بن مريم. وعنه كشف الغمة:52/1.

تُرافقهُ غمامةٌ تُظِلُّه وفيها ملَك

بيان الشافعي/511، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يخرج المهدي على رأسه غمامة، فيها مناد ينادي: هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه. وقال: هذا حديث حسن ما رويناه إلا من هذا الوجه، أخرجه أبو نعيم في مناقب المهدي عليه السلام. ومثله عقد الدرر/135، وفرائد السمطين:316/2.

وفي تلخيص المتشابه:417/1، عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله قال: يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي إن هذا المهدي فاتبعوه). ومثله بيان الشافعي/512، عن عبد الله بن عمرو، وقال: قلت: هذا حديث حسن روته الحفاظ والأئمة من أهل الحديث كأبي نعيم والطبراني وغيرهما.

النعماني/212، عن الحسين بن علي عليهم السلام قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: يا أمير المؤمنين نبئنا بمهديكم هذا؟ فقال: إذا درج الدارجون وقلّ المؤمنون وذهب المجلبون، فهناك هناك، فقال: يا أمير المؤمنين ممن الرجل؟ فقال: من بني هاشم من ذروة طود العرب وبحر مغيضها إذا وردت، ومخفر أهلها إذا أُتيت، ومعدن صفوتها إذا اكتدرت، لايجبن إذا المنايا هكعت، ولا يخور إذا المنون اكنعت، ولاينكل إذا الكماة اصطرعت، مشمرّ مغلولب ظفرٌ ضرغامة، حصد مخشن ذكر، سيف من سيوف الله، رأس قنم، نشو رأسه في باذخ السؤدد وغارز مجده في أكرم المحتد، فلا يصرفنك عن بيعته صارف عارض ينوص إلى الفتنة كل مناص، إن قال فشر قائل وإن سكت فذو دعابر. ثم رجع إلى صفة المهدي عليه السلام فقال: أوسعكم كهفاً وأكثركم علماً وأوصلكم رحماً، اللهم فاجعل بعثه خروجاً من الغُمة، واجمع به شمل الأمة. فإن خار الله لك فاعزم ولا تنتن عنه إن وُفقت له، ولا تجوزنّ عنه إن هديت إليه، هاه - وأومأ بيده إلى صدره- شوقاً إلى رؤيته). وعنه إثبات الهداة:537/3، والبحار:115/51.

تظهر على يده معجزات الأنبياء عليهم السلام

إثبات الهداة:700/3، عن إثبات الرجعة للفضل بن شاذان بسندين، قال: ما من معجزة من معجزات الأنبياء والأوصياء إلا ويظهر الله تبارك وتعالى مثلها في يد قائمنا، لاتمام الحجة على الأعداء). ومثله أربعون الخاتون آبادي/67.

النعماني/245، عن خلاد بن الصفار قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام هل ولد القائم عليه السلام؟فقال: لا، ولو أدركته لخدمته أيام حياتي). وعقد الدرر/160، والبحار:148/51.

يصلى رسول الله عيسى بن مريم خلفه

قال رسول الله صل الله عليه واله: " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال، فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم، فيقول

أميرهم: تعال صل لنا.

فيقول: لا. إن بعضكم على بعض أمراء. تكرمة الله هذه الأمة "

الراوي: جابر بن عبدالله المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: 156

قال رسول الله صل الله عليه واله: أن عيسى يصلي خلف إمام هذه الأمة

الراوي: - المحدث: ابن حجر العسقلاني - المصدر: الإصابة - الصفحة أو الرقم: 436/1

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم».

أخرج أبو نعيم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم «منّا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه».

وأخرج أبو نعيم عن جابر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم: «ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صلّ بنا، فيقول: لا وان بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله لهذه الأمّة».

وأخرج ابن ماجة والروياني وابن خزيمة وأبو عوانة والحاكم وأبو نعيم واللفظ له عن أبي امامة قال: " خطبنا رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم _ وذكر الدّجال وقال: «فتنفي المدينة الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص، فقالت أم شريك فاين العرب يا رسول الله يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل وجلّهم ببيت المقدس وامامهم المهدي رجل صالح، فبينما امامهم المهدي قد تقدم يصلي بهم الصبح اذ نزل عليهم عيسى بن مريم وقت الصبح، فيرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليتقدم عيسى فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له تقدم فصلّ، فانها لك أقيمت، فيصلي بهم أمامهم.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنّف عن ابن سيرين قال: «المهدي من هذه الأمّة، وهو الذي يؤمّ عيسى بن مريم».

قال سبط ابن الجوزي: «وقال السدّي: يجتمع المهدي وعيسى بن مريم فيجيء وقت الصلاة فيقول المهدي لعيسى: تقدم، فيقول عيسى: أنت أولى فيصلي عيسى وراءه مأموماً»

قال ابن حجر: «وما ذكره من ان المهدي يصلّي بعيسى هو الذي دلت عليه الأحاديث كما علمت».

هذه بعض الفضائل والمناقب التي وقفت عليها من كتب أهل السنة والشيعة معا، والتي نأخذ منها مكانة الإمام المهدي عليه السلام في شرعنا الحنيف، الإمام الذي يحمل بوارق الأمل معه من إرساء قواعد العدل والأمن ورفع الظلم وقتال كل من يكفر بالله تعالى... عجل الله تعالى فرجه عليه السلام.

الاستراتيجية الإعلامية و دورها البارز في رسم معالم العقيدة المهدوية لدى جيل الصحوة الإسلامية ظهورا و إعدادا

تَمُرُّ الأُمَّة الإسلامية بواقع ينسم بالضعف، والتخلف، والتقهقر، والتقوقع، والشعور بالنقص، والرضا بالتبعية للصهيونية والصليبية المتطرفة (اليمين المتطرف)، التي اتخذت من دول العالم الأول مكاناً استطاعت من خلاله بسط ثقافاتها ومعتقداتها في عقر ديار الإسلام؛ بل أضحت التحديات التي ينبغي على الأُمَّة مواجهتها ومجابهتها ذات فوارق عن تحديات العصور السالفة، فهي تحديات مرتبطة بعصر العولمة والتكنولوجيا وهيمنة (الميديا) الإعلامية، والتكتلات الاقتصادية، والإمبريالية الرأسمالية، وغيرها من وسائل القوة المادية التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً من قبل.

فما دامت الأمة تعيش عصر العولمة والتكنولوجيا وهذا الجيل اليوم أضحى يطلق عليه جيل الديجيتال، بات المسلم مطالبا أكثر من غيره للعصر مواكبة و للتقنية مزاحمة، والعقيدة المهدوية بما تحمل من فكر ورؤى شرعية عقدية تعتبر اليوم بوابة أمل وفتح للخير لكل مسلم موحد، لذا أن نعمل على وضع استراتيجيات للظهور والإعداد متعلقة بوسائل الاتصالات الحديثة متمثلة بالتفاز والإذاعة والمجال الإلكتروني يجعل منا أمة رائدة للخير، حاملة لفكر السلام مبشرة بمستقبل خير للبشرية جمعاء، وهنا علينا أن نعمل جاهدين لوضع استراتيجيات متناسبة مع الواقع المعيشي للمسلم والمنطقي في بناء الأحكام، نستطيع من خلاله التأثير على الفكر، وبناء منظومة حياتية شاملة ترسي قواعد بعثة الإمام المجدد المهدي عليه السلام و تبث فكره و تجدد عقيدته من خلال منظومة إعلامية تعتمد استراتيجيات مدروسة منضبطه شاملة تحمل في طياتها بث فكر الظهور والإعداد للإمام عليه السلام بثوب جديد بسيط مقبول للجميع مقامات و أعمار.

لذا من المفيد أن تكون هذه الاستراتيجيات تعتمد العقيدة المهدوية فكرا ايدولوجيا تبنى عليه السياسة الإعلامية في بث البرامج وطرح الأفكار بطريقة ذكية فاعلة بعيدا عن التقليد والتعقيد وتزاحم الأفكار غير المفيدة.

والسؤال هنا كيف نستطيع أن نخدم إعلاميا العقيدة المهدوية الإلهية المهمة ظهورا وإعدادا؟

تمثل العقيدة المهدوية واحدة من أهم مرتكزات العقيدة الإسلامية، لأنها تحمل في طياتها مسألة ظهور الإمام المهدي عليه السلام،الإمام الذي تنتظر الدنيا بأكملها خروجه بما يحمل من عدل وحرية وخير للبشرية جمعاء،لذا ينبغي أن تعطى مسألة ظهور المهدي الأهمية المناسبة تقديرا للمكانة والمنزلة معا، وينبغي كذلك تهيئة وإعداد الأمة وجيل شبابها لمسألة ظهور الإمام المهدي ونصرته والتي تعد أمرا دينيا بحتا.

واليوم تعد قضية الموعود المنتظرعليه السلام واحدة من أهم المفردات

المطروحة على الساحة الفكرية بجميع مفاصلها وبمختلف مذاهبها وايديولوجياتها الفكرية واتجاهاتها الفلسفية فالجميع يعتقد باليوم الموعود، الذي يعم في العدل والرخاء والسعادة للإنسانية جمعاء، ولكنها تختلف تبعا لمدارسها الفكرية (بغض النظر عن مدى الموضوعية فيها) في المصداق والشاخص الذي يمثل المحور لهذه الحركة العالمية والقطب الذي يجمع البشرية تحت قيادة لوائه، ونستطيع القول أن أطروحة أتباع أهل البيت(عليهم السلام) في تشخيص هوية ذلك المحور هي الأطروحة الوحيدة التي تنسجم مع الفطرة الإنسانية من جهة والنصوص المتواترة من جهة أخرى،كما أشار لذلك الإمام الصدر رحمه الله في غيرما موضع (فطرية العقيدة المهدوية).

ان العقيدة المهدوية والإيمان بالمنقذ الوحيد للعالم من الجور والظلم من العقائد الأساسية التي قام عليه الفكر الإسلامي، وهو أمر قامت عليه الدلائل الواضحة وصرحت به الروايات الشريفة (أنظر ما تقدم عن مناقب الإمام المهدي عليه السلام)، وباعتبار ارتباطها بالمولى أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، وهو الإمام الذي في أعناقنا الولاء والعهد والبيعة له في عصرنا الحاضر، الإمام الذين نعيش ببركة وجوده مما يعطي لهذه العقيدة أهمية قصوى، يخرجها عن البحث العقيدي المجرد بل يجعل منها عقيدة حياتية ينبغي ان نعايشها بالشعور والإحساس المفعم، وان نعمل بكل ما نتمكن منه لتحويلها إلى شعور حقيقي وفعلي بوجوده المقدس، وان نهيئ لهذا اليوم المبارك الذي يتمنى كل مؤمن أن تكتحل عينيه بجماله الباهر، كلنا أمل أن نعايش اليوم الذي تشرف الأرض بنور ربها.

_ بعدما تقدم نرى لزاما علينا وضع استراتيجية إعلامية عالمية إسلامية تقوم على مفاصد واضحة خدمة للعقيدة المهدوية، تكون منضبطة الاهداف و واضحة المعالم، ويقصد بها التأثير للمدى البعيد تربية وتنظيما لجيل الأمة الإسلامية أولا ثم العالم أجمع.

ولا يخفى على أحد الدور الذي تبوءه الإعلام في عصرنا الحاضر والذي شكل مصدرا معرفيا مهما، ونافذة لشرائح المجتمع لفهم الفكر والعقيدة، ويمثل موجها لأفراد المجتمع في مجال التربية والتعليم.

وهذا يلقي الضوء على المهمة الكبرى التي يمكن أن تؤديها القنوات الفضائية في هذا المجال، وكذا الإذاعات السمعية، وشبكة الأنترنت و المراسلة عبر الإيميل، واستخدام الشبكة الاجتماعية كالفيس بوك وتويتر وغيرها في إلقاء الضوء حول العقيدة المهدوية ظهورا و إعداد.

الاستراتيجية الإعلامية المطلوب توظيفها وتطبيقها... خطوات و أهداف:

1. جلوس العلماء من أهل الاختصاص الشرعي والتربوي والإعلامي معا، لوضع

خطط برامجه تعتمد سياسية إعلامية واضحة المعالم والأهداف كي تكون المخرجات ناجحة وتفي بما خطط له,وهذا يتطلب جلسات استماع للمادة ثم دراسة الأثر المتوقع والفئة المستهدفة.

2. أن تكون المادة المتوقع عرضها إعلاميا عن العقيدة المهدوية محل اتفاق بين الفرقاء من أهل السنة والجماعة, وهذا يتطلب ذكاء بالتناول والطرح معا, كي تكون مقبولة عند الجمهور الأعظم من أمة محمد صل الله عليه واله وسلم.

3. يجب أن توضع محددات الواقع المعيشي للفئة المستهدفة من عرض المادة, فشباب اليوم الأكثر جلوسا خلف الانترنت والأكثر استخداما للاي باد, والأكثر تواصلا عبر الفيس بوك والإيميل.

4. يجب عمل دراسة تقيمية للمادة المعروضة كل أربعة أشهر, للتطوير والتعديل, وذلك لمتابعة كل مستجد ومنافسة كل عائف.

5. لايوجد مانع شرعي من الاستفادة من الخبرات الغربية في حقل المادة التي ينبغي طرحها, وذلك لضمان أن يكون المطروح بمستوى راقي ومميز, شريطة أن لا يعود على أي أمر شرعي بالنقض أو التبديل أو التغيير.

6. اعتماد النظرية الصحيحة والابتعاد عن الخرافات وكل ما من شأنه تشويه هذه النظرية المباركة بالاعتماد على الأدلة الصحيحة, وهذا يحتاج إلى جهد علمي معمق, وبحث متواصل لإرساء أسس عقيدة صحيحة معتمدة على الأدلة الشرعية الواضحة من المنابع الأصيلة للإسلام المتمثلة بالقرآن والسنة الشريفة المقدسة على ضوء منهج للبحث المهدوي توضح أسسه ومبادئه ليشكل منهجا أساسيا للبحث الفكر المهدوي.

7. السعي الجدي لتنقية العقيدة المهدوية من الخرافات التي لحقتها من عمل الدجالين الذين يوظفون الدين لخدمتهم, فقد مرت هذه العقيدة بمراحل حاول فيها أتباع المصالح الخاصة وضعاف النفوس الدس لحرفها هذا من جهة, ومن جهة أخرى هناك ضعاف العقول والبسطاء الذين حملوا هذه العقيدة الأثقال الخطرة التي شكلت في النهاية تراكم من الخرافات والخزعبلات وحقل من الألغام التي تهدد هذا البناء المبارك, إن العمل في هذا المجال من أهم الواجبات التي ينبغي أن يضطلع بها العلماء وأصحاب الاختصاص وان التأخر في البدء به سيؤدي إلى نتائج وخيمة.

8. عرض العقيدة المهدوية بشكل واضح وشفاف يمكن عموم المؤمنين من فهما وهضمها واستيعابها, فإن الساحة العريضة من المجتمع لها الحق في أن تستوعب أبعاد اليوم الموعود, وان تساهم في الإعداد لذلك اليوم المشهود.

9. الاستفادة الجادة من العنصر الشبابي سواء في مجال البحث والدراسة او مجال النشر والتوضيح.

مجالات الجهد الإعلامي يمكن أن تكون في عدة أمور هي:

1. نشر الأحاديث النبوية الشريفة وأحاديث أهل بيت النبوة حول الإمام المهدي و الأحاديث التي توضح هذه العقيدة وانها من أصل الإيمان وان إنكارها إنكار للرسول الأعظم, وتكذيبه وجحد بنبوته, وان من يموت ولا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية, مع التأكيد على ان تعتمد الرواية الصحيحة _ وما أكثرها _ والآيات الشريفة خصوصا الروايات المشتركة بين المذاهب الإسلامية.

2. نشر الأدعية والزيارات المرتبطة بالمولى, وهي من الأعمال الإعلامية التي ساهمت في ترسيخ النظرية المهدوية بين الشيعة, وذلك لما لهذه الأدعية والزيارات من دور حيوي مؤثر في حياة الناس, وقد دأب الشيعة بتربية من أئمتهم عليهم السلام على قراءة الأدعية عقيب الصلوات وفي المناسبات الدينية المختلفة, مع الحرص الشديد على استفادة ذلك من الكتب المعتمدة والروايات التي يصح الاعتماد عليها.

3. دفع الشبهات عن العقيدة المهدوية وتوضيحها بأساليب مختلفة.

وبهذا نرى أن الإعلام يملك الكثير ليقدمه لنا لخدمة العقيدة المهدوية إذا ما أحسن استخدامه وبطرق علمية منضبطة مدروسة من أهل الاختصاص كل في ميدانه المختلف.

راجيا من الله العلي القدير التوفيق والسداد, فمن كان صوابا فمن الله تعالى جلت قدرته, وما كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان.

الأستاذ والطالب ودورهما في التربية والاعداد طبق رؤية الإمام الخميني

الدكتور علي الحاج حسن

مقدمة

تلعب التربية والإعداد الدور الأساس في التمهيد لظهور الإمام صاحب العصر والزمان (عج) على اعتبار أن إعداد الأجواء لذلك يقتضي تهيأ الأمة بأكملها عدا عن ضرورة وجود المهيئ والمعد. وإذا كان للأستاذ بالأخص الجامعي منه دورا واضحا ومعروفا سينضح خلال تفاصيل المقال، فهناك مسؤوليات أخرى تقع على عاتق التلميذ. ولذلك خصصنا هذا المقال لدراسة مسؤولية الأستاذ والجامعة اتجاه المجتمع الإسلامي ومن وجهة نظر الإمام الخميني (قده) ليتبين من وراء ذلك ما كان يصبو إليه الإمام والذي يصب نهاية الأمر في خدمة المشروع المهدوي. فإذا لم نربي امتنا على الفضائل لن نكون منتظرين لان ذلك من خصائص المنتظرين الحقيقين والتربية مستويات وابرز مستوياتها ذالك الذي يحصل في الجامعة.

الاستاذالجامعي

1- دور أستاذ الجامعة والمسؤولية الملقاة على عاتقه

تتراوح الأفكار التي عرضها الإمام حول دور الأستاذ الجامعي ومسؤولينه بين الجانب التربوي والتوعوي والمساهمة في الحفاظ على الدين والبلد وتقديم المعارف الضرورية لنهوض الأمة وبالتالي المساهمة في الرقي النوعي ومواجهة الانحرافات التي قد تسببها بعض السياسات والمناهج التي كانت تسيطر على الجامعات.

أ- الدور التربوي والتوعوي

أكد الإمام في العديد من كلماته على هذا الدور وطالب أساتذة الجامعات بالوقوف عنده ملياً فالأستاذ عليه أن يعمل جاهداً لإيصال الحقائق إلى الطالب،

وعلى الأستاذ أن يتحمل مسؤولية تربيته، تربية إسلامية صحيحة. يعتقد الإمام أن التربية الإسلامية الصحيحة تحمل في طياتها الكثير من الفوائد والمصالح. يقول الإمام: "لو تلقى المسلم تلك التربية التي يريدها الإسلام، فلن يخون وطنه، ولن يخون أخيه، وجاره وابن وطنه. بل الخيانة تنتفي كلياً من حياته العملية. ويجب أن نسعى لإيجاد أشخاص صالحين"[1].

ويبين الإمام(ره) أهمية التربية عندما اعتبرها عملاً امتهنه الأنبياء، لا بل والأولياء والفلاسفة والمفكرون. وهي بذلك مسؤولية كبيرة لا تصل إليه أي مسؤولية أخرى. وقد أوضح دور هذه المسؤولية عندما اعتبره يصب في مسألة صناعة الإنسان وهي مسألة شديدة الحساسية والأهمية لأن صناعة الإنسان تؤدي إلى صناعة المجموع والأوطان[2].

ويترتب على عدم الإطلاع الصحيح على هذه المسؤولية ممارسة أكبر خيانة بحق الأنبياء، لا بل هي خيانة لله تبارك وتعالى. فإذا لم نعمل على التربية، فهذا يعني وجود أشخاص منحرفين.

في هذا الإطار يتوجه الإمام(ره) مباشرة إلى العلماء وأساتذة الجامعات حيث اعتبر أن مسؤولية هاتين الطائفتين أكبر بكثير من جميع المسؤوليات التي يطلع عليها الآخرون. والسبب أن عملهما شريف إذا كان يؤدي إلى صناعة الإنسان الذي تتوفر فيه مقدرات الوطن عليه[3].

ب- المشاركة في الحفاظ على الدين والوطن

يؤكد الإمام على ضرورة العمل من أجل الحفاظ على دين الأفراد بما يساهم في سلامة الوطن. فإن انحراف الإنسان الجامعي ليس كانحراف التاجر... وانحراف العالم غير انحراف باقي الأفراد في المجتمع. والحقيقة أن انحراف مجموعة، ستقوم بإدارة البلد في المستقبل، وهذا بدوره يؤدي إلى انحراف الأمة كل الأمة[4].

نجد الإمام(ره) يحاول الربط بين التربية الإسلامية الصحيحة التي تكون نتيجتها امتلاك الأفراد ديناً واقعياً وإيماناً حقيقياً، والمساهمة في إدارة البلد ورفده بعوامل التقدم والرقي، وهذا بدوره يؤدي إلى قيام الأفراد بكامل مسؤولياتهم تجاه وطنهم، وهكذا نتمكن من الحصول على وطن قويم وإدارة سليمة.

في هذا الإطار يطلب الإمام من أساتذ الجامعة العمل على مواجهة الانحرافات. فالمنحرف لا يمتلك منطقاً قوياً، حيث يتمكن أستاذ الجامعة العارف بمسؤولياته من الوقوف في مقابله بالحوار والنقاش ورد إدعاءاته. ولعل هذه الخطوة الأولى في

1. كتاب: "صحيفة نور"، ج6، ص477. هذا الكتاب عبارة عن مجموعة خطابات الإمام الخميني(ره).
2. صحيفة نور، ج7، ص428.
3. المصدر نفسه، ص467.
4. المصدر نفسه، ص468.

الحفاظ على الدين[1]. ويساهم هذا الأمر وبشكل أساسي في الحفاظ على المقدرات العلمية وصيانة العقول البشرية التي يحتاجها الوطن: "يجب أن نسعى في الحفاظ على أذهان الشباب، ليتمكنوا في المراحل اللاحقة من الدفاع عن وطنهم"[2].

ج- الخطوات العملية المطلوبة

إذا كان الحفاظ على الدين وبناء الوطن يتوقف على صناعة الفرد، وإذا كان الأستاذ الجامعي يساهم بدوره في هذا العمل العظيم، هنا نرى الإمام يدعو الأستاذ الجامعي طالباً منه وضع يده في يد العالم الحوزوي لإيجاد الإيمان عند الجيل الذي سيتولى مسؤولية الوطن في المستقبل. ويتوقف هذا الأمر على أن نقوم (الحوزوي والجامعي) بدورنا ومسؤوليتنا بشكل صحيح[3].

إن القيام بالمسؤولية بشكل صحيح ولائق والعمل على توأمة العلم والإيمان يؤدي إلى وجود أشخاص لائقين. وأما إذا كنا غير ذلك فقد يكون من بين الأفراد التي تربوا على أيدينا من هم فاسدون، ثم يصلون إلى المراتب العالية؛ فبعضهم قد يصبح رئيس جمهورية، أو وزيراً...

في هذا الإطار شدد الإمام على مهمة الأستاذ الجامعي في إيصال التربية الإنسانية والإسلامية وهذا يعني أن الأستاذ سيكون شريكاً في كل عمل سيصدر عن الأفراد الذين تربوا ودرسوا على أيدينا[4].

يجب على الأستاذ أن يدرك أنه يحمل أمانة كبيرة. وعلى الأستاذ أن تنبع روح الإيمان والتدين والإخلاص من خلال عمله العلمي، وليس هذا بالأمر السهل. قد يعتقد الأستاذ أنه يقوم بتقديم العلوم فقط، وقد يدعي أستاذ الدين، أن وظيفته تدريس الدين وهذا قد يكون خطأً إذا لم يلتفت إلى الأخلاق والروح الإسلامية التي يجب أن تنبع من ممارسة عمله العلمي.

في المجال العملي أيضاً يؤكد الإمام على ضرورة أن يقوم الأستاذ بتحرير ذهن الشباب من التبعية للشرق والغرب. يقول الإمام(ره): "نحن لا نخالف أي نوع من أنواع التخصصات، بل نحن نخالف أن تصبح أذهان شبابنا أسيرة للخارج"[5]. عندما يؤكد الإمام على هذه الأمور فهو يعتقد أن الاستقلال الفكري، والاكتفاء الذاتي من جميع النواحي يتوقف على الدور الذي يمارسه الأستاذ على مستوى الأذهان.

---

1. المصدر نفسه، ج9، ص543.
2. المصدر نفسه، ج11، ص401.
3. المصدر نفسه، ج7، ص473.
4. المصدر نفسه، ج14، ص33-35.
5. المصدر نفسه، ص360.

د- مواجهة الانحرافات

يتوجه الإمام إلى الأستاذ الجامعي طالباً منه مواجهة الانحرافات ومواجهة حالات عدم المبالاة التي قد تكون منتشرة في الجامعات. والأهم من ذلك يجب على الأستاذ والعالم أن لا يكونا غير مباليين بل مطلعين بشكل دقيق على وظائفهم ومسؤولياتهم وأن لا يتهاونوا في مواجهة الانحرافات التي تحصل. هنا حاول الإمام توضيح قضية هامة وهي أن اللامبالاة والانحراف يؤدي إلى فقدان الوطن. وإذا لم يعمل الاثنان على الحفاظ على بلدهم فلن يكون هناك وطن على الإطلاق. إذاً وجود الوطن يتوقف على شخصية هذين الركنين[1].

من جملة الأمور الأخرى التي يتوجب القيام بها في عملية مواجهة الانحراف، العمل على الإصلاح: "إن صلاح الجامعة يؤدي إلى صلاح الوطن"[2] ويؤدي هذا الأمر إلى عملية مماهات كاملة بين الجامعة بما تملك من نخب وبين المجتمع.

وتبرز أهمية هذه القضية إذا ما علمنا بأن المستعمرون يعملون جاهدين لتحقيق أهدافهم التسلطية من خلال تضعيف ثقافة البلد والتقليل من أهمية آدابه. ولعل الشاهد الأبرز على هذا الأمر هو الوضع المتردي الذي كانت تعيشه الجامعات في فترة ما قبل الثورة، حيث كان الإصلاح مفقوداً والاستقلال بتبعه غير موجود ايضاً، وبالتالي كان الطالب يشعر منذ بداية دخول الجامعة أنه تابع فكرياً لواحد من القوى الغربية، والسبب في ذلك هو لامبالاة الأستاذ وفقدانه الثقة بالثقافة الإسلامية وثقافة البلد: "إذا أراد شعب إيران وسائر الدول المستضعفة، النجاة من شر شياطين القوى المستعمرة، فلا مجال لذلك إلا من خلال إصلاح الثقافة والعمل على استقلالها، وهذا لا يتحقق إلا على أيدي الأساتذة والمعلمين الملتزمين..."[3].

على مستوى الإصلاح ومواجهة الانحراف يجب على الأستاذ أن يقرر بشكل جدي عدم العودة إلى الوضع السابق. ويجب عليهم الانتباه إلى أنفسهم في مجال التربية والالتفات إلى وضع الشباب[4].

هـ- الاستقلال الثقافي

ركز الإمام(ره) في العديد من كلماته على موضوع العمل الجدي من أجل الوصول إلى الاستقلال الثقافي ودور المثقفين وأساتذة الجامعة في ذلك حيث يلعب هذا العامل دوراً محورياً على مستوى تظهير الثقافة الذاتية على حقيقتها وعلى أنها وسيلة للاكتفاء الذاتي والوثوق بما نعتقد ونؤمن.

تنطلق رؤية الإمام(ره) للاستقلال الثقافي من تجربة عميقة وواسعة عايش فيها ممارسات النظام وسيطرة القوى الأجنبية على جميع مقدرات البلد حيث تجلى

1. المصدر نفسه، ج15، ص251.
2. المصدر نفسه، ص429-430.
3. المصدر نفسه، ص446-447.
4. المصدر نفسه، ج19، ص356.

البعد الثقافي في أكثر الصور بشاعة. من هنا رفض الانبهار بالشرق والغرب وهي عبارة كثيرة الوجود في كلمات الإمام(ره). ويقصد الإمام(ره) من الانبهار بالشرق والغرب، التخلي عن ثقافتنا والارتباط بل التسليم أمام الثقافات المسيطرة على العالم.

يقول الإمام(ره): "من جملة المؤامرات التي تركت _ للأسف _ آثاراً كبيرة في مختلف البلاد وبلدنا العزيز، وما تزال آثارها قائمة إلى حد كبير جعل الدول المنكوبة بالاستعمار تعيش الغربة عن هويتها لتصبح منبهرة بالغرب والشرق بحيث أنها لا تقيم أي وزن لنفسها وثقافتها وقوتها"[1].

وإذا كانت الثقافة التي يمتلكها الشعب أو المجتمع هي العنصر الأساس في مقاومة أي شعب أو مجتمع في مقابل التسلط السياسي والاقتصادي للأجانب، فإن حذف هذا العنصر يدفع القوى المستعمرة والمتسلطة إلى عدم رؤية القوى المقاومة وعدم أخذها بعين الاعتبار وبالتالي يتمكن المستعمر من الوصول إلى أهدافه السياسية والاقتصادية بسهولة، حيث تعيش الأمة المغلوب على أمرها حالة من الغفلة.

يظهر من خلال الدقة في وصية الإمام(ره) مدى الدقة التي أظهرها في قراءة وتوضيح وتحليل هذه الإستراتيجية وتوضيحه سبب نفوق القوى العظمى، وقد أشار إلى الآثار السلبية لهذا النوع من السياسات على الشعوب الواقعة تحت التسلط والاستعمار، فعمد إلى توضيح الأساليب التنفيذية حيث يؤدي فهم المخاطبين وإدراكهم للخطر إلى انكشاف أساليب النفوذ ووسائل مواجهتها.

يؤكد الإمام(ره) أن حضور الأساتذة والمعلمين المنبهرين بالشرق والغرب في المراكز التعليمية، هو من جملة الأساليب الثقافية التسلطية التي استخدمها المستعمرون ضد المجتمعات، فتُقدم ثقافتنا وحضارتنا في هكذا مراكز تعليمية على أنها أمور قديمة ارتجاعية، بعد ذلك يعمدون إلى تقديم الشرق والغرب باعتبارهما بدائل وحيدة لما تم نسخه. والنتيجة أن يتفاخر الطلاب والأساتذة والعلماء والمثقفون بتبعيتهم للشرق والغرب. ومن هنا تظهر عملية انزواء الثقافة الذاتية[2].

وإذا كان هناك الكثير من الأمور التي تساهم في الغزو الثقافي، فإن الاستقلال يتحقق بدءً من الجامعات ومراكز التربية والتعليم. ودور الأساتذة والبرامج التي تضع الجميع، تلامذةً وطلاباً، في المسير الصحيح الذي يجب أن ينتهي بمصالح البلد[3]. لا بل فإن سلامة الاستقلال الثقافي وبقاءه إنما يحصل في إطار الحفاظ على الجامعات ومراكز التربية والتعليم وإبقاءها بعيدة عن نفوذ العناصر المنحرفة المنبهرة بالشرق والغرب.

---

1. الوصية الإلهية السياسية، الإمام الخميني، انتشارات اسوه-طهران، 1369 هـ ش، ص39.
2. المصدر نفسه، ص39-40.
3. المصدر نفسه، ص64.

2- توقع الإمام(ره) من أساتذة الجامعات

أ- إبعاد اليأس من قلوب الطلاب

يؤكد الإمام(ره) على ضرورة أن يعمل أساتذة الجامعات من أجل إبعاد اليأس عن قلوب الطلاب لما لهذا الأمر من أهمية محورية على مستوى قبول الأفكار والنظريات الإسلامية وتوضيح الواقع ودفع الطلاب إلى الثقة والإيمان بما يعتقدون.

يقدم الإمام(ره) مثالاً تاريخياً لهذه المسألة, وهي ما قدمه الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) عندما عمل على تبيين وتعيين قائد الأمة الإسلامية, فكانت أساساً ثابتاً لمذهب التشيع, وقد ساهم هذا العمل في حالة الوعي التي انتشرت في العالم الإسلامي, ودفعت الطبقات المثقفة إلى العمل الجدي من أجل إقامة الحكومة الإسلامية, وكأن الإمام(ره) أراد القول أن تقديم ما يجعل الناس والأمة تعيش حالة الأمل, فهذا يعني حصول الأمر وتحققه مع انتشار الوعي[1].

ويعلق الإمام(ره) حالة إعطاء الأمل للآخرين بأن يكون الأساتذة يعيشون حالة الأمل هذه أيضاً. فعلى الأستاذ أن يكون على درجة من الثقة والأمل والوعي حتى يتمكن من زرعها في قلوب الطلاب.

ب- إصلاح البرامج والمناهج الدراسية

إن الدعوة إلى استقلال الجامعة ينبغي أن تبدأ بعد تحديد الغاية من وجودها ومن دورها المطلوب, في سياق بناء المجتمع على قاعدة استقلالية مبادئ الثورة. ولا بد له وفق منهجية الإمام الخميني من أن يبدأ من مناهج التعليم, سيما أن هذه المناهج فضلاً عن كونها قد شكلت على الدوام الأداة التي ينفذ من خلالها الاستعمار إلى عقول المثقفين وإلى عموم أبناء الشعب, فلا بد لها من أن توفر العامل الأساس لبناء الإنسان ولمواجهة التحديات التي ستقف أمامها الثورة, إن لناحية إعداد الإنسان العقائدي من خلال تضمنها لتعاميم الإسلام وقيمه ورؤيته في ترسيخ قواعد الأخلاق, أو انفتاحها على أفق تنمية الموارد والاقتصاد وإصلاح ما تم تدميره في زمن الشاه, ومرافقتها لسياقات التطور, والتنظيم والدراية بما يضمن حفظ النموذج الذي تقدمه الثورة. وعلى هذا الأساس ليست الدعوة إلى إدارة الظهر لمنجزات العلوم الحديثة أو إهمال الرؤى المغايرة بقدر ما هي دعوة تنسم بإعداد النموذج المنهجي الخاص والمترافق مع خصوصية الثورة النابعة من منطلقاتها الإسلامية, ونبذ الارتهان لما يقدمه الغرب أو الشرق من نماذج على أنها عامة وتصلح للبشرية, والسعي نحو إعادة بناء الإنسان في ظل خواء الجامعة وحتى المدرسة من المناهج التي تكفل

1. شؤون واختيارات الولي الفقيه, مبحث ولاية الفقيه من كتاب البيع, ج1، وزارة الإرشاد الإسلامية.

إعداد الفرد إعداداً سليماً. هذا الخواء هو الذي دفع الإمام الخميني على القول إن هجرة الطلاب بعد طي المراحل الدراسية نحو الغرب أو نحو الشرق والذي يعد بحسب رأيه فاجعة عظيمة جعلت المجتمع الإيراني مرتبطاً بالقوى العظمى ومستسلماً لها دون قيد أو شرط، حتى بدا كأنه مجتمع إيراني إسلامي ظاهراً بينما كان محتواه ممتلئاً بالشرق والتغرب[1].

إذ ليس هذا الاندفاع سوى وليد ما يقدم من مناهج في التربية والتعليم. وليس من المعقول وحتى بعد نجاح الثورة، بقاء تلك المناهج على حالها لأنها بالتأكيد ومن خلال معالم الارتباط بين الثقافة وارتهان المجتمع تضيع منجزات الثورة. وأن بقاء تلك المناهج على حالها سوف يؤدي إلى انحراف الجيل الصاعد الذي سيعاود الارتباط بالشرق وبالغرب في جميع المجالات إلى الحد الذي تضيع معه الجهود، ويضيع معه زخم الشعب ودماء شبابه هدراً[2].

جراء هذه النظرة للإمام كانت دعوته لإصلاح الجامعة. غير أن هذه الدعوة خصوصاً إصلاح المناهج، كانت قد أثارت بعض النقاشات في الأوساط الجامعية حول معنى إصلاح المناهج سيما أن هناك علوم بحتة على غرار العلوم الطبيعية كالهندسة والرياضيات والفيزياء وغيرها، فهل يعني إصلاح المناهج بإحلال علوم العقائد والفقه والتفسير وغيرها؟

وجراء هذا النقاش كان توضيح الإمام الخميني حول المقصود من هذا الأمر بقوله: "قد يتوهم البعض إن إصلاح الجامعات وجعلها إسلامية، يعني أن العلوم على قسمين فأحد أقسام علم الهندسة إسلامي والآخر غير إسلامي ولذلك فهم يعترضون بأنه لا يوجد في هذه العلوم ما هو إسلامي وغير إسلامي، وتوهم البعض أن المقصود أسلمة الجامعات هو أن ندرّس علم الفقه والأصول والتفسير فقط، أي نفس الشيء الموجود في المدارس القديمة"[3].

لم يقصد الإمام الخميني إحلال العلوم الإسلامية التقليدية محل ما هو سائد في الجامعات، ولقد بين مراده في هذا الأمر من خلال الوقوف على تجربة الجامعة بعد مضي عقود من الزمن على تأسيسها. هذا الدور كان محل تساؤل حول إنتاج الجامعة القاصر على إعداد متغربين وعدم تطورها الذاتي وارتهانها لنتاجات الغرب في شتى الميادين العلمية دون أن يكون لها إسهام في هذا المجال. يصرح الإمام حول هذا الأمر "أن ما نريد أن نقوله أن جامعاتنا مرتبطة، هو أنها تربي أشخاصاً وتعلم أناس متغربين، وأن جامعاتنا لا تنفع الشعب، فنحن نملك الجامعات منذ أكثر من خمسين سنة ولم نصل إلى الاكتفاء الذاتي في العلوم المكتسبة في الجامعات، فبعد خمسين سنة نشاهد بعض أطبائنا أو أغلبهم ينصحون المريض بالذهاب إلى انكلترا للعلاج، لا

1. الإمام الخميني، منهجية الثورة الإسلامية، مصدر سابق، ص275.
2. المصدر نفسه، ص275.
3. المصدر نفسه، ص271.

نملك الطبيب الكفوء الذي يلبي حاجة الشعب، إننا نملك الجامعات لكننا نحتاج إلى الغرب في جميع الأمور الضرورية لشعب حي، فعندما نقول، يجب إحداث تغيير جذري في الجامعات وتغييرات أساسية وإسلامية، فلا نريد من ذلك أن ندرس العلوم الإسلامية فقط، ولأن العلوم على قسمين إسلامي وغير إسلامي، إننا نقول أبن هي نتاجات الجامعة خلال هذه السنوات الخمسين"[1].

وبذلك تتضح رؤية الإمام الخميني حول المناهج. فالعلوم برأيه هي نتاج إنساني وحضاري عام ومتكامل، وهو يريد من وراء ذلك الإسهام الخاص للجامعة بانفتاحها على ميادين التطور والتطوير، لا مجرد أن تكون مستهلكة لنتاجات الآخرين. إن الإسهام الخاص ينبغي أن يؤدي دوره بما يخدم حاجات المجتمع وحاجات البشرية في أي معآ،

وإن الإسهام الفكري والحضاري لا ينبغي له أن يبقى أسير أمة بعينها خصوصاً الغرب

الذي يسخر هذه العلوم ليس لخدمة البشرية بقدر ما يسخرها لأهدافه الخاصة في دوام تبعية الشعوب. وبذلك يكون الإمام قد وضع الجامعة أمام التحدي الحضاري، ومواجهة دورها في هذا الصعيد سواء بابتداع مناهج جديدة للتفكير من شأنها تطوير ما هو قائم، أو من خلال إقرانها برؤية إسلامية، كوعاء شامل يضم كل المرتكزات الاجتماعية والثقافية والتشريعية والعلمية والاقتصادية. ومن خلال انتهاج أسلوب جديد ينجاوز

تلك العزلة القائمة بين مادة إسلامية معزولة كوحدة دراسية ولا أثر لها في بقية المعارف

التي يتلقاها الطالب الجامعي ويتجاوز تشكيك المسلمين في قدراتهم الحضارية التي

انفصلت عن واقع حياتهم، جراء الجهد الاستعماري الذي أدى إلى تقلص فاعلية الثقافة الإسلامية بعزلها عن الأخذ بزمام التغيير والتأثير في مجرى الحياة العامة وتفاعلها مع متطلبات المجتمع.

لقد استندت دعوة الإمام الخميني لإصلاح المناهج إلى محاولته العودة إلى الذاتية الحضارية للإسلام بعد أن تخلصت إيران عبر الثورة من الهيمنة السياسية للغرب، فكانت هذه الدعوة بمثابة معركة تحرير الثقافة من أجل استكمال واسترداد الفعالية الحضارية للإسلام، وهي دعوة تُحمل على معنى الوجوب، ولا ترتبط بفرد أو بمؤسسة بل تصل لديه إلى حد ارتباط الجامعة بمصير الإسلام. يتضح هذا الأمر حين يقول الإمام أنه "يجب على جميع الذين يهمهم أمر البلاد ويهمهم أمر الإسلام، ويهمهم أمر الشعب، أن يوحدوا قواهم من أجل إصلاح الجامعة، لأن خطر الجامعة هو أعظم من القنبلة

1. المصدر نفسه، ص271.

العنفوية، كما أن خطر الحوزات العلمية أعظم من خطر الجامعة"[1].

وهذا الوجوب مرتبط قبل بأساتذة الجامعة أنفسهم. فهو المولجون قبل غيرهم بهذا الأمر لكونهم أكثر دراية من غيرهم في هذا المجال، ولأنهم على احتكاك ومعرفة بطبيعة الواقع وبطبيعة منطلقات الثورة. يحمل الإمام الخميني الأساتذة تغيير تلك الأفكار التي دخلت عقول الشباب خلال السنوات والعقود الأخيرة، والتي جعلتهم يعتقدون أنهم لا شيء، وأنه يجب أن استيراد شيء من الخارج، الأمر الذي أدى إلى توقف العقول عن العمل والإنتاج، وهؤلاء عليهم بذل هممهم لجعل الجامعة مركزاً للعلم والتهذيب، حتى تكون كل الاختصاصات في خدمة البلاد، لا أن يجر المتخصصون البلاد إلى أحضان أمريكا سيما الذين لا يشعرون بأنهم لهذه البلاد وأنهم استفادوا منها، ويجب أن يقدموا علمهم لخدمتها[2]. ولذلك فإن معركة إصلاح المناهج ينبغي أن تبدأ من الأساتذة أنفسهم. وكي لا يفهم الأمر خطأ ويحمل على معنى إحلال علوم الدين مكان التخصصات التي هي شأن طبيعي للجامعة بحجة أسلمة الجامعة، لا ينبغي القول وفق رؤية الإمام إن الإسلام يرفض التخصص. يستند الإمام الخميني إلى القرآن الكريم من خلال حضّه على العلم على نحو الإطلاق أكثر من أي كتب أخرى. ويفهم من ذلك أن الإسلام يؤكد على التخصص والعلم ولكن بشرط أن يكون التخصص والعلم في خدمة الشعب وفي خدمة مصالح المسلمين. ويرد بذلك على الذين يفهمون خطأ كلامه حول إصلاح الجامعة ووجوب حدوث ثورة ثقافية إلى الحد الذي ينقلون الكلام أنه لا حاجة لنا لطبيب الجامعات وأننا لا نريد المتخصصين في الطب وفي الصناعات المتطورة. هذه الإدعاءات هي بنظر الإمام من الشيطنات التي يقوم بها بعض الأفراد والجماعات الذين ينسبون ويتحدثون عن الإسلام وعن الجماعات الإسلامية وعن الثورة الثقافية هكذا يقول عن هؤلاء "إن هؤلاء لا يدرون أن هدفنا حينما نقول يجب أن تكون جميع الجامعات والمؤسسات، وخاصة الجامعة التي هي مركزاً للعلم والعقل المفكر للمجتمع، أننا عندما نقول إن الجامعة يجب أن تكون إسلامية لا يعني ذلك أننا لسنا بحاجة للمتخصصين. فالإسلام يهتم بالمتخصص حتى في الأحكام العادية الشرعية المعيار فيها هو الأكثر تخصصاً، إننا نريد أن نقول شيئاً آخر، هي أن مشكلتنا حين وطأ الأجانب بلادنا يروّجون ويريدون إقناع شبابنا وشعبنا أن إيران وكذلك الإسلام، عاجزين عن إيجاد العلم والتخصص والصناعة وبأن علينا أن نمد أيدينا إلى الشرق السوفياتي أو إلى أمريكا والدول الغربية الرأسمالية"[3].

وعلى هذا الأساس نجد أن معيار إصلاح الجامعة هو في عدم تبعيتها للخارج، والإصلاح هو محاولة استنقاذ البلاد من التبعية الفكرية التي هي مقدمة على جميع التبعيات بل والأخطر منها جميعاً.

---

1. المصدر نفسه، ص 234.
2. المصدر نفسه، ص235.
3. المصدر نفسه، ص238.

ج- الحفاظ على المبادئ والثورة

يؤكد الإمام(ره) على الدور الهام الذي يجب أن يطلع به أستاذ الجامعة في سبيل الحفاظ على المبادئ التي كانت سبباً في قيام الدولة والنظام وساهمت في صيرورة الحكومة الإسلامية. ويترتب على هذا الأمر فوائد متعددة لأن الحفاظ على المبادئ يؤدي إلى امتلاكنا جامعة مستقلة ومدرسة علمية مستقلة وجيشاً مستقلاً...[1].

ولا يتحقق هذا الأمر إلا عندما يتعاون الجميع فيما بينهم، عندما يضع كل من الأستاذ والطالب والمفكر... يده في يد الآخر ويساهم الجميع في الحفاظ على المكتسبات الهامة لهذه الأمة. وهذا يعني رفض التهاون والخيانة والتبعية لأن المفروض عندها أن يساهم الجميع في بناء وطن مستقل خالٍ من الإشكالات[2].

وإذا كنا نمتلك فكراً وثقافة وتاريخاً فإن الرجوع إلى ذاك الموروث والإيمان به والعمل بما يقتضيه لا يتحقق إلا من خلال الحفاظ على المبادئ الأساسية، عندها نشعر بالغنى ونشعر بالقدرة على التغيير، والقدرة على الحفاظ على المكتسبات.

وقد بلغت هذه المسألة درجة من الأهمية عند الإمام(ره) عندما اعتبر أن الأمة الإسلامية (في إيران) قد خرجت من سجن كبير (بعد انتصار الثورة) ولكن هذا لا يعني انتهاء المشكلات، بل ما زال الكثير منها يقف حائلاً أمامها ومن جملة تلك المشكلات الفكرية، وهنا يجب على أساتذة الجامعة والمعلمين بذل جهود كبيرة في حل المشكلات الفكرية وجعلها تتطابق مع المبادئ والقيم والأفكار[3].

ومن جملة ما يتوجب القيام به في هذا الإطار الوصول إلى مرحلة الثقة بالذات وقطع الأمال التي تعلقها على الشرق والغرب، لا بل يجب قطع الأمال الفكرية من الشرق والغرب عندها نصل إلى مرحلة الثقة بإمكانياتنا وقدراتنا ويعزز نشاطاتنا في الوصول إلى مرحلة الرقي والتقدم. نرى الإمام(ره) يشجع أستاذ الجامعة ليعمل وبشكل دقيق على جعل الطالب يثق بنفسه وبما ينتجه. وهذا لا يعني رفض كل ما هو في الغرب، فالعلوم والصناعات التي ترد من الغرب يجب أن نتعلمها ونتقنها، أما التغرب فهو قضية مرفوضة بالكامل، لأن تَعَلُّم مسألة من الغرب هو شيء وجعل الذهن غريباً شيء آخر، حيث يؤدي هذا الأخير إلى الغفلة عن الذات[4].

د - التربية الأخلاقية والتربية الصحيحة

يؤكد الإمام(ره) على دور الأستاذ في التربية الصحيحة والتربية الأخلاقية، فنراه يشدد على ضرورة وجود مربين أخلاقيين في جميع المراكز العلمية. ويطلب من جميع المتصدين لهذا الأمر العمل بشكل أساسي على تربية الطلاب لما لهذا الأمر

1. صحيفه نور، ج8، ص439.
2. المصدر نفسه، ج10، ص439.
3. المصدر نفسه، ج11، ص181.
4. المصدر نفسه، ج12، ص25.

من أهمية على مستوى الحفاظ على الوطن. فإذا لم يمارس الأستاذ دوره التربوي، لا بل إذا كان الأستاذ خالياً من التربية الصحيحة والأخلاقية، فلا يوجد ما يضمن عدم دخول الفساد إلى جميع المراحل والمناهج والشخصيات. وبالتالي فإن الأوطان لاتبنى مع وجود حالات فساد، بل في ذلك مهلكة للأوطان والمجتمعات. هنا يشدد الإمام(ره) على ضرورة أن يبدأ الأستاذ من نفسه مربياً لها محاولاً اكتساب الملكات الأخلاقية التي تؤهله لتعليم الآخرين[1].

في هذا الإطار يتوجه الإمام إلى الأستاذ والطالب والتلميذ، لأنهم شركاء أساسيين في هذه القضية الهامة، فعليهم بذل جهود جبارة في تشخيص عوامل الفساد وإبعادها عن البيئة التعليمية سواء في المدارس والثانويات أو الجامعات.

طبعاً يؤكد الإمام(ره) على ضرورة العمل الجدي من بداية المرحلة الابتدائية فالمتوسطة ثم الثانوية. لأن العمل في الوصول إلى جيل يمتلك القيم والمبادئ الأخلاقية ويحظى بدرجة عالية من التربية الصحيحة يستلزم أن يبدأ المعلمون والأساتذة بهذا العمل من البداية، أي من المراحل الأولى. عندها يمكننا الحديث عن جيل صحيح بعيد عن الفساد وهذا يضمن استمراره في المرحلة الجامعية إذا ما توفرت له الشروط المطلوبة. وبعبارة أخرى التربية الأخلاقية في المرحلة الجامعية مهمة وأساسية وضرورية ولكن كمالها أن يشرع بها المعلمون في المرحلة التي يكون فيها الطالب أكثر استعداداً لقبول القيم، في تلك المرحلة التي يكون فيها الطلاب قد انغمسوا في الأفكار والممارسات الفاسدة.

يقول الإمام(ره) في خلاصة ما تقدم والنتيجة التي يمكن الوصول إليها: "... مما تقدم يجب على المؤسسات التعلمية الملتزمة التي تحمل مسؤولية نجاة الوطن. وأن تبذل جهوداً خاصة في حفظ الشباب الأعزاء الذين يتوقف استقلال الوطن وحريته في المستقبل، على تربيتهم الصحيحة. ومن هنا يظهر الدور الذي يقوم به المعلمون والأساتذة في تربية التلامذة والطلاب وتهذيبهم، على أنه دور أساسي ومحوري ومؤثر. الجميع قد شاهد الفجائع التي كانت قد حلت بوطننا عندما كانوا تابعين للشرق والغرب..."[2].

من جهة أخرى يبدي الإمام(ره) اهتماماً واضحاً لوجود التقوى إلى جانب العلم. فالعلم لا قيمة له عند الإمام(ره) إذا كان من دون تقوى ولو كان علم التوحيد أو علم الأديان، وإذا بلغ ضرر العلم بالنسبة للإنسانية والإسلام أكثر من نفعه، فإن عدم وجود التقوى يؤدي إلى زوال الإنسانية من الأساس ويقضي على الوطن. ويضيف الإمام في حساسية العلم، أن العالم هو أفضل من يتمكن من إفساد الناس، لذلك يجب أن يترافق العلم مع التقوى. وتقدم التقوى للإنسان بمقدار سعته وظرفيته. وبعبارة أخرى تلعب التربية دوراً محورياً يتجلى في محاولات صناعة الذات وصناعة الآخرين بناءً

1. المصدر نفسه، ج14، ص218.
2. المصدر نفسه، ج15، ص244-245.

على أسس سليمة[1].

الخلاصة: للأستاذ أهمية خاصة عند الإمام(ره) وله دور مميز، فعمله هو عمل الأنبياء، وتكمن مسؤوليته في هداية المجتمع وهي مسؤولية كبيرة لا يمكن أن يتحملها إلا أصحاب الكفاءات. لذلك فإن الأستاذ الذي يقوم بمهمته فإنه يقوم في الحقيقة بأسمى الأعمال.

أما هذه الوظيفة السامية فإنها تجعل الأستاذ مؤتمناً، وأمانته تختلف عن كافة الأمانات، فهو مؤتمن على الإنسان.

من جهة أخرى جعل الإمام(ره) شقاء وسعادة الشعب بيد الطبقة المثقفة، فهؤلاء يجب عليهم أن يبذلوا جهدهم في سبيل تهذيب أنفسهم والتأثير لجهة تربية وتهذيب نفوس الآخرين، بالأخص فئة الطلاب[2].

أخيراً يقول الإمام(ره): "أتمنى أن يتغير الوضع من خلال سعي الأساتذة والمعلمين بحيث يتمكن الفرد من إنهاء المرحلة الدراسية، ليكون بعدها شخصاً ملتزماً، وشخصاً يعرف أنه يجب أن يسعى من أجل خدمة وطنه وأن يبتعد عن رضا الدول الأجنبية"[3].

الطالب الجامعي

الطالب الجامعي واحد من المرتكزات الأساسية للحياة العلمية والفكرية في أي بلد من البلدان، فهو الذي سيتحمل مسؤولية رقي البلد وتطوره في المستقبل وعلى يديه ستتحقق الأمنيات والآمال، ومن خلال عمله ومواظبته يتحقق الإصلاح.

بناءً على ذلك ليس الطالب مجرد شخص يتلقى دروساً في اختصاص ما ثم يقدم امتحاناً ويحصل على علامة القبول أو الرفض. بل التعلم والتحصيل مقدمة للكثير من المسؤوليات والمهام والوظائف، التي تبدأ من صناعة الذات وتربيتها وتذكيتها ولا تنتهي عند إصلاح المجتمع ورفده بعوامل الرقي والتطور.

أما كلمات الإمام الخميني(ره) فقد صورت لنا جانباً هاماً من المسؤولية الملقاة على عاتق الطالب الجامعي بالأخص في الفترة التي تعرف بفترة أو مرحلة قيام الجمهورية الإسلامية. من هنا يمكن الإضاءة على عدد من العناوين الهامة في هذا الإطار.

1- مسؤولية الطالب الجامعي بالنسبة للمجتمع

تحدث الإمام(ره) حول عناوين هامة وأساسية تتمحور حول الوظائف والمسؤوليات الأساسية الملقاة على عاتق الطالب الجامعي، مستنداً على الدور

1. المصدر نفسه، ج17، ص188.
2. الكلمات القصار، الإمام الخميني، ص274-275.
3. صحيفة نور، ج19، ص222.

الأساس لهذه الفئة في المجتمع:

أ- إيقاظ الغافلين:

يشدد الإمام(ره) على الدور الهام للطالب الجامعي في رفع حجب الظلام والغفلة والانحراف التي تسيطر على عقول وقلوب الكثيرين الذين خدعتهم الدعايات وخدعهم الإعلام وخدعتهم الصورة الظاهرية للثقافات المنحرفة. ومن هنا كان على الطالب أن يساهم في إزالة الكثير من التوهمات والاشتباهات ولن يتحقق ذلك إلا إذا كان الطالب مسلحاً بالفكر والإيمان والتحصيل الصحيح وبالتالي المعرفة الصحيحة وسلامة الذهن وبذلك يتمكن من تشخيص الأمراض التي يعاني منها المجتمع الإسلامي ويقوم بدوره في مجال الهداية والإيقاظ ووضع الأمور في نصابها الصحيح.

لعل من أهم النقاط التي يشير إليها الإمام(ره) في هذا الخصوص الشروع من الأهواء النفسية التي تعمي القلوب والعقول عدا عن الأبصار, لتشكل حاجزاً ومانعاً أمام وصول الحقيقة والهداية إلى المكان الحقيقي لها. لا بل يعتبر الإمام(ره) أن هذا العمل هو عمل جهادي من الدرجة الأولى مستشهداً في هذا الإطار بقوله تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)[1].

من جملة الأمور التي يركز عليها الإمام(ره) في خطابه للجامعيين سعيهم الدؤوب لتقديم المعرفة وإطلاع المسلمين بالحقائق وفضح مخططات المستعمرين, حيث يعتبر هذا الأمر أحد الجوانب الهامة في مواجهة الغفلة والانحراف, يقول الإمام(ره):

"ينوجب عليكم يا شباب الإسلام الأعزاء _ وأنتم أمل المسلمين _ توعية الشعوب الإسلامية وتبيين مخططات المستعمرين المشؤومة وإظهارها للعلن. اعملوا على التعريف بالإسلام. وانشروا تعاليم القرآن المقدسة, واسعوا من أجل نشر الإسلام وتقديمه للشعوب الأخرى والنهوض بالأهداف الإسلامية العالية وكل ذلك بإخلاص كامل. اهتموا بتحقق حكومة الإسلام ودراسة مسائلها. كونوا مجهزين ومهذبين؛ متحدين ومنظمين؛رصوا صفوفكم. لا تغفلوا عن فضح خطط النظام المتكبر في إيران [نظام الشاه] ضد الإسلام والمسلمين. واعملوا على إيصال صوت إخوانكم المسلمين المظلومين في إيران إلى العالم كله..."[2].

ب- طرد المتعلمين المنحرفين

يتحمل الطالب الجامعي المثقف والواعي مسؤولية كبيرة على مستوى تشخيص الخلل الذي يوجده المتعلمون المنحرفون, الذين أضلهم واقع الدول المستعمرة وما

1. صحيفة نور, ج2, ص142-143.
2. المصدر نفسه, ص439.

تقدم
من مظاهر خادعة. هنا نرى الإمام يشدد على ضرورة أن يقوم المتعلمون ببذل أقصى جهودهم على إيصال ما أراده الإسلام وائمة المسلمين(ع) وعظماءهم إلى جميع الشعوب،
لا بل يعتبر ذلك من المسؤوليات الخطيرة التي ينبغي القيام بها. ويلزم من هذا الأمر مواجهة العالم (سواء كان أستاذاً أو عالماً حوزوياً) المنحرف الذين يعملون بعنوان وعاظ للسلاطين يجيرون له كل ما يقع في مصلحته متناسين الإسلام وغافلين عن تعاليمه وعن
حقوق المسلمين.

والسبيل لذلك الوقوف على مبادئ القرآن النورانية والإطلاع على وظائف أئمة المسلمين وعلماءهم حيث سيؤدي الأمر إلى سقوط كل من يدعي حمل رسالة الإسلام وهو ليس منها في شيء.

وإذا سقط مدعي الإسلام فهذا يعني أن شخصاً لن يتمكن من خداع المسلمين ولن يتمكن من تحوير أهدافهم العالية والراقية، ولن يتمكن من تقديم صورة سلبية عن أئمة المسلمين[1].

يقول الإمام(ره): "ينوجب على الطلاب التوريين أن يكونوا على يقظة تامة وأن لا يغفلوا عن هذه المسألة المهمة، وأن لا يسمحوا للجامعات والمدارس ولأولئك الذين ما زالوا يحلمون بالنظام السابق الذين ما زالت أذهانهم تميل للثقافة الشرقية، أن لا يسمحوا لهم بتقديم قضايا انحرافية خارجة عن إطار الدروس المكلفون تقديمها. لا بل يجب أن تعلموا أن المسامحة في هذا الأمر يؤدي إلى الانحراف في الجامعات والثانويات وتتحملون مسؤولية ذلك أمام الله تعالى"[2].

على هذا الأساس يجب على الطلاب أن يكونوا أكثر التفاتاً إلى عدم الوقوع في المشكلات التي كانت الجامعات والمثقفون مبتلون بها من قبيل الانحراف والتبعية... ويجب الاستفادة من الفرص الموجودة والسانحة للتعريف بالانحرافات الموجودة وسبل مواجهتها وكيفية بناء مجتمع متعلم سليم ومعافى.

ج- الدفاع عن الإسلام

يعتبر الإمام الخميني(ره) أن مسؤولية الدفاع عن الإسلام تقع على عاتق عموم المسلمين بالأخص العلماء والمفكرين والجامعيين، لما لهذه الوظيفة من تأثير على مستوى حفظ القيم وانتشارها وبالتالي المساهمة في حفظ استقلال البلد وحريته[3].

والسبب في ذلك يعود إلى الأصول التي أرادها الإسلام وزرعها في أتباعه. صحيح أن الإسلام يدعو إلى العبادة ولكنه يدعو أيضاً إلى أن تكون الترجمة العملية

1. المصدر نفسه، ص489.
2. المصدر نفسه، ج3، ص262.
3. المصدر نفسه، ص443.

والحقيقية
للعبادة في الخارج وبين أفراد المجتمع. فالإسلام يدعو إلى الإيمان ويدعو إلى التعاون والتواضع ورفع مشكلات المسلمين الآخرين ومشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم حتى
جاء: "ليس منا من بات شبعاناً وجاره جائع". والنتيجة أن الالتزام بتعاليم الإسلام يؤدي إلى وجود أشخاص واقفين على مسؤولياتهم ساعين بشكل جاد وحثيث في رفع مشكلات المجتمع الإسلامي.

وبعبارة أخرى فالإسلام والالتزام بتعاليمه يؤدي إلى صناعة إنسان يعمل جاهداً من أجل وطنه وأبناء طينته بما ينفعهم ويقع في مصلحتهم. ويطلب الإمام(ره) من الطلاب العمل بشكل جدي للدفاع عن الإسلام لا بل يطلب منهم الاستفادة من الفرص المناسبة والمؤاتية لإيصال صوتهم إلى الشعوب والأمم الأخرى وإسماعهم الممارسات التي كان يقوم بها نظام الشاه ضد البلد وحريته واستقلاله.

يقول الإمام(ره): "يجب على الطلبة والطلاب الأعزاء في أنحاء إيران الاستفادة من كل مناسبة للحفاظ على شعار معارضة الشاه الذي هو شعار الإسلام. وينبغي على الطلاب والعلماء الملتزمين والمسؤولين خارج البلد، نشر جرائم هذا العنصر الخطير في الخارج والداخل، وتعريف الشخصيات المتحررة في أنحاء العالم بما يقوم به من ظلم..."[1].

ومن هنا تظهر الوظيفة والمسؤولية الملقاة على عاتق الطلاب في مواجهة أي انحراف ديني أو وطني يصدر من المخالفين للإسلام الذين يعملون للنيل من تعاليم الإسلام وتشويه صورته. ويؤكد الإمام(ره) أن على الطلاب تقويم الاعوجاج والانحراف والتحدث بصراحة مع الناس عما هو واقع من انحراف وخلل.

مما لا شك فيه أن هذه الوظيفة والمسؤولية لن تكون مفيدة وفعالة إذا لم يحصل نوع من التعاون والتكامل بين طلاب الجامعات وطلاب العلوم الدينية.

بالإضافة إلى ما تقدم يفترض أن يعمل الطلاب وفي سبيل الدفاع عن الإسلام والمسلمين، على دعم ومساندة المجموعات الاجتماعية الأخرى كالعمال والمواطنين في مطالبهم المحقة. والسبب في ذلك أن الكثير من الحركات التي تنهض في وجه الظلم تهدف إلى إقرار العدالة الاجتماعية والتي هي مطلب إنساني _ تعمل الأديان الإلهية على إيجاده. وبالتالي فإن مساندتهم وتأييد وجود العدالة الاجتماعية نوع من الوقوف إلى جانب الإسلام والدفاع عنه[2].

يقدم الإمام(ره) اقتراحاً للحركة في سبيل نشر الإسلام وتعاليمه يضمن سلامة الحركة ويجعلها تسير وفق الضوابط الإسلامية، وهو أن يتحرك الطلاب على الطريق الذي حدده الأنبياء. وهو بلا شك طريق الحق تعالى. وقد أوضح الأنبياء والأولياء

1. المصدر نفسه، ص486-488.
2. المصدر نفسه، ج13، ص174.

حيثيات هذا الطريق الذي يجب أن يتحرك الجميع من خلاله وفي ذلك طلب مواجهة من يحاول تحريف حركة الناس وأبعادها عن المسير الذي تقتضيه فطرتهم[1]. يريد الإمام بذلك أن يؤكد على أن المعيار الأساسي لسلامة حركة الحفاظ على المسلمين وقيامهم، مطابقتها لحركة الأنبياء ودعوتهم والتي هي من دون شك رسالة الله تعالى.

من جملة ما يترتب على معرفة الإسلام والدفاع عنه أن يُعرض بشكل صحيح وأن يتلقاه الناس بالقبول لتناسبه مع فطرتهم وحاجاتهم. ومن هنا يوضح الإمام(ره) أن قيام الطلاب بتوضيح الإسلام وتبيين الحكومة الإسلامية كما هي فذلك سيؤدي إلى قبول الجامعيين بها، لأن الطلاب يعارضون الاستبداد من الأساس، ويعارضون الحكومات التي يقف المستعمرون إلى جانبها. لا بل لا يوجد أي جامعة وأي طالب يعارض الإسلام في شكل الحكومة التي يقدمها[2].

د- الدفاع عن الوطن

يتمكن الطلاب من تشكيل حالة وطيف واسع للدفاع عن الوطن، لما يحملونه من أفكار وقدرات واستعدادات تؤهلهم للعب هذا الدور الهام. فالوطن بحاجة إلى أشخاص عارفين مطلعين وأصحاب قدرات علمية واضحة. طبعاً ليس على المستوى العلمي والتقني فحسب، بل في مجالات أكثر من ذلك بالأخص عندما يكون الحديث عن بقاء البلد ووجوده وإعطاءه كياناً وصورة خاصة.

في هذا المجال يتحدث الإمام مادحاً قيام الطلاب باحتلال وكر التجسس الأمريكي الذي شكل ضربة قوية للولايات المتحدة الأمريكية وأعطى الشعب المسلم في إيران العزة والشموخ. فالمركز الأمريكي كان محلاً للفساد والمؤامرات التي تطال الشعب الإيراني حيث كان يزاول أعمال التجسس ونشر الفساد عبر وسائل متعددة ومتنوعة. يقول الإمام(ره) أنه لا يعرف هؤلاء الطلاب الذين قاموا باحتلال وكر التجسس بأشخاصهم ولكن يعلم أنهم أشخاص طاهرون والواضح من أن عملهم عمل إنساني بكل ما للكلمة من معنى[3].

ويؤكد الإمام(ره) على أن العمل الذي قام به الطلبة المسلمون قد وجه ضربة قاسية إلى أمريكا الطامعة ورفعوا رؤوس أبناء الأمة[4].

على كل حال يتوجب على الطلاب أن يبقوا على يقظة تامة مما يحاك للوطن وعلى بهم

1. ولاية الفقيه، ص130 (نشر مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني(ره)، 1381هـ.ش).
2. صحيفة نور، ج11، ص16-17.
3. المصدر نفسه، ج12، ص162.
4. المصدر نفسه، ج1، ص267-268.

أن يراقبوا الأجواء بشكل دائم ودقيق حتى لا تعود مراكز التربية والتعليم إلى سابق عهدها وإلى الأجواء السلبية التي كانت تسيطر عليها وفي ذلك نجاة للوطن ودفعه نحو التقدم والرقي.

2- التوقعات والآمال المعلقة على الجيل الجامعي

في خضم الأجواء العلمية التي تسيطر على فكر الطالب وسلوكه، وبالنظر إلى البيئة المحيطة التي تترك آثاراً متعددة على الطالب، ومع الأخذ بعين الاعتبار المسؤوليات الملقاة على عاتق الطالب الجامعي، تبرز قضية التوقعات والآمال التي ينتظر أن يطلع بها الطالب كعامل أساسي من عوامل النهضة والإطلاع الدقيق على المسؤوليات. من هنا حدد الإمام(ره) ومن خلال كلماته المتعددة الكثير من القضايا التي تندرج في إطار ما يتوقع من الطالب، وهي بشكل أو بآخر نابعة من العناوين المتقدمة الذكر.

أ- الوحدة

لعل العامل الأساسي الذي يتوقعه الإمام(ره) من الطالب الجامعي أن يعمل على إيجاد حالة من الوحدة وتكريسها بين مختلف التوجهات والحركات الطالبية حيث يجب أن تصب جميعها في خدمة البلد والإسلام، وإذا كان لكل شخص هدف وغاية تميزه عن غيره سيؤدي الأمر في النهاية إلى تشتت الجهود وضياع الأعمال.

فالوحدة في الظاهر عبارة عن توجيه جميع الجهود والأعمال لتصب في هدف واحد سينعكس على الوطن واستقلاله وعلى الإسلام وتكريس حيويته. على أساس أن للوحدة مظاهراً متعددة تتجلى وتظهر فيها، فتارة يكون الاتحاد عبر الحوار والنقاش والوصول إلى قواسم مشتركة. وتارة أخرى تكون عبر القيام بأعمال تكون النتيجة تكريس واقع الوحدة ومن هنا يشجع الإمام على تأدية صلاة الجماعة ورص الصفوف فيها لأن وجود الطلاب في صفوف متراصة أثناء الصلاة يعبر عن حقيقة الوحدة التي تتجاوز الأطر الظاهرية، بل يكون المقصود منها الوحدة الحقيقية[1].

وفي هذا الإطار يتوجه الإمام(ره) إلى المفكرين والعلماء والمدرسين والطلاب طالباً العمل على حفظ الانسجام فيما بينهم، إذ يؤدي الأمر في النهاية إلى الوحدة الحقيقية. فالوحدة والانسجام ليسا من مختصات الطلاب فقط بل تشتمل دائرتها على كل من يدور في هذه الدائرة، وهي دائرة العلم والفكر والثقافة. ومن هنا يرفض الإمام(ره) وجود عدد كبير من المجموعات الطالبية، لأن نتيجتها ستكون خلاف المطلوب. فإذا كان المطلوب من الوحدة الطالبية المساهمة في الوعي الشعبي، فإن وجود عدد كبير من الفرق والمجموعات سيؤدي إلى نتيجة معاكسة بالكامل. وقد شجع الإسلام على إيجاد هذه الحالة حيث جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا). لأن التفرق والتشتت يحمل في طياته الفساد

1. المصدر نفسه، ج8، ص315-316.

ويحمل في طياته الصعاب والمشكلات[1].

ب- تزكية النفس

يؤكد الإمام(ره) على دور تزكية النفس في صناعة الإنسان وإلى ما تشكله إلى جانب العلم من ثروة هامة تنقل الفرد والمجتمع إلى إطار أوسع من المصالح الآنية والفردية، إذ يساهم الاثنان معاً في سلامة المجتمع وتطوره ورقيه.

يتوجه الإمام إلى الطلاب والأساتذة مشيراً إلى أهمية النوأمة بين التربية الصحيحة والعلم. لا بل على الإنسان كلما تقدم خطوة في المجال العلمي، أن يخطو مثلها نحو العمل الباطني حيث التقوى والاستقامة والأمانة. والهدف أن يصل الشخص إلى مرتبة الإنسانية في نهاية المرحلة الدراسية، في هذه المرتبة يكون الإنسان قد امتلك المعلومات والمعارف وأصبح شخصاً أميناً، وبهذا يحقق الكثير من الأشياء التي ليس من السهل حصولها من دون أمانة.

يخاطب الإمام(ره) الطلاب قائلاً: "... روضوا أنفسكم، فالنفس تقبل الانقياد، فإن لم تروضوها فقد تؤدي بكم إلى الهلاك. وكل خطوة تخطونها في سبيل التعليم والتعلم، يجب أن يرافقها خطوة أخرى في ترويض أنفسكم. لا ينبغي أن يشغلكم التدقيق في العلوم والغوص بها، والغفلة عن الجهالات الموجودة في النفس. فلو غفلتم عن أنفسكم، فإن كل خطوة ستخطونها في سبيل العلم ستؤدي إلى ابتعادكم عن الإنسانية. فللإنسانية مسير مستقيم، وكل من تحرك خلافه فهو يسير في خط معوج، لا بل سيكون أكثر بعداً كلما تحرك خارج الخط المستقيم...

أنتم الآن ما زلتم في عمر الشباب ولم تبتلوا بضعف الشيخوخة، يمكنكم إصلاح أنفسكم بسرعة. لا تتوقعوا أن يحصل هذا الأمر من خلال تأجيله إلى آخر العمر، فالتوبة غير ممكنة آخر العمر، فلو لم يسعى وراءها منذ بداية العمر، ولم يعمل على صناعة نفسه، فلن يتمكن من ذلك في نهاية عمره، لأن القوى الشيطانية قد تجذرت في الإنسان وأصبحت قوية وأصبحت قوى الإنسان ضعيفة لا يتوقع منها أي عمل"[2].

ويتابع الإمام(ره) مقدماً نصيحة للطلاب بأن يعرفوا أهمية الشباب ويستغلوا الفرصة للعلم والتقوى لأن ذلك سيؤدي إلى وجود أشخاص صالحون أمناء. ووجود هكذا أشخاص يعني استقلال البلد وسلامته وعدم التبعية لأي جهة من الجهات. فالتبعية للشرق أو الغرب ستدفع الشخص للعمل من أجل مصالح الغير وترك مصالح البلد، لا بل والقضاء عليها[3].

بشكل عام تؤدي التقوى إلى وجود إنسان شريف في عالم الدنيا، وفي الآخرة

1. المصدر نفسه، ج9، ص3-5.
2. المصدر نفسه.
3. المصدر نفسه، ج12، ص403.

سيكون من الذين يقبلون على الله بوجه أبيض. هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن التزكية والتقوى من جملة العوامل التي تساهم في توجيه العلم نحو الهدف الحقيقي المطلوب منه. ولا تحرفه نحو أغراض شيطانية خادعة ليس فيها سوى الضرر لأبناء البشر[1].

ج- الجدية في تحصيل العلم

يؤكد الإمام(ره) على الجدية في تحصيل العلم ولا فرق في ذلك بين طلاب الجامعات وطلاب الحوزات العلمية، لا بل ويرفض كل الأقاويل والأفكار التي ينشرها البعض حول الفائدة من الدرس والتحصيل، لأن هذه المسألة مسألة تحمل في طياتها انحرافاً واضحاً لا بل الكثير من الجهل وسوء النية وهي من الأمور التي يروج لها أصحاب الأفكار الطاغوتية والشيطانية. والهدف من وراء ذلك إبعاد طالب العلوم الدينية من التحصيل وبالتالي التخلي عن التدين وكل ما يشير إليه، وجعل طالب الجامعة يشعر بالتبعية والتعلق بالمستعمر.

أن المستعمر يعمل بشكل دؤوب على نشر فكرة الحاجة إلى الغير وعدم القدرة على إنتاج أي سلعة أو مسألة بشكل ذاتي، وعندما يشعر الإنسان بحاجته الدائمة فيشعر أنه تابع بكل وجوده للغير ويؤدي هذا إلى تأخر البلد.

يرفض الإمام(ره) فكرة إخلاء الحوزة والجامعة من المحصلين المجدين والعلماء الواعين لأن وجود هؤلاء الأشخاص يعود بالنفع على البلد والشعب. فهم سيمتلكون مقدرات البلد في المستقبل، وتطوره يتوقف على ما سيتمتع به هؤلاء من علم وتخصص واجتهاد، فعلى الجميع أن يعملوا بجدية ونشاط في هذا الإطار[2].

د- التدخل في القضايا المصيرية للبلد

يتوقف الإمام(ره) ملياً أمام واحدة من الأمور المتوقعة من الطلاب لناحية التدخل في تحديد مصير البلد وعلى المستويات كافة، وذلك لما تملكه هذه الطبقة المثقفة من مخزون علمي وإمكانيات وقدرات وتجارب تجعلهم عناصر مفيدة وفعالة في البلد.

من جملة الأمور التي يؤكد عليها الإمام(ره)، التدخل في القضايا السياسية التي تحدد مصير البلد. وقد حاول دفع بعض الشبهات والإشكاليات التي كان البعض يلقيها عبر القول بأن الطلاب يجب أن يبتعدوا عن السياسة وعن المشاركة في الانتخابات لأنهم يحملون هموم التعليم والتحصيل. لذلك يعتبر الإمام أن القضايا السياسية والانتخابات، هي أمور تحدد مصير البلد، ومصير البلد يتعلق بكل شخص من أفراده ولا يمكن أن يتوقف على مجموعة خاصة، بل يشتمل جميع أفراد المجتمع. وعليه

1. المصدر نفسه، ج3، ص326-327.
2. المصدر نفسه، ج18، ص367-368.

فيجب على الجميع المشاركة ومن جملتهم الطلاب.

ثم يؤكد الإمام(ره) أن الشبهة المذكورة ما هي إلا نوع من المؤامرة التي ما زالت تسيطر على العديد من البلدان منذ العديد من السنوات وهي بشكل عام تحمل في طياتها أضرار متعددة. لذلك يقول الإمام(ره): "... يتوجب على الطالب الشاب أن يتدخل في الأمور التي تحدد مصيره... ويجب أن تكونوا يقظين لأنهم يريدون ما يريدون بمؤامراتهم، وحيث لا يمكنهم ذلك بالوسائل العسكرية، لذلك عملوا على إبعاد السياسة عن المذهب... ولكن باءت محاولاتهم بالفشل"[1].

وتتجلى عملية مشاركة وتدخل الطلاب في جوانب أخرى عدا عن السياسية منها، حيث يؤكد الإمام(ره) على ضرورة أن يقوم الطلاب بإفشال المخططات الاستعمارية التي تنال من البلد، ويرفض سكوتهم عما يدبر للبلد في الدول الأجنبية. يقول الإمام(ره): "... إنني أعلق آمالاً كبيرة عليكم أيها الطلاب في الداخل والخارج، ويتجلى هذا الأمل عندما أرى البلد قد طهر من وجود الأجانب وعملائهم، لا تدعوا اليأس يأخذ طريقه إلى نفوسكم، فالحق منتصر دائماً..."[2] ومن هنا يفترض أن يمتلك طالب الجامعة ثقة عالية بقدراته وإمكانيات ويجعل الحق نصب عينه ليواجه كل المؤامرات التي يحيكها الأجانب. ويشجع هذه الطبقة على سلوك طريق الحق ومقارعة الباطل وتوعية أفراد المجتمع لما يحيط بهم، وإعلام الجميع بكل ما يدور حولهم أو يدبر لهم. وفي النهاية ليكن الجميع على ثقة بأن الله تعالى هو ولي التوفيق[3].

من جهة أخرى وفي الإطار نفسه يعطي الإمام(ره) أهمية كبيرة لمواجهة المنحرفين. ولا تتحقق مواجهة الباطل والانحراف إلا إذا وضع الطلاب أيديهم في أيدي الشعب وتركوا الميل للشرق والغرب. طبعاً لن يترك الشرق والغرب الطلاب والشعب يحققون استقلالهم بل سيوجدون الكثير من العراقيل في الطريق، ويبقى أن الوحدة والاتحاد والتصميم هي من الأمور الكفيلة بالوصول إلى الاستقلال والاكتفاء الذاتي والخلاص من براثن المستعمرين والمستكبرين والالتفات إلى ما تتمتع به شعوب بلدنا من إمكانيات وقدرات.

بالإضافة إلى ذلك يشدد الإمام(ره) على ضرورة أن ينهض الطلاب لمواجهة أي انحراف قد يحصل من بعض الأساتذة والقادة. فلا بد من إظهار الاعتراض الشديد على أعمالهم وتصرفاتهم، بل يجب إعلام الشعب بالمخططات الانحرافية، لأن المنحرفون هم في الواقع خائنون للشعب والدين والبلد[4]. وهنا تتجلى أفضل صورة لتدخل الطلاب في مصير البلد.

بشكل عام هناك العديد من العناوين الأساسية التي تتجلى فيها عملية حضور الطالب الجامعي وفي مقاطع متعددة من الحياة السياسية والاجتماعية والقانونية...

---

1. المصدر نفسه، ج3، ص171-172.
2. المصدر نفسه.
3. المصدر نفسه، ج3، ص484-486.
4. المصدر نفسه، ج10، ص80.

ولكن الأهم من ذلك أن كل المحاولات لا يمكن أن تصل إلى مرحلة الإثمار ما لم ترتقي الحركة الطلابية إلى مستوى الاتحاد وتجميع القوى وتشكيل تجمع طالبي يجعل نصب عينيه ثنائية الدين والشعب[1].

من هنا يتوجب على الطلاب سواء طلاب العلوم الدينية أو طلاب الجامعات التدقيق والتعمق في الفكر الإسلامي، وترك شعارات ومنطلقات الحركات الطلابية المنحرفة ليتمكن هؤلاء من إحلال الإسلام العزيز مكان الانحرافات والاشتباهات التي أوصلت البلد إلى حافة الهاوية. يقول الإمام(ره): "ليعلم الجميع أن الإسلام مذهب غني لا يحتاج إلى ضميمه أيّ من المذاهب الأخرى إليه، وليعلم الجميع أن التفكير الالتقاطي هو خيانة للإسلام والمسلمين حيث شاهدنا النتائج المريرة لهذا التفكير"[2].

في النهاية يعتبر الإمام أن حينية الأستاذ والطالب الجامعي تجعل منهما أشخاصاً يساهمون في إصلاح البلد فيما لو كانوا صالحين، وأما لو كانوا غير ذلك فالنتيجة ستكون على العكس تماماً. فالطالب والأستاذ عند الإمام هما العقل المفكر للأمة، لذلك يجب أن يتحركوا على المسير الصحيح الذي يؤدي إلى وجود حقيقة الإنسان وتجليه في جميع الأفراد.

هـ- الاستمرار في الدفاع عن الإسلام والثورة

لعل من أهم الأمور التي يتوقعها الإمام من الطالب الجامعي والتي هي نتيجة حتمية لمجموعة من القضايا التي تقدم ذكرها وأهمها التزكية والعلم والمعرفة والالتفات إلى الحيثيات الحقيقية للطالب ودوره في عملية بناء المجتمع، أن يعمل على الدفاع عن الإسلام ويبذل قصارى جهده في الدفاع عن الثورة. لذلك يعتبر الإمام(ره):

"إن من واجب عموم المسلمين وبالأخص العلماء الأعلام والمثقفين وطلاب الجامعات، الاستفادة من كافة الفرص للدفاع عن الإسلام العزيز والحفاظ على أحكامه الحياتية التي هي في الواقع الضامن الحقيقي للاستقلال والحرية... ولينحدثوا ويصرحوا بما يجب التحدث به وليعملوا على إيصال صوتهم إلى جميع الدول والمنظمات الدولية والمجتمعات البشرية"[3].

وإذا كان الدفاع عن الإسلام واجباً فلا بد من العمل على معرفة الأصول الأساسية للإسلام وعلى رأسها التوحيد والعدل ومعرفة الأنبياء المؤسسون الحقيقيون للعدالة والحرية. ولا بد من أن تشتمل المعرفة على جميع القضايا المعنوية، والأمور المتعلقة بتنظيم المجتمع والحكومة وشروط الإمام وولي الإمام، ولا تنتهي عن الولاة والقضاة والعلماء والمثقفين...، حيث يجب على الشخص أن يتعرف على رأي الإسلام في جميع هذه القضايا.

---

1. المصدر نفسه، ج3، ص484-486.
2. المصدر نفسه، ص262.
3. المصدر نفسه، ص322-323.

ويترتب على هذا الأمر أن يبتعد الطلاب والحوزويون عن اقحام سلائقهم وآراءهم الشخصية في تفسير القرآن الكريم وتأويل الأحكام الشرعية. بل لا بد من الالتزام بالإسلام في جميع أبعاده[1].

أما في يتعلق بالثورة والتي هي النتيجة والثمرة الحقيقية لتحقق الإسلام، يوصي الإمام(ره) بالحفاظ على هذا الانجاز العظيم الذي وضع بين أيدي الشعب وبالأخص الطلاب، والاستمرار في تحقيق أهدافها، لتكونوا بذلك ممن يساهم في تحقيق أهداف النبوة[2].

3- اللجان والتشكيلات داخل الجامعة

يتطلع الإمام(ره) إلى اللجان الطالبية ودورها وأهمية وجودها انطلاقاً من الأهداف المطلوبة منها والدور الذي يجب أن تلعبه على مستوى تدعيم الأسس والمباني والقيم التي قامت الثورة من أجلها، وهي في الحقيقة قيم الإسلام والعدالة الواقعية.

وعلى هذا الأساس يمكن الوقوف عند أهمية اللجان الطالبية بالمقدار الذي تساهم فيه في ترويج وترسيخ قيم الإسلام ومعاداة الظلم والطغيان وإبعاد الانحراف والمنحرفين، لذلك يجب أن تكون هذه اللجان، عامل وعي ويقظة وحركة في الطريق الصحيح وليست عوامل انحراف وتأييد للمنحرفين.

لعل من أهم الأمور التي نلاحظها في تصريحات الإمام حول اللجان الطالبية، تشديده على الوحدة والاتحاد بجميع الأشكال التي تتجلى فيها. والوحدة ليست حالة مختصرة في الطلاب أو الأساتذة أو كلاهما، بل تتعدى ذلك إلى وحدة المسلمين جميعهم. ويثني الإمام(ره) على هذه الوحدة التي كانت وستكون حال تحققها كفيلةً بتحقيق الأهداف الإسلامية التي تؤمن سعادة البشر في الدنيا والآخرة[3]. طبعاً لا تتحقق هذه الأهداف إلا إذا وضعت اللجان الطالبية اختلافاتها جانباً، وتخلت عن المشاكل الجزئية وابتعدت عن النضال السلبي، بل النضال الإيجابي الفعال هو الذي يسمح بتحقيق تلك الأهداف[4].

وإذا كان الإمام(ره) قد أدلى بتصريحات متعددة خصّ بها الطلاب واللجان الطالبية فقد قدم لها مجموعة من الوصايا الأساسية التي تؤمن موفقيتها وتصحيح مسارها[5]:

أ) أوصى الإمام الطلاب أن يجعلوا الإسلام وأحكامه العادلة على رأس اهتماماتهم. ولن تتمكن اللجان الطالبية من الوصول إلى هكذا هدف من دون

1. المصدر نفسه، ج14، ص1-2.
2. المصدر نفسه، ج3، ص211-212.
3. المصدر نفسه.
4. المصدر نفسه، ج3، ص321-327.
5. المصدر نفسه

حكومة إسلامية عادلة. والحكومة العادلة يترتب عليها نتائج وتبعات متعددة من أبرزها الالتزام بقوانينها ودساتيرها والعمل على تطبيق أحكام الإسلام، والبراءة من كل ما عداها.

ب) ويوصي الإمام(ره) اللجان الطالبية دعوة أصحاب التيارات الأخرى المخالفة، إلى الإسلام أي إلى المذهب الراقي العادل. وهذا يتطلب معرفة دقيقة بالإسلام لتتمكن من دعوة الآخرين إليه.

ج) يجب على الطلاب إعطاء قدر معين من أوقاتهم لمطالعة أصول الإسلام الأساسية وعلى رأسها التوحيد والعدل ومعرفة الأنبياء. واستعلام حقيقة الأهداف التي جاء من أجلها الأنبياء بدءً من المعنويات والتوحيد، إلى تنظيم المجتمع ونوع الحكومة وشروط الإمام وولي الأمر...

د) ويطلب الإمام من اللجان العمل على إبعاد السلائف الشخصية في تفسير آيات القرآن الكريم، بل يجب الالتزام بالإسلام بجميع أبعاده وجوانبه. أما مصلحة المجتمع فهي من دون شك ستتحقق مع بسط العدالة ورفع الظلم وتأمين الاستقلال والحرية وتعديل الحركة الاقتصادية بشكل عاقل ومنطقي.

هـ) الابتعاد عن كافة أنواع الاختلافات، لأن الاختلافات كالسرطان المهلك الذي يقضي على أي نجاح ويزيل أي هدف. ويشدد الإمام على ضرورة الاحترام بين اللجان الطالبية وبينهم، وبين طلاب وعلماء الدراسات الدينية لما لذلك من أهمية في سبيل إعطاء صورة حقيقية عن الإسلام.

و) ويوصي الإمام(ره) اللجان الطالبية أيضاً بضرورة الجدية في تحصيل العلم. لأن الإسلام يخالف _ كل من يدعوا إلى الإهمال، بل الجدية تحمل فوائد متعددة على مستوى الأهداف الأساسية التي يصبوا إليها الإسلام.

هذه خلاصة عن أهم وصايا الإمام(ره) للجان الطالبية، وقد شدد في العدد من كلماته على ضرورة أن تكون جميع حركات ونشاطات اللجان الطالبية ناشئة من الإسلام وتصب في خدمته. ولن يتحقق هذا الأمر إلا إذا كانت البداية من الأشخاص الذين إن حصلوا على فهم للإسلام في النظرية والتطبيق سينمكنون لا محالة من إيجاد حركات طالبية مستقيمة ومفيدة.

التربية والإعداد للظهور، إستراتيجيات و حلول

زينب عبد الواحد الدحيلب

مقدمة

كوننا نعيش في عصر الغيبة الكبرى لقائدنا الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ولكوننا نعيش أحداثاً وتقلباتٍ ومنعطفاتٍ على جميع الأصعدة الروحية والاجتماعية والسياسية والثقافية فإننا نجد أنفسنا نعزي هذه التقلبات والمنعطفات بشكلٍ تلقائي إلى زمن الظهور فيشتد تطلعنا نحو طريق الخلاص وتشرئب أعناقنا نحو ذلك المنتظر الموعود المعقود على ظهوره خلاص هذه المعمورة من الظلم والفساد.

وعند تأملنا في قوله تعالى على لسان ذي القرنين (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً)[1] وربط الآية بذلك الدور العظيم وتلك الحركة التغييرية العالمية التي سيقودها ذلك المخلص المرتقب فإننا نستنتج بالبديهة أنّه وإن كان الإمام المهدي (عج) هو المُغيّر وإن كان هو القائد إلاّ أنّ استمداد العون من البشر يدلُّ بوضوح على أنّ الحكومة الإلهية ليست استبداداً إلهياً, ولا هي تفويض مطلق للبشر, إنّما هي طريق وسط وأمر بين أمرين حيث أعطت الآية الكريمة صورة رائعة تحافظ على إرادة البشرية في الحركة الحيوية, وتحافظ على عناية السماء وهدايتها ولطفها بالبشر في نظرية الاختيار والامتحان في الإصلاح وإقامة الحكم السياسي, وهذه هي نظرية وعقيدة مدرسة أهل البيت (ع), المنبثقة من متن القرآن الكريم.

فالخليفة من قبل الله عندما يريد إقامة الإصلاح ودرء الفساد في الأرض لا بدّ له من إعانة البشر بقوّة, وحينئذٍ يتمكّن مع ما زُوّد به من أسباب لدنية, من القيام بتلك المهمة الخطيرة وذلك بلا شك يقودنا إلى الحديث عن التربية الممهدة بما يتناسب مع ذلك الدور العظيم المُمَّهَّد له, ومن هذا المنطلق فسوف نتحدث في هذا البحث المتواضع عن التربية الممهدة للظهور من ست زوايا راجين السداد والتصويب ممن عقدنا هذا البحث لأجله

1. الكهف 95

الإمام المهدي المنتظر أرواحنا وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء وسائلين المولى العظيم أحسن القبول.

دور الإمام في رسم الخطة والمشروع التربوي الإسلامي

الخطة: في معجم اللغة العربية المعاصرة هي جمع خطط ومعناها مجموع التدابير والإجراءات المتخذة والهادفة لإنجاز عملٍ ما.

وإذا أردنا أن نقرن تلك التدابير والإجراءات بدور الإمام المهدي (عج) فمن المناسب جداً أن نبين علاقة مهمة جداً في التربية وهي التحرك بين الفعل ورد الفعل فنقول:

إنّ الانحراف والأساليب الغير أخلاقية التي مارسها الفكر الوضعي في قبال الفكر الإلهي قد أخّرت تنفيذ ذلك الهدف الإلهي الكبير وهو إقامة حكومة الله في الأرض وتطبيقها على الساحة البشرية.

لكن ذلك الفكر الإلهي قد بقي صامداً حياً بما سخّر الله له من رجالات يحملونه ويسعون لممارسته وتطبيقه, إلا أنّ هذه الممارسة التطبيقية قد تحولت من الفعل إلى رد الفعل لاسيما بعد النبي الأكرم (ص) واغتصاب الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام.

وعملية التحول هذه لا بدّ أن تحمل بين طياتها ذلك الفعل الأصلي, وهذا ما نكتشفه من تتبع الروايات والأحداث التاريخية.

ففي القضية المهدوية هناك تخطيط رباني للفكر المهدوي مبني على أساس الفعل أولاً و على أساس رد الفعل ثانياً, فالتخطيط لإقامة دولة التوحيد والعدل العالمية كان يمر من خلال خط الخلافة الحقيقية من بعد النبي (ص) والذي يمثله الأئمة عليهم السلام لتستمر عملية التربية الربانية للمجتمع والأمة وفق ما خطط لها النبي (ص), فالخلفاء الحقيقيون لو وُضعوا في مناصبهم التي نصبهم الله إياها لأكملوا مشوار الرسالة وحققوا ذلك المجتمع التوحيدي الصالح وأوصلوه إلى مرحلة الرشد والارتقاء الروحي الكامل الذي يؤهله لأن يكون نموذجا كاملا لإقامة الدولة النموذجية في العالم وبذلك تدخل الأمم في دين الله أفواجا, وهذا الأمر كان له أن يتحقق في السبعين من الهجرة كما في رواية الكافي عن أبي حمزة الثمالي عن الباقر عليه السلام حيث قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

(ياثابت إن الله تبارك وتعالى كان قد وقّت لهذا الأمر في السبعين فلما قتل الحسين عليه السلام اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض إلى أربعين ومائة, فحدثناكم فأضعتم الحديث وكشفتم الستر ولم يجعل الله بعد ذلك وقتا عندنا[1],)يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)[2].

1. الكافي ج1
2. الرعد 39

فعندما خذلت الأمة قادتها الحقيقيين، كان لابد من وجود رد فعل لذلك وهو أن يقوم المعصوم بتحمل أعباء ذلك المشوار الطويل الذي يكون بتأسيس قاعدة مؤمنة بالإسلام الحقيقي وبالفكرة الكبيرة وهذا يتطلب أن يتخطى آلاف أن لم تكن ملايين العقبات التي استهدفت الخط الأصيل وأرادت طمس معالم الإسلام، ومنها الفكرة المهدوية التي أسس لها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده الأئمة عليهم السلام وهكذا بدأ رد الفعل على أساس هذا الانحراف.

وهنه نماذج من منهج رد الفعل في حياة الأئمة عليهم السلام:

النموذج الأول: اعتزال أمير المؤمنين عليه السلام لهذا الأمر حين تخاذلت الأمة عن نصرته واستلبت الخلافة منه فتوجه في بادئ الأمر إلى جمع القرآن بالشكل الذي يبين حقيقة الإسلام والذي رفضه القوم ثم بقي معزولا عن الممارسة السياسية إلا في حالات استوجبت تدخله لضرورة حفظ الإسلام ولكنه مع ذلك مهد لقضية الإمام المهدي عليه السلام ومستقبل الإسلام وتربية جيل يقوم بحفظ الإسلام ونقل الفكرة إلى الأجيال القادمة وتثبيتها في فكر الأمة وهذا هو الفعل الذي ظهر من أمير المؤمنين عليه السلام من خلال رد فعله.

النموذج الثاني: ما حصل مع الإمام الحسن عليه السلام حين خذلته الأمة مما جعله يقبل الصلح كرد فعل على الانحراف، ولكن ومن خلال شروط الصلح أظهر الإمام حقيقة الإسلام وحقيقة الإمام وحقيقة الطرف الآخر للأمة الغافلة والمتقاعسة عن نصرة الحق.

والنموذج الثالث: ثورة الإمام الحسين عليه السلام وهي أيضا رد فعل على ممارسات النظام الأموي الفاسد، فقد اظهر الإمام عليه السلام الفعل الحقيقي للإسلام ومهد من خلاله في توسيع القاعدة المؤمنة بخط أهل البيت ومن ثم بقضية الإمام المهدي عليه السلام.

وعندما نأتي لغيبة الإمام المهدي عليه السلام نفسه فإنها رد فعل على محاولات الإجهاز عليه عليه السلام واغتياله أو لأسباب أخرى كثيرة غاب من أجلها عليه السلام ومن خلال غيبته الشريفة هذه يقوم بتهيئة الأمور لإظهار الفعل الإسلامي من خلال ظهوره الشريف الذي سيكون خاتمة لردود الفعل، ويكون الفعل المهدوي الإسلامي هو السائد والمبيد لكل ردود الفعل.

ولقائل أن يقول: أي خطة للإمام وأي مشروع وهو غائب، ولكن الواقع أنّ الغيبة لا تعني الانقطاع فعن جابر الأنصاري أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم:إي والذي بعثني بالنبوة إنهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب[1].

والمهمة التي تنتظر الإمام المهدي عند خروجه مهمة خطيرة لم يتحمل ثقلها ولم يستوعبها تاريخ الإنسان على امتداده وسعته، ولم يتأت لها التحقيق في

1. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢

تاريخ البشرية، فإقامة دولة عالمية تخضع لها جميع الشعوب والمجتمعات حيث يصبح البشر كلهم رعية لقائد واحدة، وفي ظل حكومة مركزية واحدة، يسودها النظام الإسلامي، كل ذلك لابد له من تخطيط يتناسب مع حجم هذه المهمة العظيمة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام وهو يتحدث عن عالمية دولة الإمام المنتظر: (إذا قام القائم المهدي لا تبقى أرض إلا نودي فيها بشهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)[1].

وعندما نعي حقيقة وجود الإمام عليه السلام وفاعليته في الساحة سوف ندرك أنه الإمام الحي الذي يعيش على هذه الأرض ويعيش مع آمال الناس وآلامهم ويشاركهم أحزانهم وأفراحهم وأنه يرعى شؤون الأمة، صغيرها وكبيرها حتى أنه ورد في إحدى رسائله عليه السلام للشيخ المفيد رحمه الله انه قال:(لا يعزب عنّا شيء) فهو القائد وهو صاحب الأمر وهو المرشد والمسدد وهو الذي يحمل جبالاً من الهموم لما يراه في كل لحظة مما يلم بشريعة الله تعالى من التفريط وما يلم بشيعته من الظلم والاضطهاد.

ويمكن أن نوجز أهم المهام التي يقوم بها الإمام الغائب (عج) فيما يلي:

رعاية الكيان الإسلامي

يقول الإمام المهدي(عليه السلام) في رسالته الأولى للشيخ المفيد: «... فإنّا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مُذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء»[2].

فالإمام عليه السلام يعلم بأوضاع المؤمنين ويحيط علماً بالتطورات التي تحصل لهم ومحاولات الاستئصال والإبادة التي يتعرّضون لها ويتخذ الإجراءات اللازمة لدفع الأخطار عنهم بمختلف أشكالها، وهذه الرعاية هي أحد العوامل الأساسية التي تفسر حفظ أتباع مذهب أهل البيت(عليهم السلام) واستمرار وجودهم وتناميه على مدى الأجيال على الرغم من شدة الحملات التي عُرّضوا لها والإرهاب الفكري الحاد الذي مورس ضدهم لقرون طويلة فهذه التصفيات الجسدية والمحاربة الفكرية الواسعة التي شهدها التأريخ الإسلامي كانت قادرة ولا شك على إنهاء وجودهم جسدياً وفكرياً لولا الرعاية المهدوية.

1. ينابيع المودة ص 421
2. لاحتجاج / الطبرسي / ج2 / ص322ـ 323

حفظ الإسلام النفي

فمن مظاهر قيامه(عليه السلام) بهذه المهمة في غيبته تسديد العمل الاجتهادي للعلماء والفقهاء ومنع إجماعهم على باطل بطريقة أو بأخرى، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: (إن الله لا يدع الارض إلا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان فإذا زاد المؤمنون شيئا ردهم، وإذا نقصوا أكمله لهم، فقال: خذوه كاملا، ولولا ذلك لالتبس على المؤمنين أمرهم ولم يفرق بين الحق والباطل)[1].

والأخبار في هذا المعنى أكثر من أن تُحصى، ومقتضاها تحقق الرد عن الباطل والهداية إلى الحق; من الإمام في زمن الغيبة و هو يحصل بالأسباب الخفية كما يشعر به حديث السحاب.

تسديد الفقهاء.

إنّ نظام النيابة الخاصة في الغيبة الصغرى كان تمهيداً لإرجاع الأمة في الغيبة الكبرى إلى الفقهاء العدول كممتلين له (عليه السلام) ينوبون عنه كقيادة ظاهرة أمر بالرجوع إليها في توقيعه الصادر إلى إسحاق بن يعقوب: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم»[2].

فالفقهاء العدول يمتلون في الواقع واسطة بين الأمة والإمام _ عجل الله فرجه _ مما يعني أن يحظى بعضهم _ وخاصةً الذين يحظون بمكانة خاصة في توجيه الأمة ودور خاص فكري أو سياسي في قيادتها _ بتسديد من قبل الإمام _ عجل الله فرجه _ بصورة مباشرة أو غير مباشرة وبالخصوص في التحركات ذات التأثير على مسيرة الأمة وحركة الإسلام، فهو يتدخل بما يجعل هذه التحركات في صالح الأمة أو بما يدفع عنها الأخطار الشديدة الماحقة، وقد نقلت الكثير من الروايات الكاشفة عن بعض هذه التدخلات والتي لم تنقل أو لم تدون أكثر بكثير. فقد يتدخل الإمام بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة عبر أحد أوليائه.

مبادئ و أهداف التربية الإسلامية، والتأكيد على دور الإمام (التربية الممهّدة والمعدة للظهور)

ما هي التربية الإسلامية؟

للتربية من وجهة النظر الإسلامية عدة تعريفات منها:أنها الهداية وتوجيه المسار التكاملي للإنسانية، أو خلق الأرضية الجديدة للفرد على النضوج والتكامل في جميع المجالات.

و منها: أنها عملية مقصودة تستضئ بنور الشريعة تتطلّع إلى تنشئة جميع جوانب الشخصية الإنسانية لتحقق العبودية لله سبحانه وتعالى، ويقوم بها أفراد ذوو

1. علل الشرايع: 76
2. الاحتجاج ص 90

كفاءة عالية بتوجيه تعليم أفراد آخرين وفق طرق ملائمة مستخدمين محتوىً تعليمياً محدداً وطرق تقويم ملائمة.

ومع كثرة التعريفات التي أعطيت للتربية الإسلامية إلا أنها تلتقي عند قاسم مشترك وهو التوجيه الإسلامي للعملية التربوية بمفهومها الواسع سواء من حيث بناء المناهج، أو تأليف محتوى الكتب أو طرق التدريس أو استخدام الوسائل التعليمية أو أساليب التقويم.

مبادئ وأهداف التربية الإسلامية

تتمركز أهداف التربية الإسلامية في عصر الغيبة الكبرى حول تربية الأفراد و الأمة ككل من الناحية الفكرية والروحية، حتى يكون لها القابلية لاستيعاب وفهم وتطبيق القوانين الجديدة في دولة الحق العالمية.

وبشكلٍ عام فإنّ التربية الإسلامية يجب أن تستنبطن مفاهيم الفكر الإسلامي بتصوراته، وقيمه ونظرياته في مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فعقيدة الإسلام تؤكد مبدأ وحدانية الله، ثم يبنى عليها كافة التشريعات، والنظم التي تتفق مع الغاية التي من أجلها خُلق الإنسان عبر الأهداف التالية:

1. إتمام النور الإلهي وإظهار الإسلام على الدين كله:

قال تعالى: (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)[1] وقد صرّح المفسرون من مختلف المذاهب الإسلامية بأنّ هذا الوعد الحتمي الوقوع إنما يتحقق في عصر المهدي الموعود حيث يظهر الإسلام على جميع الأديان فيعم المشارق والمغارب.

2. استخلاف صالحي المؤمنين

قال تعالى: (ولقد كتبنا في الزّبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)[2] حيث تكون مقاليد المجتمع البشري برمته بيد الصالحين الذين كانوا يُستضعفون في الأرض والذين يمثلون الإسلام المحمدي الأصيل، فإذا مكنهم الله في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأقاموا حدود الله.

3. إقامة المجتمع التوحيدي الخالص

فنتيجةً لما سبق نصل إلى إقامة المجتمع التوحيدي الخالص الذي يعبد الله وحده لا شريك له بأمنٍ دونما خوف من كيد منافق أو كافر، وتتوفر بذلك جميع الظروف اللازمة لتحقق العبادة الحقّة لله والتكامل الإنساني لذا فلا حجة بالمرّة لمن

1. التوبة 32
2. الأنبياء 105

يكفر بعد ذلك (فأولئك هم الفاسقون) حقاً لأنهم أعرضوا عن الصراط المستقيم مع توفر جميع الأوضاع المناسبة لسلوكه.

4. تحقق الغاية من خلق النوع الإنساني

قال عزّ وجلّ: (وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون)[1].

حيث عقد السيد الشهيد محمد الصدر(قدّس سره الشريف) بحثاً عقائدياً تفسيرياً استند فيه لهذه الآية الكريمة لإثبات حتمية ظهور دولة المهدي الموعود _ عجل الله فرجه. لأن تحقق هذه الغاية أمر حتمي إذ إنّ من المحال تخلف مخلوق عن الغاية من خلقه, والآية تتحدث عن النوع الإنساني وتحقق العبادة الحقة فيه على الصعيدين الفردي والاجتماعي العام في المجتمع الإنساني وهذا مالم يتحقق في تأريخ الإنسان على الأرض مُنذ نزوله إليها لذا لابد من القول بحتمية تحققه في المستقبل في دولة إلهية تقيم المجتمع التوحيدي الصالح العابد لله وحده لا شريك له.

5. إنهاء الردة عن الدين الحق

قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا مَن يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)[2].

فقد استدل العلامة الطباطبائي(رحمه الله) على أن هذه الآية الكريمة تتحدث عن عصر الظهور المهدوي وأن الردة المقصودة فيها هي عن الدين الحق إنما تكون مع البقاء على ظاهر الإسلام وذلك بموالاة اليهود والنصارى وإتباعهم في طريقة الحياة في مختلف شؤونها كما هو حاصل اليوم حيث الانحراف الذي يصيب العالم الإسلامي قبل الفتح المهدوي.

وفيما يتصل بالعملية التربوية التي تقوم على عاتق المعصوم فإنه يحق لنا أن نطرح السؤال التالي:

لماذا لم يظهر الإمام المهدي في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم, ولماذا لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المهدي؟ و لماذا لم يكن الإمام علي عليه السلام وهو سيد الأئمة هو الإمام المهدي؟ وهكذا لو أردنا أن نجري السؤال على كل إمام من الأئمة المعصومين عليهم السلام.

والواقع أن كل واحد منهم سلام الله عليه له دور تأريخي في تطوير حياة الإنسان وفي تأهيل المجتمع الإنساني لكي يدخل الدور المتقدم الذي يوصله إليه الإمام المتقدم,

1. الذاريات 56
2. المائدة 54

أي أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان دوره إيصال البشرية إلى مستوى معين، بحيث تتأهل البشرية لأن تتحمل ولاية علي بن أبي طالب ثم إن لأمير المؤمنين عليه السلام دوره الذي سلمه للإمام الحسن، وهكذا الأئمة من بعده، ولكل دور من هذه الأدوار تشخيصه الخاص به.

وهذا الدور هو دورٌ مشترك قام به جميع الأنبياء والأوصياء السابقين وهو تأهيل المجتمع البشري لتقبل العقيدة المهدوية.

وبذلك نصل إلى أنّ حركة الإمام هي الحلقة الأخيرة للنهضة البشرية وأنّ المجتمع الذي يظهر فيه الإمام (عج) يجب أن يكون قد بلغ أقصى مراتب النضج في كافة النواحي الفكرية والروحية والعقائدية.

إنّ الفهم الصحيح للانتظار يدفع الأمة إلى التحرك ويبعث فيها روح الحماس ويشعرها بمسؤوليتها التاريخية، و أنها هي المسؤولة عن تأخير الظهور بابتعادها عن الشريعة وعدم إصلاحها لنفسها وعدم ارتقاءها إلى المستوى المنشود في العقيدة والوعي الأخلاق والتضحية و أنّ الإمام هو الذي ينتظر الأمة لتقوم بالجزء الآخر من العملية التمهيدية وهذا يقودنا للحديث عن الدور الفعال للفرد والمجتمع في هذا المضمار عبر المحاور الآتية:

المناهج التربوية و التعليمية والتمهيد والإعداد للظهور

ينوجب أن تخلق المناهج التربوية والتعليمية أفراداً واعين متميزين ممهدين وبما أنّ هوية الإنسان متعلقة بمنطلقاته الفكرية وبنائه العقائدي، فإنه كلما كان البناء الفكري والعقائدي محكما ورصينا كلما استوعبت هذه الشخصية تلك المنطلقات، وقويت وترسخت فيها الهوية وتميزت، كنسف فكري بين الأفكار وأثرت كثيرا في الميدان.

ويحدد السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره في حديث عن الشخصية الإسلامية ثلاثة مقومات لهذه الشخصية الإسلامية هي:

أولا: طاقة فكرية يتعامل بها مع الوجود و الموجودات

ثانيا: طاقة روحية يتعامل بها مع الله عزوجل

ثالثا: طاقة أخلاقية يتعامل بها مع المجتمع

وهذه المقومات متفاعلة مع بعضها البعض وغير منحجرة، و إن الإنسان المنتظر لكي يتمتع بشخصية مهدوية متميزة ومتكاملة وذات هوية حقيقية تميزه عن غيره فيجب أن يمتلك هذه المقومات الثلاثة والتي تنزلها من منظورها الإسلامي العام إلى منظورها المهدوي الخاص، وبما يلائم الخصوصية المهدوية.

فعلى رأس هذه المقومات الثلاثة الطاقة الفكرية في الشخصية المهدوية، فالإنسان المهدوي جزء من هذا النظام الوجودي بكل ما يحمل من تكاملات ومقامات، وهذا الوجود فيه مكوناته التكوينية، ومنها الفكرية العقائدية وبحكم وجوده فيها فوجب عليه فهم واستيعاب حقائقها لكي يبني منظومته الفكرية بشكل متين، وبالتالي يتعامل معها تعاملا صحيحا، لان هذا الوجود هو برنامج متكامل

يكمل بعضه بعضا فإذا جهل موقعه منها أو موقع أي منها والتأثيرات المتبادلة بين هذه الموجودات، فانه سوف يخسر الكثير من المعرفة التي تنجر إلى السلوك والتعامل، و الإنسان المهدوي يختلف عن غيره لأنه يحمل في جوهره رؤية كونية يفسر على أساسها علاقته بالمجتمع، وعلاقات أفراد المجتمع ببعضهم البعض.

ومن هنا فان المناهج التربوية يجب أن تتوخى العمل على المحاور الآتية:

أولاً:الفكر التوحيدي الراقي الذي يستلهمه المنتظر من معلمه الأول وهو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام ومن ثم يستلهمه من قائده المعاصر الإمام المهدي عليه السلام أي من مصدر القرآن وأحاديث العترة الهادية ومناجاتهم وزياراتهم وادعيتهم وخطبهم التي هي أنوار تبين مقام التوحيد بأرقى صورة.

هذه القضية هي المقوم الأول في شخصية المنتظر، وتشكل الحصانة الأكبر له من كل الزلات والتحديات وهذا المصدر المهم جدا الذي يتغذى منه دائما في كل مسيرته، ليواجه الواقع وبرفده بكل الأفكار المهدوية ويرد على الشبهات التي كثيرا ما تواجهه.

ثانياً: الطاقة الفكرية من حيث معرفة إمامه بشكل حقيقي، ينحدر من معرفة مفهوم الإمامة ومقوماتها وخصائصها ومرورا إلى متعلقاتها مثل العصمة وعلم الإمام وغيره، ونزولا إلى معرفة الخصائص الشخصية للإمام عليه عبر معرفة سيرته أو مقاماته الملكية و الملكوتية.

ثالثاً: أن يتمتع المنتظر بدائرة تتسع لاستيعاب القراءات الموجودة على الساحة الفكرية كافة، انطلاقا من قراءته لفكر مجتمعه، ثم إلى دائرة المثقفين معه في الفكر ومن ثم إلى المختلفين معه فيه بعضاً أو كلاً.

لذا فإن المناهج التعليمية والتربوية يجب أن تساعد المنتظر لأن يكون مرآة للمعرفة الكلية تتجلى فيها اغلب القراءات المهمة في الساحة المتعلقة بإحياء روح الانتظار لدى الإنسان وتحقيق السعادة للبشرية وذلك عبر:

1 - ترسيخ العقيدة الدينية لخلق الفرد الصالح المتمسك بدينه وعقيدته.

2 - مساعدة الأفراد على المحافظة على دينهم وعقائدهم (كالتوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد) وإقامة الشعائر الدينية والعبادات الإسلامية وإتباع أوامر الله واجتناب نواهيه.

3 - تحقيق الوحدة الدينية والفكرية القائمة على العقيدة السليمة بفهم وإدراك، وتعريف الأفراد بدينهم وخصائصه ما يميزه عن غيره من الديانات الأخرى.

4 - بناء شخصية متكاملة بأبعادها المختلفة الجسمية والعقلية والروحية والخلقية والوجدانية والاجتماعية، لتكون قادرة على القيام بواجباتها تجاه الله وتجاه أنفسهم وتجاه الناس.

5 - تنمية الضمير الديني الحي اليقظ وتطهير القلب والنفس من كل ضلالة ومراقبة الله في السر والعلن وغرس القيم والفضائل في النفوس.

6 - تنمية روح الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) والمحبة والرحمة والتسامح واحترام الآخرين وحقوقهم وعدم التعصب.

7 - تنمية قدرات الفرد وإمكانياته ليتمكّن من مواجهة مشكلات الحياة بأسلوب ديني.

8 - إرشاد الفرد وتوجيهه إلى تراثه الثقافي الإسلامي الأصيل ومساعدته على مواجهة التيارات والفلسفات المناهضة للإسلام.

ولذا فإن العمل على تخريج أفراد إلى المجتمع متحصنين بالعقيدة الصلبة والأسس الدينية المتينة في خضم هذه التحديات وفي خضم هذه الاعتداءات السافرة على الإسلام وعلى رموزه يُعتبر من أهم المشاريع التي يجب أن يهتم بها المسلم وتهتم بها الأسرة والمدرسة والمنتديات والجمعيات وغيرها ممن نذر نفسه لخدمة الإسلام والمسلمين.

إن سياسة المواجهة المسلحة كما كان في العهدين الأموي والعباسي قد أثبتت فشلها بل أثمرت نتائج معاكسة لما كانوا يطمحون إليه، ولذا فإنّ الأعداء بعد فشلهم الذريع لجئوا إلى سياسة جديدة بعيدة عن العنف بجميع ألوانه وهي سياسة بث الفتن والشبهات بين المسلمين لخلق الاختلاف فيما بينهم.

وواضح أنّ أنجح طريق لمجابهة هذا النوع الجديد من الحرب، يكمن في التربية الإسلامية الصحيحة التي تستقي أصالتها من كتاب الله ومن أهل البيت (عليهم السلام) فهما من يوصل المرء إلى برّ الأمان في خضم هذه المواجهات العاتية وهذا عهد عهده إلينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال: (إنّي تارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي)[1].

أسلوب ونمط الحياة و التربية الممهّدة والإعداد للظهور:

انطلاقاً من أنّ المنتظِر يجب ألا يقف مكتوف الأيدي حتى لا يُوسم انتظاره بالصفة السلبية توجب عليه أن يعمل على تكليفه الشرعي ويسعى في العملية الإصلاحية،ومن ذلك فإن سلوك المنتظر في عهد الغيبة الكبرى يجب أن يتمحور حول نقطتين رئيسيتين:

الأولى: تعديل السلوك بما ينسف مع روح انتظار الفرج، حيث لا يسع المنتظِر للإمام المهدي عليه السلام والمترقّب للفرج إلا المداومة في تعديل السلوك وتصحيح الأعمال وتطبيقها على ضوء الشريعة الإسلامية تحسباً لظهور القائم عجل الله فرجه، وذلك بإتباع الآتي:

1. أن يجعل من نفسه شخصية إسلامية واعية، وذلك بتعميق الوعي العقائدي، والالتزام بالسلوك الإسلامي الصحيح.

1. صحيح مسلم ج 4، ص 1796.

2. تهيئة النفس وترينها على التضحية والبذل والجهاد في سبيل الله والممارسة الفعلية للعطاء والتضحية عن طريق:

أ) تغذية النفس بالثقافة الدينية الواعية، التي تحث الإنسان وتجند كل مشاعره وأحاسيسه باتجاه البذل والتضحية والعطاء، كالقرآن الكريم ونهج البلاغة، وأحاديث أهل البيت عليه السلام، وتعاليهم.

ب) الممارسة الفعلية للعطاء والتضحية في سبيل الله حسب الإمكانات والظروف بالتبرع بالمال للمحرومين والمساهمة في الأعمال والنشاطات الخيرية والدفاع عن قضايا الحق والعدل في المجتمع والاهتمام بشؤون الأمة.

3. القيام بدور التمهيد لظهوره عليه السلام وذلك ببث الوعي الإسلامي الصحيح على أوسع نطاق في العالم.

وهذا هو المعنى الحقيقي الإيجابي للانتظار.. وهنا يتجلى الدليل في تأكيد الأخبار على أن: (أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج)[1].

وطالما أن قضية الانتظار ترتبط بالفكر والعقيدة المهدوية، فإنه يمكن النظر إلى هذا المفهوم من ثلاثة آثار وهي:

1. الأثر المعرفي: ويعني ثقافة الانتظار وأحكامها، ومعتقدات المنتظرين وأفكارهم وما لديهم من أدلة وبراهين لتأييد عقيدة المهدي المنتظر، واستشراف حوادث المستقبل وأخذ الموقف الشرعي تجاهها.

2. الأثر الوجداني: ويتمثل في المشاعر السيكولوجية المؤثرة سلباً وإيجاباً في المنتظرين للمهدي الموعود عليه السلام ويشمل كافة الاستعدادات النفسية والذهنية وقبول تحديات ومشاكل عصر الغيبة.

3. الأثر السلوكي: توجيه الإنسان المنتظر.. سلوكياً وأخلاقياً نحو تطبيق مناهج الإسلام المختلفة في الحياة، وممارسة المنتظرين للأحكام الإسلامية والأعمال العبادية حسب الفكر والعقيدة المهدوية في عصر الغيبة.

الثانية: الدعاء بتعجيل الفرج، الدعاء من الوسائل العظيمة والحبال المتينة وهو من دلائل المحبة و وسيلة حيّة وفاعلة للتعبير عن هموم المنتظرين وآمالهم، لما له من إسهام في تهيئة الظرف المؤهّل لاستقبال الإمام عجل الله فرجه، وهو دليل صدق للإيمان بالعقيدة المهدوية والإيحاء بها مما يؤدي إلى تركيزها في نفس المؤمن المنتظر.. فالدعاء بتعجيل فرج الإمام عجل الله فرجه يشعر المؤمن أنه يعيش ذكر إمامه الغائب، فيعمر قلبه دائماً بالشوق والحنين إليه عليه السلام.

قال زرارة بن أعين للإمام الصادق عليه السلام: جعلت فداك فإن أدركت ذلك الزمان فأي شيء أعمل قال: يا زرارة إن أدركت ذلك الزمان فأدم هذا الدعاء: (اللهم عرّفني نفسك، فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهّم عرّفني رسولك فإنّك إن لم

1. البحار: 326/78

تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللهّم عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعّرفني حجّتك ضللت عن ديني)[1].

أما كيفية الدعاء بتعجيل الفرج فله صور وأشكال عديدة منها:-

1. أن يسأل الله تعالى تعجيل فرج آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.
2. أن يسأل الله تهيئة الأسباب التي توجب تعجيل الفرج.
3. أن يسأل الله رفع ما يمنع من ظهوره عليه السلام.
4. أن يطلب من الله تعالى هلاك أعدائه.
5. أن يسأل الله بسط العدل والقسط في مشارق الأرض ومغاربها.
6. أن يسأل الله أن يجعل أجر عباداته وأعماله التعجيل في فرج الإمام المهدي عليه السلام، إلى غير ذلك من صور الدعاء التي يجريها الله تعالى على لسان المنتظر الحقيقي إذا ما أخلص هدفه لله.

ويمكن ملاحظة أهمية التأهيل في حياة المنتظر من خلال التأمل في دعاء العهد[2] المأثور والمروي عن الإمام الصادق (ع) والذي يواظب عليه المنتظر بعد صلاة الفجر من كل يوم حيث يؤكد هذا الدعاء على:

1) البيعة للإمام و الاعتقاد بأنه (عج) هو من يقود البشرية لاجتثاث جذور الظلم والجور والطغيان عنهم، وهو من يملأ الأرض قسطا وعدلا.

(اللهُمَّ إِنِّي أُجَدِّدُ لَهُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِي هَذَا وَمَا عِشْتُ مِنْ أَيَّامِي عَهْداً وَعَقْداً وَبَيْعَةً لَهُ فِي عُنُقِي لا أَحُولُ عَنْهَا وَلا أَزُولُ أَبَداً)

2) نصرة الإمام والاستعداد النفسي للتفاني في أهدافه (عج) والتضحية بالغالي والنفيس في سبيلها.

(اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ وَالذَّابِّينَ عَنْهُ وَالْمُسَارِعِينَ إِلَيْهِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَالْمُحَامِينَ عَنْهُ وَالسَّابِقِينَ إِلَى إِرَادَتِهِ وَالْمُسْتَشْهَدِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ)

ولا يقتصر ذلك في حال الحياة بل يحمله معه بعدها، بالطلب من الله العودة إلى دار الدنيا للحضوة بشرف النصرة.

(اللهُمَّ إِنْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْمَوْتُ الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَى عِبَادِكَ حَتْماً فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِي مُؤْتَزِراً كَفَنِي شَاهِراً سَيْفِي مُجَرِّداً قَنَاتِي مُلَبِّياً دَعْوَةَ الدَّاعِي فِي الْحَاضِرِ وَالْبَادِي)

3) الالتزام الكامل بمنهج الإمام (عج) وهذا يعني انسلاخ السلوك بما ينسجم مع منهج الدين الحنيف، وحينها يكون مؤهلا للدخول في عملية الإصلاح الكبرى تحت راية الإمام.

(اللهُمَّ أَرِنِي الطَّلْعَةَ الرَّشِيدَةَ وَالْغُرَّةَ الْحَمِيدَةَ وَاكْحُلْ نَاظِرِي بِنَظْرَةٍ مِنِّي إِلَيْهِ

1. كمال الدين ص322
2. مفاتيح الجنان

وَعَجِّلْ فَرَجَهُ وَسَهِّلْ مَخْرَجَهُ وَأَوْسِعْ مَنْهَجَهُ وَاسْلُكْ بِي مَحَجَّتَهُ فَأَنْفِذْ أَمْرَهُ وَاشْدُدْ أَزْرَهُ)

المؤسسات الثقافية و التربوية الممهّدة والإعداد للظهور

لا يخفى على ذي لبٍ تزايد الضرورة لتفعيل المؤسسات الثقافية في المجتمع لخدمة القضية المهدوية عن طريق تكوين جيلٍ واعٍ يتفاعل مع هذه القضية كما أنها قضيته الخاصة وشغله الشاغل، وإذا تخطينا دور الحوزات العلمية الفاعل في هذا المجال فإننا نجد الكثير من المؤسسات الثقافية يمكن أن يعقد عليها الأمل لتساند الحوزات العلمية في هذا المضمار ومنها:

الإعلام الإسلامي

1. بحيث يخرج من دوره المعتاد في الترويج للإسلام كمعتقد وعبادات ومعاملات إلى التعريف بالنهضة المهدوية وإقناع المتلقي الواعي أو غير المتعلم أو المخالف عقائديا أو المشكك الجاهل بظهور المصلح العالمي الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف).
2. توظيف التقنيات الحديثة للإعلام المرئي والمسموع كالفضائيات والإذاعات لتطوير الخطاب الإعلامي الإسلامي المهدوي.
3. بالإضافة للمطبوعات من مجلات وصحف وإصدارات إسلامية والحث على الاستفادة القصوى من الانترنيت كوسيلة متقدمة بالنخاط

الفن والفنون

إن أفضل وسيلة لنشر ثقافة التمهيد هو الفنون بكل إشكالها لأن الفن وسيلة محببة إلى النفوس و وسيلة تعبير عالمية تعبر الأفاق والقارات بسهولة خصوصا بعد هذا التطور الهائل في وسائل الاتصال لذا فينوجب على المهتمين في هذا المجال طرح القضية المهدوية من خلال الفنون في الجوانب التالية:

1. كأمل منشود لكل المستضعفين والمظلومين والمحرومين المنتظرين.
2. كمنقذ موجود لإنقاذ القيم ونشر الفضائل التي تحتضر في عالم يسيطر عليه السباع المتوحشين في صورة بشر.

كوعد موعود من قبل الله تعالى ووعد الله تعالى لا يخلف، فهو حتم لازم للإنسانية المعذبة تحت شعار الأنبياء وهو: بغض الظلم ومناهضة الظالمين أيا كانوا بما فيهم النفس، وسعي دائم لإبراز الفضائل والسجايا الإنسانية الحسنة.

الحوزات العلمية: تحتل الدور البارز في عملية التربية الممهدة من خلال المسؤولية التي يجب أن يتحملها العلماء والدعاة إلى الله ويمكن إجمال دور الحوزات في النقاط التالية:

1) زرع الإيمان في قلوب المؤمنين بفكرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

2) بث البرامج العلمية المناسبة لتهيئة الأرضية للصالحين, وذلك برسم الطريق الفقهي –إضافة إلى العقائدي- المطلوب من المكلف بمعنى أن بقاء شريعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم -بمعنى التكاليف- هو من أهم ما يمهد للظهور, وحفظ الشريعة هو الدور البارز للحوزة من خلال ما كتب من أحاديث أهل البيت عليهم السلام في بحوث علمائنا ومواصلة خط حفظ الكتب الحديثية.

3) تأسيس المراكز المختصة بقضية الإمام المهدي عليه السلام.

4) رفد الفكر الثقافي والخطابي بالأفكار المهمة الممهدة للظهور.

5) الوقوف ضد مدعي المهدوية زوراً وكشف ألاعيبهم والإجابة على الشبهات الواردة حوله.

هذا وكل ذلك يمكن تطبيقه على كل مؤسسة تربوية في المجتمع ابتداءً بأصغرها وهي الأسرة وتعميمها في المساجد والأندية والمدارس والجامعات.

التحديات, والعقبات, والأضرار في التربية الممهّدة والمعدّة للظهور:

لا يخلو أي مشروع ناجح من عقبات وبقدر ما ترتفع أهمية ذلك المشروع تزداد العقبات والأخطار المحدقة به ولا شك أن عملية تطهير الأرض و تحقيق العدل على وجه الأرض هو أعظم وأكبر مشروع بشري وسماوي على الإطلاق لذا فحريّ بنا أن نشير إلى أبرز العقبات والتحديات سواء على الصعيدين الإسلامي والغير إسلامي:

الإعلام اليهودي والوهابي ضد القضية المهدوية:

أكّد الرسول (ص) وأهل البيت(ع) على دور اليهود في آخر الزمان وهذا أحد معاني الإعجاز الغيبي ودليل على عظمة النبي وصدق قوله إذ هو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ونحن نشاهد في عصرنا, تغلغل الفكر اليهودي في مجتمعاتنا والذي نلمسه ونرى صوره يوميا من فضائيات تنشر التعري والفجور إلى حركات هدامة وصناعة الأفلام المسيئة للإسلام والتي تمس أصل العقيدة الإسلامية, هذا غير الكتابات الساخرة ضد الدين.

أمّا اليد الوهابية فقد أساءت للدين من خلال محاولاتهم الجادة في تشويه صورة الإسلام أمام العالم أجمع, وبيان هذا الدين على انه دين عنصري متعصب يستغل المرأة ويسخر من الآخرين ويستغلهم.

كما ساهم هذا الفكر في الإساءة للدين عن طريق تكفير المسلمين الشيعة لا لشيء سوى لكونهم من أتباع أهل البيت ويصدرون في سبيل ذلك الفتاوى التي تبيح سفك دماء الشيعة وهدم قبور أئمتهم عليهم السلام.

ادّعاء المهدوية والسفارة:

و خطورة هذه الظاهرة تكمن في انحراف أبناء المجتمع المسلم عن العقيدة الحقة وهذا يعني الهلاك الحتمي لهم واستحقاقهم لسخط الله وعقوبته (سبحانه وتعالى). فإن الانحراف في المعتقدات المهدوية يعني الانحراف أصل الإمامة وخروج المؤمن عن طاعة إمام زمانه، بل إنا أخطأ في تشخيص الإمام الحق فاتبع أئمة الظلم والجور فإنه سيكون مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[1]

ويمكن تلخيص أهم العوامل المؤدية إلى ظهور هذه المشكلة بما يلي:

1) ضبابية وغموض القضية المهدوية لأسباب أهمها:

تعلق القضية المهدوية بالأمور الغيبية أكثر من تعلقها بالأمور المشهودة المحسوسة و اشتمال الآيات والروايات المتعلقة بقضية الإمام المهدي عليه السلام على المحكم والمتشابه والمجمل والبين إضافة إلى غموض بعض مفردات ومفاهيم القضية المهدوية كمفردة الانتظار وعدم التفريق بين الانتظار السلبي والانتظار الايجابي، ومفهوم الغيبة ومعناها والحكمة منها، ومفهوم أن الأرض لا بد أن تملأ ظلما وجورا قبل ظهوره عليه السلام وغيرها من المفردات والمفاهيم التي بقي الظلام يملأها حتى سيء فهمها وتسببت هي الأخرى في غموض العقيدة المهدوية.

كما أن من أهم العوامل بقاء دعاة الحق ولفترات زمنية طويلة تحت سلطة أنظمة وحكومات تحارب وتمنع التثقيف والدعوة لقضية الإمام المهدي وتعرض المتصدي لها لأشد أنواع العقوبات والمطاردة وهذا العامل قيد المبلغين بشكل كبير من إثارة الطريق تجاه هذه القضية.

2) تصدت لهذه القضية من الطرف المعادي عقول ذات أهداف هدامة قامت بتشويه الصورة الجميلة لها وإظهارها بمظهر بعيد كل البعد عن الحقيقة. كما في كتابات ابن بطوطة و ياقوت الحموي.

3) إنكار بعض الطوائف لنفس أصل الإمامة وذلك لإنكارهم حق الإمام علي بالإمامة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجرّهم ذلك إلى إنكار كل الأئمة بعده وإنكار إمامه الإمام المهدي عليه السلام و حتى لو آمنوا بأن هناك مهدي سيظهر، لكنهم لا يعترفون بأنه المهدي بن الحسن العسكري عليهم السلام فهذا ما لا ترضاه نفوسهم ويأباه تعصبهم.

4) تطور وتقدم المؤسسات والمراكز الثقافية والإعلامية المعادية والتي تثير الشبهات والطعن بقضية الإمام المهدي عليه السلام، وذلك للتفوق الكبير في إمكاناتهم الاقتصادية والفكرية.

---

1. الاقتصاد ص226 للشيخ الطوسي

توقيت الظهور

وردت عن أئمّة الهُدى عليهم السّلام روايات كثيرة في المنع من التوقيت، فقد رُوي أنّ مهزم الأسديّ دخل على الإمام الصادق عليه السّلام فقال له: أخبرني جُعلتُ فداك، متى هذا الأمر الذي تنتظرونه، فقد طال؟! فقال عليه السّلام: يا مهزم! كَذِب الوَقّاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون، وإلينا يصيرون.[1]

ففي الآونة الأخيرة انتشرت ظاهرة على مستوى بعض الكتّاب تتمثل في تحديد وقت أو زمن أو تعيين العام الذي سيظهر فيه الإمام عجل الله فرجه، وهذا حتى إن دلّ على التلهّف إلى سرعة تحقق البشارة النبوية إلا أنّ ذلك يتعارض مع فلسفة الانتظار، ويؤدي إلى يأس وفنوط الأمة روي عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده، كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدوا وانتظروا هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة)[2].

الانشغال بعلامات الظهور وترك الأهم

أن تعامل البعض بخصوص الأخبار الغيبية، وبالأخص مع قضية الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، قد جاء لينذر بانحراف خطير في المجال العقائدي، فضلاً عن المجال العلمي، وذلك حينما اقتصر على زاوية واحدة منه، وهي تلك التي تشغل بال الناس، وتستأثر باهتمامات الأكثرية منهم، ألا وهي علامات ظهوره (عليه السلام) وما رافق ذلك من أخبار غيبية بما سيحدث في آخر الزمان.

وقد استنبطن ذلك إهمال سائر مفردات ومجالات التعامل مع هذه القضية حتى أصبحت في عالم النسيان، فلا تكاد تخطر على البال، ولا تمّر على الخاطر، رغم أنها هي الأهم والأكثر مساساً بحياتهم وبوجودهم، وعلى رأسها التعامل معه عليه السلام كقائد للمسيرة، ومهيمن على السلوك، والموقف، وموجّه لها.

وهكذا.. لم يعد الإمام المهدي بالنسبة للكثير هو ذلك الإمام الحاضر والناظر، الذي يعيش من أجل قضية، ويعمل ويضحّي، ويدعو إلى العمل والجهاد والتضحية من أجلها وفي سبيلها.

كما أننا لم نعد نحمل هُمومه كما يحمل هو هُمومنا، ولا نشعر معه كما يشعر هو معنا، ولا نرقب حركتنا معه كما يرقب هو حركتنا، ولا نتوقع منه، ولا نريد أن يتوقع منا أي عمل إيجابي تجاه القضية الكبرى التي يعيشها، ويجاهد ويعاني في سبيلها وفي قضيتنا قضية الإسلام والإنسان، وهي القضية الأكثر أهمية وحساسية بالنسبة لنا، لأنها تمس وجودنا ومستقبلنا ومصيرنا في الصميم.

وطبيعي أن يترك هذا التعامل منا مع موضوع الإمام المهدي (عجل الله فرجه)

1. غيبة الطوسي ص 286
2. الغيبة للنعماني: 207

آثاره السلبية، والخطيرة على مجمل الحياة التي نعيشها لأنه يمثل انفصالاً حقيقياً عن القيادة، وعن القائد من جهة، ولأنه يضع المزيد من العقبات والمصاعب في طريق القائد نفسه.

سلوكيات خاطئة في طريقة الاحتفال بولادة الإمام المهدي (عليه السلام):

حيث يُلاحظ أن الوسائل والطرق تخرج عن حد الضوابط الشرعية كالتصفيق والرقص بإيقاعات وطرق غريبة لا تليق بقدسية هذه المناسبة، والغناء والطرب الذي يمارسه بعض الإفراد، كل هذا يحصل في مناسبة ولادة أمل الأمة وبقية الله في خلقه.

الحوزة المهدوية النسائية للعلوم الإسلامية و التربية المهدوية

إيماناً منها أنّ للمرأة في عصر التهيئة للظهور، نفس الدور الذي هو للرجل، وبنفس الحساسيّة، وبنفس التكليف، و أنّ المرأة تمثل النواة لكل المجتمعات، وأنّ صلاح المجتمع رهن صلاح المرأة حيث لا يكون نهوضها إلا من خلال فهمها وإدراكها بقضية السماء ودعوة الإمام (عج) فإن الحوزة المهدوية النسائية قد تميزت في مضمار التربية والتمهيد للظهور المقدس من خلال الخطة والمنهج المتميز الذي تتبناه الحوزة والذي جعلت من هدفه شعاراً لها (علمٌ و عمل تمهيداً للظهور).

لذا و بحكم الانتماء لهذا الصرح الممَّهّد وانطلاقاً من كونه أحد أكبر المشاريع الدينية الفاعلة في التربية الممهدة في مجتمعنا وذلك لما توليه هذه الحوزة من اهتمام عظيم بالتربية الروحية والسمو الأخلاقي عن طريق الحرص على تهذيب النفس وتحليتها بالأخلاق الفاضلة وتقوى الله والورع عن محارمه في عصر الغيبة،وجب أن ننوه لأهم الخصائص التي جعلت من هذه الحوزة صرحاً متميزاً في العملية التربوية الممهدة:

1. الاهتمام البالغ بالجانب الأخلاقي للطالبة المهدوية من خلال توقيع الميثاق الأخلاقي ضمن شروط الانضمام للحوزة.

2. التركيز على التغذية الروحية للطالبة المهدوية والرفد المستمر لها من خلال المحاضرات الأخلاقية القيمة التي تلقيها سماحة العالمة الفاضلة السيدة أم مهدي الموسوي في المواسم المختلفة.

3. العناية الخاصة بدروس الأخلاق والحرص على ترجمتها عملياً من خلال الجداول الأخلاقية التي تشرف عليها سماحة السيدة الفاضلة وتؤكد عليها أساتذة الأخلاق المتميزات والأكفاء في هذا الجانب.

4. إضافة درس العرفان العملي كدرس تكميلي للمنهج الدراسي الحوزوي، ومن خلاله تسعى السيدة الفاضلة للسمو الروحي بطالباتها المهدويات وتمهيد سُبُل السير والسلوك للراغبات عن طريق دعمهن بالوصايا الخاصة وبالأربعينيات التي تقام طوال العام بما يناسب متطلبات المرحلة، كل ذلك سعياً من سماحتها لخلق جيل

مؤمن واعٍ جدير بأن يحمل شعار التمهيد للظهور المقدس ويتحمل المسؤولية الملقاة إليه في هذا المجال.

5. هذا بالإضافة إلى الحرص على ربط الطالبة بالقضية المهدوية وجعلها حاملةً لهمّ الغيبة ولأمل الظهور من خلال الأجواء الخاصة التي توفرها الحوزة من قبيل افتتاح كل درس وختمه بدعاء الفرج للإمام عجل الله فرجه الشريف،واتخاذ التمهيد شعاراً مباركاً للحوزة (علمٌ وعمل تمهيداً للظهور).

6. حرص الحوزة على الوصول بالطالبة المهدوية إلى أعلى المستويات العلمية والثقافية في كافة العلوم الحوزوية من خلال المناهج الدراسية المقننة والمركّزة والتي تسهم كثيراً في النمو الفكري والعقائدي وزيادة القدرة العقلية لطالبة العلم.

7. كل ذلك بالإضافة لحرص إدارة الحوزة على مواكبة الطالبة للتطورات التقنية للوصول بها لأفضل المستويات على الصعيد الفني والتقني العام والإلمام بمجالات استخدام الحاسب الآلي والشبكة العنكبوتية عن طريق إدخال دروس الحاسب في نظام الخطة الدراسية وتطبيق الامتحانات الالكترونية في الآونة الأخيرة وذلك لتقوية أساليب استخدام التقنية الحديثة عند الطالبة المهدوية لتواكب بذلك متطلبات العصر.

الخلاصة

حاولنا في هذا البحث المتواضع تسليط الضوء على أهمية التربية الممهدة للظهور المقدس وأهدافها انطلاقاً من أنّ عملية الإصلاح العالمي هي عملية تفاعلية تقوم بين طرفين هما القائد والأمة وحيث أن الأمة مصدر النقص والخطأ، والقائد هو مصدر الكمال والعصمة ووواسطة الفيض فإنه لا بد لهذا القائد العظيم والمخلّص العالمي أن يكون له الدور الأكبر في الأخذ بيد أبناء الأمة نحو ما فيه صلاحها واستقامة أمرها وتأهيلها لأن تكون ظرفاً صالحاً وبيئةً نموذجيةً لدولة الحق العالمية.

وبالمقابل فإنه لا بد للمؤمنين في عصر الغيبة أن يتفاعلوا مع قائدهم الغائب عن طريق إصلاح ذواتهم وتهيئة أرضياتهم عن طريق عملية التزكية النفسية بدءً بأنفسهم و انتهاءً بأبناء مجتمعهم وأجيالهم اللاحقة وذلك بتوجيه عملية التربية الإسلامية على المستوى الفردي والاجتماعي نحو التمهيد لظهوره الشريف وذلك عن طريق تفعيل المؤسسات الثقافية والتقنيات الحديثة وترشيد محتوى المناهج التربوية والتعليمية بما يتناسب مع هذه الغاية الكبرى, كما أجملنا أهم تحديات التمهيد على الصعيدين الإسلامي و الغير إسلامي بغية أن يكون المنتظر يقظاً تجاه ما يثار في الساحة.

وختمنا البحث بالوقوف عند محطة لها ثقلها الكبير وفاعليتها المرجوة في التربية الإسلامية الممهدة في المنطقة ألا وهي الحوزة المهدوية النسائية للعلوم الإسلامية حيث أخذت هذه المؤسسة على عاتقها مسؤولية عظيمة تجاه هذا

الدور الحساس وامتدت فروعها في مختلف مناطق الجزيرة العربية لتُلقي ثمارها في غدٍ مشرقٍ قريبٍ إن شاء الله بظهور القائد المرتقب رافع راية الحق الإمام المهدي المنتظر أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

المجتمعات الإسلامية والتمهيد والإعداد للظهور

طاهر كوليبالي

فوضع التربية

أ _ التربية

كما نعلم أن التربية على عدة أنواع !, فنحن بصدد تربية شعب المسلم من المهد إلى اللحد, وذلك بتثقيفه بالثقافة الإسلامية الأصيلة: وتلبية لهذه الحاجة التربوية الماسة, فعلينا بفهم دستورنا بشكل دقيق؛ كما يقول الشيخ الإشراق السهر وردي:" وعليك بقراءة القرءان مع وجد وطرب وفكر لطيف, وأقرأ القرءان كأنه ماأنزل إلا في شأنك فقط ".

ب _ التعليم

وأما التعليم فهو أول عمل قام به جد الإمام المهدي (عج), ولا يتحقق ذلك إلا بالحكمة: كما يقول: ملا صدرا الشيرازي في كتابه " أسرارالأيات": رأس السعادات والحسنات هو اكتساب الحكمة الحقة ", العلم بالله وصفاته وأفعاله وملكه وملكوته, والعلم باليوم الآخر ومنازله ومقاماته من البعث والحشر والكتاب والميزان والحساب والجنة والنار, وهي الإيمان الحقيقي والخير الكثير والفضل العظيم المشار إليه في قوله تعالى:" ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ". صدق الله العلي العظيم.

انطلاقا من هذه الحقيقة القرءانية, تكون التربية والتعليم الناجح في الأسرة وفي المجتمع, وفي المجتمع الإسلامي وغيره في العصر الراهن, لأن فاقد الشيء لايؤتي.

المعلم أو المربي, عليه أن يكون مثالا وقدوة, كما كان جد الإمام المهدي(عج). القول أوالطلب مقترن بالعمل, والعكس غير صحيح. كما يقول الله سبحانه وتعالى:" لما تقولون ما لا تفعلون, كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ".

إن كل مجتمعات الناجحة من الفرد ثم الأسرة فصاعدا؛ من منطلق صحيح أي: من العلم والتعلم, ولذا, نرى الأنبياء والرسل, كانوا أساتذة الأمم.

لتمهيد والإعداد للظهور, على عاتق كل عالم ديني, وعليه أن يبتعد عن التعصب والعصبية بكل أنواعه:

1. التعصب الديني.
2. التعصب الفكري.
3. التعصب الطبقي.
4. التعصب القومي. ليواجه الحق،

وأقوى أشكال التعصب هو التعصب المذهبي داخل الديانة الواحدة... وعليه أيضا أن يعلم الناس فضائل الأئمة(ع) لأنهم لا ينفكون عن النبي (ص) وهو جدهم.

وعلى كل مذاهب وطرف الإسلامية أن يعلم أن لهم عدو واحد، وهو الغرب، أي: النصارى واليهود.

وكما أن كلنا نؤمن بعالمية الإسلام، كذلك لا يحق لأية دولة إسلامية أن تقول: " لايضركم إعوجاج دولة إذا اهتديتم !، لأن الإسلام هو الطريق الوحيد للنجاح والسعادة في الدارين.

وعدونا لن يرضى عنا أبدا حتى نتبع ملته، ويسعى إطفاء نور الله بفمه من خلال وضع سياسة التجزئة بين المسلمين، وخلق المشكلات الحدودية والاقتصادية والاجتماعية وحتى المذهبية... مما يجعل إنسان المسلم لا يهتم بالعلم والتحقيق بل بطقوس.

فهذه، مخطط الغرب ضد الإسلام والمسلمين منذ زمن طويل.

لكي نكون على استعداد تام وتمهيد للظهور، فعلينا أن نضع في عين الاعتبار، ما يلي:

1. توفر وسائل الاتصال والإعلام الحديثة...
2. القضاء على عوامل التفرقة وآفة الطائفية والمذهبية...
3. إنشاء صندوق إسلامي في كل بلد مسلم لتمويل مشاريعنا...

هذا، ووزعنا البحث على أربعة فصول، والخاتمة.

_ الفصل الأول: المراهقة ومظاهرها العامة.
_ الفصل الثاني: النمو العقلي عند الإنسان.
_ الفصل الثالث: النمو الديني والاجتماعي والأخلاقي.
_ الفصل الرابع: حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر(عج).
_ والخاتمة.

وفي جميع الفصول، راعينا الاختلاف والتباين في الفهم والإدراك والتلقي للقراء، متجنبين المصطلحات الغامضة، لتعم الفائدة الأخوية منه، لتكوين قويم وصالح لكي يؤدي إنسان مسلم مسؤولينه تجاه الإمام المهدي (عج) في حياته الإنسانية.

الفصل الأول: المراهقة و مظاهرها العامة

الولد سيد سبع سنين وعبد سبع سنين ووزير سبع سنين

المراهقة هي مرحلة الانتقال من الطفولة إلى سن الرشد؛ وهي تبدأ مع بداية

البلوغ وتنتهي في سن الرشد، وتختلف بداية المراهقة ونهايتها من حضارة لأخرى ومن جنس لأخر ومن فرد لأخر، وكذلك أيضا تتميز بتغيرات بيولوجية ونفسية واجتماعية تدريجية وسريعة.

ويرون علماء النفس والتربية أن مرحلة المراهقة مرحلة التوتر والقلق والاضطراب، وأن الأزمة التي يعيشها المراهقون في مرحلتنا الراهنة هي جزء من الأزمة العامة التي يعيشها المجتمع، ولذا، على الوالدين والمربين والمعنيين بشؤون التربية والتعليم عناية إضافية واستثنائية لأجل إخراج من هذه الأزمة التربوية والتعليمية التي فرضت علينا اليوم.

معنى المراهقة

تعني المراهقة لغويا الاقتراب والدنو من الحلم، والمراهقة بهذا المعنى هو الفتى الذي يدنو من الحلم.

يقال: راهق الغلام فهو مراهق إذا قارب الاحتلام.

ويقال: جارية راهق وغلام راهق.

وفي فقه اللغة: إذا كاد يبلغ الحلم أوبلغه، فهو يافع ومراهق، فإذا احتلم واجتمعت قوته، فهوحزور[1]

Adolescence وتقابل كلمة المراهقة بالفرنسية:

مرحلة من النمو العضوي والنفسي، متوسطة بين مرحلتي البلوغ والرشد

وعلى هذا ن تقع المراهقة ما بين نهاية الطفولة المتأخرة وبداية مرحلة الرشد، وبذلك فالمراهقة لم يعد طفلا وليس راشدا بعد، وإنما يقع ضمن المرحلة المتداخلة بين مرحلتي الطفولة والرشد.

بداية ونهاية المراهقة:

كلنا نعلم أن الدراسات والتجارب الحديثة ثبتت وأكدت بأن حياة الإنسان وحدة واحدة، لايمكن فصل مرحلة منها عن مرحلة الأخرى، فهي جزء لا يتجزأ من مسيرة النمو الشامل المتكامل للإنسان، فكل مرحلة ترتبط بسابقتها وتتصل بما يليها، ولذا، يصعب التمييز بين بداية مرحلة ونهاية أخرى، ومع ذلك هناك بعض الأرقام التقريبية التي تصلح لأن تكون مقياسا قريبا للثبات تدور حوله بقية التحديدات السابقة.

بالنسبة لبداية المراهقة، الروايات تقول لنا، إنها تبدأ من السنة الرابعة عشر أو الخامسة عشرمن العمر وتنتهي في الواحدة والعشرين من العمر وهي سنة سن الشد؛ حيث يقول الرسول الأكرم (ص):" الولد سيد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين "[2]

ويقول الإمام علي (ع): " يرخى الصبي سبعا ويؤدب سبعا ويستخدم سبعا "[3]

1. فقه اللغة: 125
2. الإسلام وعلم النفس:88
3. مكارم الأخلاق:222

والإمام جعفر الصادق (ع) يقول: " دع ابنك يلعب سبع سنين ويؤدب سبعا وألزمه نفسك سبع سنين؛ فإن فلح وإلا فلا خيرفيه "[1]

وعلماء النفس عندهم تحديد دون ما ذكرناه.

بعض علامات الرشد:

_ نمو الوعي الذاتي لديه وإدراك التغيرات الحاصلة في المجالين الجسدي والجنسي.

_ الاعتماد المبكر على النفس.

_ اكتساب ثقة المحيطين به من الراشدين.

_ إن الإحساس بالرشد ينكون عندما يعامله الراشدون على أنه رفيق وندلهم.

_ التشابه بينه وبين الكبار في مجال أوأكثر من مجالات النمو: المعارف، المهارات، القوة البدنية، قوة الاحتمال، وهذا يؤدي إلى تغيير مكانته في عالم الكبار.

_ حسن تعامل الأسرة، فالآباء والأمهات الذين يفسحون المجال في الأسرة للأطفال كي يمارسوا نشاطاتهم الفطرية.

_ الذكاء، له دور فعال في بلوغ سن الرشد؛ حيث يستطيع المراهق إدراك دوره في الحياة، والتمييز بين الواقع والأحداث، والقدرة على اتخاذ القرار والموقف الصائب وتشخيص المصالح والمفاسد.

بعض عوامل وأسباب أزمة المراهقة:

عن رسول الله (ص) غير تامة السند تنص على أن " الشباب شعبة من الجنون..."[2].

والجنون هنا عبارة عن التواتر والقلق الناجم من عدم التوازن بين الطاقات الذاتية والحاجات الأساسية من جانب وبين الواقع الاجتماعي الذي يحيط بالمراهق في بداية مراهقته من جانب آخر.[3]

وبهذا الصدد، يقول البعض: إن المراهق يجرب كل إمكانياته وقدراته، ولكن بدون تخطيط محكم !، فمثله كمثل عازف على بيانو يحاول وضع كل أصابعه على كل مفاتيح البيانو، مما يجعل اللحن أقرب إلى الضجيج منه إلى الموسيقى " وبالتدرج ومع النضج، يبدأ في إختيارالنغمة الصحيحة والوضع الصحيح.

وجاء في كتاب مرحلة المراهقة، أن عوامل وأسباب الأزمة تنشأ من:

_ عدم فهم وإدراك التغيرات الجسمية والفسيولوجية، وعدم الحصول على جواب شاف عن تساؤلاته، الحصول على أجوبة خاطئة تولد له القلق والاضطراب أو تزيدها.

_ ظهور طائفة من الدوافع والحاجات الجديدة، تسبب له الكثير من الحيرة لأنه لايفهمها حق الفهم من جهة، وتحركه للإشباع من جهة أخرى.

_ قلة خبرة المراهق في تجنب المتاعب والمصاعب التي تنجم عن إرضاء هذه

1. مكارم الأخلاق:222
2. فردوس الاخبار ج2 ص 525
3. علم النفس الاسلامي: 49

الدوافع والحاجات أو الاستسلام لها من جانب، أو عدم إرضائها من جانب آخر، وهو بحاجة إلى تعلم خبرات جديدة تخالف خبرات القديمة أو تدفعه للتخلي عنها.

_ عدم القدرة على ملك زمام النفس كما ينبغي لقلة الخبرة في الحياة بجميع أطوارها.

_ عدم الحصول على الإرشاد والتوجيه المناسبين للمرحلة التي يعيش فيها.

_ سوء التربية والتنشئة الاجتماعية.

_ سوء التعامل معه من قبل الراشدين وخصوصا الوالدين، وعدم التوازن في العلاقة معه.

_ أفكاره الخاطئة عن نفسه وعن الكون وعن الحياة.

_ التناقض في سيرته بين الطفولة والرشد.

_ التخوف من عدم قبوله في مجتمع الراشدين.

_ التناقض بين قدراته والواقع الذي يعيشه.

وجميع هذه العوامل والأسباب التي تولد المصاعب والمشاكل للمراهق، تعود في جوهرها إلى الواقع الاجتماعي الذي ينتمي إليه المراهقون.

فعلى كل المعنيين بتربية الأولاد أن يكونوا على علم تام بهذه الأسباب، لكي يسهل لهم تربية واقعية وموفقة؛ وإلا، فالولد ينتهي إلى التمرد أو العدوان، أوالإنسحاب والانطواء والهرب المادي أو السيكولوجي أو ينهار أو ينحرف.

وهذا التمرد له صور وأشكال مختلفة:

فقد يكون سافرا صريحا كالتمرد على تقاليد الأسرة وقيمها وأخلاقياتها وعقيدتها والمهن التي ترضيها، أويبدو في شكل مخالفات صغيرة في الملبس أو تمضية أوقات الفراغ، وقد يحدث في الواقع أو في أحلام اليقظة، وهو لا يقف عند التمرد على الأسرة بل قد يتجاوزه إلى التمرد على المدرسة والمجتمع جميعا.

الفصل الثاني: النمو العقلي عند الإنسان

يقول رسول الله (ص): " العقل نور في القلب نفرق به بين الحق والباطل، وبالعقل عرف الحلال والحرام، وعرفت شرائع الإسلام ومواقع الأحكام، وجعله الله نورا في عباده يهديهم إلى هدى ويصدهم عن ردى "[1]

ويقول أيضا (ص): " العقل ثلاثة أجزاء، فمن تكن فيه فهو العاقل، ومن لم تكن فيه فلا عقل له: حسن المعرفة الله، وحسن الطاعة لله، وحسن الظن بالله[2]

ويقول الإمام علي (ع):

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع

1. العقد الفريد ج 2، ص:248

2. جامع الأخبار:520

كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع[1]

معنى العقل:

بعض تعريفات حول العقل عند علماء اللغة وفي الروايات وفي آراء الفلاسفة وكذلك عند بعض المتخصصين في حقول التربية وعلم النفس.

إنه سمي عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحسبه.

ويقال: إنه هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوانات. لذلك سمي الإنسان بحيوان ناطق !.

وعقل الشيء: فهمه[2].

والعقل نور، تدرك النفس به العلوم الضرورية والنظرية، فالأول هو العقل المطبوع والثاني هو العقل المسموع، كما يقول الإمام علي(ع).

العقل في رأي الفلاسفة:

العقل، جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها.

_ قوة الإصابة في الحكم، أي تمييز الحق من الباطل، والخير من الشر والحسن من القبيح.

_ قوة طبيعية للنفس متهيئة لتحصيل المعرفة العلمية، وهذه المعرفة غير المستندة إلى الوحي والإيمان.

_ الملكة التي يحصل بها للنفس علم مباشر بالحقائق المطلقة.

_ مجموع الوظائف النفسية المتعلقة بتحصيل المعرفة كالإدراك، والتداعي، والذاكرة، والتخيل، والحكم، والاستدلال[3]

_ مايميز به الحق من الباطل والصواب من الخطأ.

_ مبدأ الهوية، ومبدأ عدم التناقض، ومبدأ العلية.

_ العقل الهيولاني. وهو عقل الإنسان في طوره الأول، فهو مجرد استعداد لم يقبل إدراك، ولكنه يستطيع أن يحصل على الإدراكات.

وسمي بالهيولاني لشبا هته الهيولي الأولى في خلوها عن جميع الفعاليات.

_ العقل بالملكة، وهي المرتبة التي تعقل فيها الأمور البديهية من التصورات والتصديقات، كالكل أكبر من الجزء.

والعقل عند الجمهور على ثلاثة أوجه:

أ _ وقار الإنسان وهيئته، ويكون حده أنه هيئة محمودة للإنسان في كلامه واختياره وحركاته وسكناته.

ب _ ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، فيكون حده أنه معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها الأغراض والمصالح.

1. ديوان الإمام علي:92
2. لسان العرب ج 11، ص:458، 459
3. المعجم الفلسفي، لجميل صليبا ج 2، ص:88، 89

ج _ صحة الفطرة الأولى في الإنسان، فيكون حده أنه قوة تدرك صفات الأشياء من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها.

_ وعلميا للعقل أكثر من معنى نستطيع أنوجزها تحت العناوين التالية: 1 _ العقل الشرعي: وهو ما يميز به بين الحق والباطل، والصواب من الخطأ، والنافع من الضار.

وسميته شرعا لأنه هو الذي يعتبر شرطا في التكليف والخطابات الشرعية، وترتب الأحكام القانونية عليه في التشريعات الوضعية.

وهو الذي جاء في الحديث،...عن أبي جعفر الباقر (ع):" لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل فأبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقا هو أحب إلي منك، ولاأكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر، وإياك أعاقب، وإياك أثيب".

2_ العقل الفلسفي: أي المبادي العقلية (الفلسفية) التي يلتقي عندها العقلاء جميعا، وهي: مبدأ العلية، استحالة التناقض، واستحالة الدور، وكذلك استحالة التسلسل.

وسمي فلسفيا لأنه هو الذي يقول ببداهة وضرورة هذه المبادئ وهي مما يدرس ويؤكد عليه في الفلسفة، وعليه يقوم المنهج العقلي الذي يتخذ من الدرس الفلسفي مجالا له.

3 _ العقل الاجتماعي: هو ما اتفق عليه العقلاء في مختلف مجتمعاتهم وشتى أزمانهم وأماكنهم، كقبح الظلم، وحسن العدل، ووجوب ما لايتم الواجب إلا به، واقتضاء الأمر بالشيء النهي عن ضده، وهو ما يعرف في لغة أصول الفقه بسيرة العقلاء.

4 _ العقل الخلقي: وهو على قسمين عند الفلاسفة؛ أ _ النظري، وهو الذي يتجه إلى ما ينبغي أن يعلم، فينصب على الإدراك والمعرفة. ب _ العملي، وهو الذي يتجه إلى ما ينبغي أنعمل، فينصب على الأخلاق والسلوك.

_ إن أفلاطون وأرسطو وأمثالهم يرون الفرق بين العقل والفكر، والدليل هو أن العقل يستدل ويستنتج، وأما الفكر، يكشف عن أسباب الظواهر. والتمييز بينهما صعب ! لأن لاثمرة عملية لهذا الفرق.

_ والعقلي نسبة إلى العقل، والعقلاني نسبة إلى من يؤمن بحكم العقل، ويستدل على صحة العقائد.

ولنا، نرى أن الإمام علي(ع) يقول:" إن العقل ولادة والعلم إفادة ومجالسة العلماء زيادة"[1]

إن للنمو العقلي دور أساسي في تغيير جميع مظاهر النمو للشخصية، يدفعها نحو التكامل والارتفاع إلى مستوى الأمانة والمسؤولية التي خلق الإنسان من أجلها.

والنمو العقلي يجعل صاحبه مستبينا لطريقه عارفا بالعوامل والسنن المتحكمة بالكون والحياة والمجتمع؛ يميز بين الصواب والخطأ، فلا يختلط عليه شيء مهما

1. إرشاد القلوب:198

اختلطت العناوين والأسماء والصفات. ويجعل صاحبه متوجها نحو الكمال في جميع مظاهر النمو: الديني والانفعالي والاجتماعي والأخلاقي، ولهذا، نجد ملازمة واضحة بين جميع مظاهر النمو والنمو العقلي. وكما يقال:" إن الإنسان حيوان، و بما أنه ناطق، يستطيع التقدم والتطور عبر الفكر والروح والعقل، فيقترب بذلك من الله سبحانه وتعالى؛ ولعل ما يجعل الإنسان في هذه المنزلة من الاقتراب من الله هو العقل البشري الخلاق المبدع المفكر الذي يستطيع أن يبلغ بالتفكير تصور وجود الله".

ولذا، نرى أن الإمام الصادق(ع) يقول:" دعامة الإنسان العقل، ومن العقل الفطنة، والفهم، والحفظ، والعلم، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالما حافظا زكيا فطنا فهما، وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره"[1].

ويقول الإمام الكاظم(ع):" ماعبد الله بشيء أفضل من العقل...".[2]

وأخيرا، يقول رسول الأكرم(ص):" قوام المرء عقله ولادين لمن لا عقل له".[3]

وآخر ما نقوله حول التنمية العقلية للمراهقين هو: أنها ترشدهم إلى الاستقامة والصلاح لأنفسهم وللمجتمع، وتنهض بهم في بناء الحضارة والمدنية

الفصل الثالث: النمو الديني والاجتماعي والأخلاقي

التدين حاجة فطرية

يقول سيد الوجود(ص):" كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه".[4]

يقال إن الدين نشأ بسبب خوف الإنسان من الحوادث الطبيعية المخيفة بالعلل الطبيعية، أوانه من مختلفات الطبقات الاقتصادية المستغلة، فإن ذلك مجرد فرضيات لادليل على صحتها، بعد أن دل العقل والنقل على خلافها. هذا، يكذب تصريحات كارل ماكس عندما يقول:" إن الدين مخدر الشعب".

كما ثبت في العقل والنقل، أن التدين غريزة موضوعة في النفس الإنسانية، وهو حاجة فطرية في أسسها الكلية، فكل إنسان يفكر في مبدأ هذا الوجود ومعاده، ويتأمل في الكون والحياة والنفس الإنسانية. وهذا، يدل أن الدين رسالة للإنسان؛ تحرره من جميع ألوان الانحراف في فكره وعاطفته وسلوكه، وتحرره كذلك من ضلال الأوهام وظلمة الخرافات ومن عبادة الآلهة المصطنعة.

وعلى هذا الأساس، فإن الدين ثابت في مفاهيمه وقيمه لا يتبدل ولا يتغير تبعا للأهواء والأمزجة والمصالح الذاتية.

والتدين حقيقة إيجابية متحركة تبدأ بالقلب والضمير وتنتقل إلى المواقع، تبتدئ بالنوايا وتتحول إلى الممارسات؛ والتدين يزيد وينقص تبعا للإيمان، كما يقول رسول الله

1. بحار الأنوار ج1، ص:90
2. الكافي ج1، ص:19
3. روضة الواعظين:4
4. سنن الأوزاعي:30

(ص):" الإيمان يزيد وينقص"[1] وقال الإمام علي(ع):" إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء فإذا عمل العبد الصالحات نما وزاد حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا أتتهك الحرمات زادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه".[2] إما أن يتجذر ويصل إلى القمة وإما أن يبقى طافحا في السطح إلى أن أن يتلاشى، ويفقد تأثيره على الإنسان بجميع مقومات شخصية. والشك يفسد الدين كما يقول الإمام(ع)" الشك يفسد الدين" الشك يحبط الإيمان"، " صن إيمانك من الشك، فإن الشك يفسد الإيمان كما يفسد الملح العسل".[3]

ومن معوقات التدين:

1_ الشك.

2_ التباغض.

3_ مصاحبة ومجالسة أهل البدع والأهواء.

4_ الغضب والحسد.

5_ سوء الخلق.

6_ الطمع والحرص.

7_ عدم الحياء.

8_ انحرافات اللسان.

9_ عدم الصبر.

وخلاصة ماتقدم هو أن الإنحراف عن المنهج الإسلامي فكرا وعاطفة وسلوكا يؤدي إلى ضعف الإيمان والضعف النمو الديني.

وصفة المؤمن، كما ذكر لنا الإمام جعفر الصادق (ع):" صفة المؤمن: قوة في دين، قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحرص في فقه، ونشاط في هدى، وبر في إستقامة، وإغماض عند شهوة، وعلم في حلم، وشكر في رفق، وسخاء في حق، وقصد في غنى، وتجمل في فاقة، وعفو في قدرة، وطاعة في نصيحة، وورع في رغبة، وحرص في جهاد، وصلاة في شغل، وصبر في شدة، وفي الهزاهز وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، لايغتاب ولايتكبر ولايبغي، وإن بغي عليه صبر، ولايقطع الرحم وليس بواهن ولافظ ولاغليظ، ولايسبقه بصره، ولايفضحه بطنه، ولايغلبه فرجه، ولايحسد الناس، ولايفتر ولايبذر ولايسرف، بل يقتصد، ينصر المظلوم، ويرحم المساكين، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة، لايرغب في عز الدنيا، ولايجزع من ألمها، للناس هم قد أقبلوا عليه، وله هم قد شغله، لايرى في حلمه نقص، ولا في رأيه وهن، ولا في دينه ضياع، يرشد من إستشاره، ويساعد من

1. إحياء علوم الدين ج1، ص:120
2. المحجة البيضاء ج1، ص:277
3. تصنيف غرر الحكم: 71، 72

ساعده، ويكيع من الباطل والخنى والجهل، فهذه صفة المؤمن".[1]

انطلاقا من هذه الحقائق، نفهم أن الدين منهج حياة شامل لجوانب الشخصية والاجتماعية يوجه الإنسان والمجتمع ليوصله إلى القمة في السمو والارتقاء متعاليا على النظرات الضيقة للكون وللحياة وللمجتمع، ومنحصنا من الانزلاق وراء الراغبات والشهوات، ومن آثاره الأساسية هداية الإنسان بتغيير محتواه الداخلي ليصل إلى الكمال والتكامل.

الضرورة الاجتماعية

منذ أن خلق الله آدام (ع)، فظهرت ضرورة الإجتماعية فخلق حواء عليها السلام...

فالشارع الإسلامي لم يدع أمرا مهما بعيدا عن البحث والتفصيل والشرح لاستمرار مسيرة الحياة الاجتماعية وعدم حدوث فجوة أو فراغ ففهي في البحوث الإسلامية، بعدما وضع للإنسان منذ بداية خلقه إلى قبره كل ما هو بحاجة إليه في حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

إن تطور المجتمعات بحاجة إلى منهاج عمل أوبرنا مج تسير عليه، ولاسيما المجتمعات المعقدة التي تنوعت حياتها الاجتماعية وصار من الصعب عليها أن تحل مشاكلها بدون نظام دقيق يقومها نحو طريق الصواب.

فالإسلام بشارعه الجليل نظم للبشرية جمعاء حياتها وما يتعلق بها تنظيما دقيقا شاملا لكل ذرات الحياة بشكل هادئ سليم بالأخوة والمودة والسلامة القلبية والارتياح الضميري في كل جوانب من جوانبها؛ هذا، هو الإسلام بتطبيق منهاجه وتكميل أعماله.

يقول الله سبحانه وتعالى:" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا...".[2]

ففي بداية المراهقة تتسع العلاقات الاجتماعية، حيث يسعد المراهق بمشاركة الآخرين في أفكارهم ومشاعرهم وممارساتهم، باستثناء المراهق المنطوي الذي يقتصر على العلاقة المحدودة، وتبدأ العلاقة عن طريق الاتصال الشخصي بفرد من هنا وآخر، ومن هناك ثم تتوسع، وهذا الاتصال يساعد المراهق على تنمية أفكاره وتوسعة وجهات نظرة ويزيد معلوماته العامة حول الكون والحياة والمجتمع وحول نفسه، وتنمو في هذه المرحلة النزعة الاستقلالية، حيث ينتقل المراهق من الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على نفس؛ وإنه في نفس الوقت، هو بحاجة إلى الآخرين حاجة ضرورية لا يمكن الإ ستغناء عنها؛ ولذا، نرى أن الإمام جعفر الصادق (ع) يقول:" عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، إنه لابد لكم من الناس، إن أحدا لا يستغني عن الناس حياته، والناس لابد لبعضهم من

1. الخصال ج2، ص:571
2. الحجرات: 13

بعض".[1]

ولنا، نرى في وصية لقمان لإبنه، حينما يقول له:" يابني أكثر من الأصدقاء"[2]

وفي نفس الوقت يرشدنا سيد الكون إلى من نختاره لنا كصديق، حيث يقول(ص):" إياكم ومجالسة الموتى، قيل: يا رسول الله من الموتى؟ قال: كل غني أطغاه غناه".[3]

وبهذا الصدد، نرى أن التعاليم والإرشادات الدينية تدعو إلى مجالسة الصالحين فكرا وعاطفة وسلوكا، وتحذر من مجالسة الذين يخوضون في آيات الله، والجلوس في الطرقات، لتحصين المراهق من الانحراف والانزلاق نحو الرذيلة والتخلي عن الاستقامة الفكرية والسلوكية.

وسنكتفي بوصية الإمام علي(ع) لولده:" يابني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، وأكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لاتحب أن لا تظلك، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وأرض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل مالا تعلم وإن قل ما تعلم، ولا تقل مالا تحب أن يقال لك"[4]

وعلى كل من يرغب تربية ناجحة الاهتمام بهذه الإرشادات الدينية لكي يترعرع الطفل والمراهق في ظل التراحم والتناصح والشعور بالمسؤولية والقيام بأعبائها، وهي أفضل وأسهل إرشادات يتفاعل معها كل من يجد نفسه مسئولا عن إعداد الجيل الناشئ.

أهمية الأخلاق

ومن أقوال رسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه وآله:

1 _ " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"

2 _ " أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن"

3 _ " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"

إن الأخلاق: هي الغاية التي تتوخاها جميع الديانات والمذاهب الفكرية، فقد جاءت الأخلاق من أجل هداية الإنسان وتحريره من جميع ألوان الانحراف في فكره وسلوكه، وتحريره من الانسياق اللامحدود وراء الشهوات والمطامع؛ والإسلام يهتم بتغيير داخل الإنسان بتهيئة عقله وقلبه للتلقي والاستجابة لقواعد وأسس ومفاهيم النصوص، ليكون إنسان اجتماعي على وجه سليم.

فالإمام يقول(ع):

---

1. الكافي ج2، ص:635
2. الإختصاص، ص:338
3. تنبيه الخواطر ج2، ص:32
4. نهج البلاغة، ص:497

إن المكارم أخلاق مطهرة
فالدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها
والجود خامسها والفضل سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها
والشكر تاسعها واللين باقيها
والنفس تعلم أني لأصادقها
ولست أرشد إلا حين أعصيها[1]

بعض خصائص لتوجيه وإرشاد المراهقين: يقول الله سبحانه وتعالى: " يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين"[2]

كما اتضح من مختلف الدراسات والاستفتاءات التي أجريت بين المراهقين في مختلف البيئات والحضارات، أن التوجيه والإرشاد الذين يتطلع إليهما المراهقون، ينبغ أن ينطويا على خصائص، أميزها:

1 _ التوجيه الذي يسمح لهم بالتعبير عما يفكرون به وما يساعدهم على استخدام قدراتهم العقلية لحل ما يواجههم من مشكلات.

2 _ الموضوعية في التوجيه.

3 _ التفهم لطبيعة المراهقة وخصائصها البيولوجية والفسيولوجية والنفسية.

4 _ الابتعاد عن توجيه اللوم والانتقاد؛ فالمراهق يميل إلى سماع الثناء وهو أكثر تأثيرا عليه من التفريع.

5 _ الحزم في المواطن التي تتطلب مثل هذا الإجراء.

6 _ التعبير عن الشعور الخالص إزاء المراهقين الذين هم بحاجة إلى النصح والإرشاد.

7 _ إن الغاية من إرشاد المراقين هي مساعدتهم على أن يدركوا أنفسهم كأفراد لهم قدراتهم وقابليتهم التي يستطيعون تنميتها، وإن لهم أخطاءهم التي بوسعهم أن هم واجهوها، تصحيحها إن لهم مهامهم في الحياة، هم جديرون بتحقيقها؛ يجب أن يبصر جيدا لإدراك العلاقة بين ماهو فاعل الآن وبين ما يرغب أن يكون عليه، يجب إشعاره بأنه فرد يتمتع بعاطفة اعتبار الذات التي ينبغي أن تحترم.

8 _ ينبغي أن ينصب الاهتمام على ما يسمى بالإرشاد التطوري النشوي، وفيه يكون التأكيد على تنمية شخصية المراهق وتعريفه بقابليته.

9 _ انتهاج تقييم الذات وذلك بتبصير المراهق ما هو عليه من مواهب وبما يستطيع أن ينجزه وهذا كفيل برده إلى واقع ذاته.

---

1. ديوان الامام علي: 148
2. يونس: 57

10 _ انتهاج أسلوب المداولة وذلك بتعريف المراهق بنفسه عن طريق ما يتجمع لدى مدرسيه وإدارة مدرسته من معلومات عنه على ضوء ملاحظاتهم التي يدونونها عنه, وهي ملاحظات الغاية منها إصلاحه وتوجيهه إلى ما يمكن أن يصلح له من مهنة تلائمه.

11 _ إن من يتولى الإشراف على إرشاد المراهقين وتوجيههم يجب أن يكون ملما بطريقة توجيه الأسوياء منهم والموهوبين والمتخلفين عقليا, فلكل فئة أسلوب خاص في التوجيه يجب إتباعه.[1]

12 _ إن المراهق يرحب بالمعونة والاقتراحات والنصائح حين تصدر ممن يثق فيهم ويحترمهم, ويود أن يرى في والديه صديقا يلتمس مشورته ويبوح إليه بأسراره ومشاكله ويستمد منه العون في ساعات الضيق.[2]

الفصل الرابع: حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي(عج)

كان في علم الله سبحانه وتعالى في الأزل, إرسال منقذ الإنسانية من الأزمة والجهل والظلام والفتنة الدائمة التي يعيشها بنو آدم في آخر الزمان, فاختار يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل(570 المسيحي), ليكون ذلك بداية الرحمة والسعادة للعالم,[3] واختار له حفيده, وهو آخر الإمام ليقوم بوصل ما سبق, أي وعد إلهي الذي قال الله تعالى بصدده:" وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون"[4]

ومن البديهي أن الدين الذي يقوم بقيادة البشرية كلها حتى نهاية العالم, لا يمكنه عدم الاهتمام بامتداد هذه المهمة الإلهية. وهذا يقودنا إلى ضرورة تعيين الإمام, بقوله تعالى:" ياأيهاالرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس".[5]

وبعد تعيين الإمام علي (ع), إلى أن صار الدور إلى الإمام المهدي الذي ولد عند الفجر في النصف من الشعبان, سنة 255ه الموافق ب 869م؛ ومعرفة هذا الإمام الجليل, واجب على كل من يدعي أنه مسلم؛ وعلى كل المعلمين والمربين, تعليم الأولاد في المدارس الخاصة أو العامة, هذه المهمة الإسلامية التي تبدأ من الحضانة, تليها الابتدائية ثم التكميلية فالثانوية, وحتى على الدراسات العليا؛ بهذا نفتخر ونقول إننا بانتظار الإمام حقيقة !. وإلا فالمذهب هو إسلامنا و...

1. سايكولوجية الطفولة والراهقة:356, 357
2. أصول علم النفس:606
3. الوجودية المؤمنة: 20
4. النور: 55
5. المائدة: 67

وأخرج الترمذي...قال رسول الله(ص):" ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم حتى تضيق عليهم الأرض فيبعث الله رجلا من عترتي فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لاتدخر الأرض من بذرها شيئا إلا أخرجته ولا السماء شيئا من قطرها إلا صبته يعيش فيهم سبع سنين أوثمان أوتسع.

حاجة الأنام إلى الإمام

يصادف كل من إلمام في السير والتواريخ الإسلامية على أن جميع فرق الإسلام منذ صدر الإسلام حتى إلى يمنا هذا, باتفاق مجيء الإمام مهدي (عج) بعد الرسول (ص), وقبل قيام الساعة.

كما اتضح وثبت حاجة البشرية إلى الرسول والرسالة, وكذلك إلى الإمام بعد الرسول؛ أما النزاع القائم بين فرق الإسلامية, ففارغ, ولا دليل إلا العصبية كما ذكرناه في مقدمة هذا البحث المتواضع؛ أي: هو اتجاه نفسي جامد منحون انفعاليا, أو عقيدة أو حكم مسبق ضد جماعة أوشي أوموضوع؛ ولا يقوم على سند منطقي أبدا, أومعرفة كافية, أوحقيقة علمية؛ مع ذلك يحاول صاحبه تبرير ما هو عليه.

انطلاقا من هذه الحقائق, على كل من يدعي أنه مسلم أن يطرح العصبية جانبا ويكون صادقا مع نفسه ومع الله ليشعر بالسعادة الدارين.

التربية والتعليم لانتظار الإمام المهدي(عج).

والتربية الناجحة, لاتتحقق إلاأن يكون هناك استعدادا قبل وضع لبنة الأولى, أي على الأب الذي حصل على تربية جيدة, أن يقوم بمحاسبة نفسه...ثم يبحث على زوجة ذات الدين كما عبره الرسول الأكرم (ص). ثم يتابع حرف بحرف ما ذكرناه في كل الفصول الثلاثة, أي منذ أول الولادة إلى النمو الجسمي, والنمو العقلي, والنمو الديني, وكذلك النمو الاجتماعي والأخلاقي, وحتى الجنسي, كما جاء في كتب علم النفس الإسلامي.

نرى اليوم أن الفضل غالب على الفضيلة, والفضيلة الأخلاقية التي تحرس روح الإنسان من الهلاك قد تحطمت تحت الأقدام.

فالكذب, والحرص, والنفاق, والظلم, وحب الجاه, وسائر الرذائل الأخلاقية, التي يشكل كل واحد منها سدا في سبيل التكامل الإنساني وسعادته.

فالذين يرون بعض الأشخاص في أعلى سلم التقدم, كما أنهم بسطاء اعتادوا أن لايفكروا, فإنهم لايجدون سببا لذلك, إلا حظا أو صدفة. فالله أبى أن تجري الأمور إلا بأسبابها.

وللمثل, كما جاء في كتاب: دراسة في المشاكل الأخلاقية والنفسية في صفحة التاسعة" أن ألمانيا التي أمست بعد الرب العالمية حفنة رماد نجدها وقد أصبحت اليوم إحدى الدول الصناعية العامة. ويقول ذوو الخبرة ليس السبب في ذلك أن الألمانيين أذكى منا, ولا أن لهم من القوى والصلاحيات ما ليس لغيرهم, بل أن السبب الأهم في تقديمهم هو الإحساس بالمسؤولية وحسن الانضباط! وهما صفتان

أصبحنا من الخصائص الأخلاقية العامة فيهم".

الحكومة الإلهية

عرفنا أن مفهوم الدين هو:" الإيمان بخالق الكون والإنسان، والتعاليم والوظائف العملية الملائمة لهذا الإيمان" ومن هنا أطلقت اللادينية على أولئك الذين لايؤمنون بالخالق إطلاقا، بل يؤمنون بالصدفة والاتفاق في خلق الظواهر الكونية، أومسببة من التفاعلات المادية والطبيعية.

إن الدين الإسلامي الخالد الذي نحن بصدده، قد أسس من أول يوم على التقوى، على يد أكبر شخصية أخلاقية في التاريخ(ص)، " وإنك لعلى خلق عظيم" وإنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

إن الدعوة الإسلامية قد بنى أسسها على رفع قيمة الإنسان المعنوية برفع مستوى عقيدته إلى سلسلة من العقائد الطيبة الطاهرة، ورفع مستوى خلقه إلى الملكات الفاضلة. والإسلام يمنع الإنسان منعا باتا من أن يضحي بالفضائل في سبيل ميوله وشهواته.

بهذا، فهمنا أن الهدف الرئيس والأول من بعثة الأنبياء هو: إتمام الشروط التي يلزم توفرها لرشد البشر وتكاملهم الحر والواعي الشعوري، والتي يتم تحقيقه من خلال إبلاغ الوحي الإلهي للناس. والإمام هو نائب بالحق لإتمام هذه المهمة الإلهية؛ وكل هذا، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

والهدف النهائي لظهور الإمام المهدي (عج) هو إتمام هذا الدين العالمي، وبهذا الصدد يقول سبحانه وتعالى:" ليظهره على الدين كله".

وهذا الإمام هو الذي سيرث الأرض مع عباد الله الصالحين. قوله تعالى:" ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون".

وفي آية أخرى أشير لحكاية فرعون، الذي جر الناس للاستضعاف: " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين".

ومن أعماله كما ذكرناها سابقا: عن ابن عباس قال رسول الله(ص) " إن عليا إمام أمتي من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي اناظهر يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما".

وللقائم غيبتين، كما يقول الإمام السجاد عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب(ع) أنه قال:" وإن للقائم منا غيبتين؛ احدهما أطول من الآخر، فلا يثبت على إمامته إلا من قوى يقينه وصحت معرفته".

ومن أجل أن نعرف الإمام حقيقة، وسر الغيبة ومغزاها لابد أن نلقي نظرة على سيرة الأئمة الأطهار(ع).هنا، وهنا البحث المتواضع لا يأخذ يد القارئ إلى الإمام مباشرة، ولكن يفتح له طريق قويم ليصل إلى الإمام بلا أية مشكلة.

الخاتمة

بعد ما عرفنا أن الأنبياء والرسل حبل الله من السماء إلى الأرض, وأن النبي(ص) هو خاتم النبيين وأن الخلافة هي سنة مستمرة بين الأنبياء(ع) حتى لاتخلو الأرض من حجة ولحفظ ما أنجزه الأنبياء وإتمام دورهم في هداية الناس إلى كمالهم الروحي والأخلاقي وكل ما يرتبط في حياتهم وآخرتهم ويكون ذلك على يدي إنسان يتمتع بنفس مواصفات النبي من الكفاءة والمؤهلات ويمتلك كل مناصب النبي إلا النبوة والرسالة؛ عن أمير المؤمنين عليه أفضل السلام, يقول:" اللهم بلى, لاتخلو الأرض من قائم لله بحجة, إما ظاهرا مشهورا وإما خائفا, لئلا تبطل حجج الله وبيناته".

إن مسألة الإمامة ليست مسألة سهلة بل لها من الأهمية والخطورة بحيث لا يمكن أن يقوم بها وبمهامها إلا من اختصه الله تعالى بصفات خاصة. يقول الله سبحانه وتعالى:" إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين".

وهذه الآية تدل على أن الذي يتصدى لهذا المنصب يجب أن يكون مقبولا ومرضيا عند الله سبحانه وتعالى لأن مسألة الإمامة هي عهد من الله, وصاحب هذا العهد عليه أن يتمتع بصفات ومؤهلات كثيرة كالعصمة تماما كما كانت شرطا في النبوة. وتدل الآية القادمة, قوله تعالى:" وإذ ابتلي إبراهيم ربه بكلمات فأتمنهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين" على أن الظالم هو المرتكب للمعصية لايمكن أن يصل إلى هذا المقام العظيم وهو مقام الإمامة الإلهية.

ومعرفة هذا الإمام الجليل على عاتق كل مسلم ومسلمة, ولن تتحقق هذه المعرفة إلا بتربية صحيحة وكذالك تعليم صحيح, وبداية تلك التربية وذلك التعليم, يكونان قبل الزواج كما ذكرناه في آخر الفصل من هذا البحث.

هذا, والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1. القرءان الكريم
2. نهج البلاغة
3. كتب الأحاديث
4. علم النفس الإسلامي سعيد كاظم العذارى مطبعة ليلى _ إيران.
5. الإسلام وعلم النفس محمود البستاني مجمع البحوث الإسلامية _ بيروت لبنان.
6. المشاكل الأخلاقية والنفسية، مجتبى الموسوي اللاري، مركز نشر الثقافة الإسلامية في العالم. المطبعة الهادي قم _ إيران.
7. حاجة الأنام إلى النبي(ص)، علي أصغر الموسوي اللاري، المطبعة الهادي قم _ إيران.
8. دروس في العقيدة الإسلامية
9. حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي (عج)، محمد تقي مصباح اليزدي، المشرف للثقافة والنشر تهرأن _ إيران.
10. مذاهب فلسفية، محمد جواد مغنية، دار الجواد بيروت _ لبنان.
11. الوصية الشرعية والقانونية، محمد، مطبعة مهر مؤسسة الإمامين الجادين(ع).
12. تاريخ الإسلامي، لجنة التاريخ، المطبعة شابك قم _ إيران
13. فضائل أهل البيت (ع)، مرتضى الحسيني الفيروز آبادي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيوت _ لبنان.
14. معجم المصطلحات الفلسفية، عبده الحلو، مكتبة لبنان بيروت _ لبنان.
15. التصوف العقلي عند ابن سينا، طاهر كوليبالي، دار الهادي بيروت _ لبنان.
16. الوجودية المؤمنة، طاهر كوليبالي، تحت الطبع.
17. أسرار الآيات، صدر الدين محمد إبراهيم الشيرازي، دار الصفوة بيروت _ لبنان.
18. لسان العرب، محمد بن مكرم(ابن منظور) نشر أدب الحوزة، قم _ إيران.
19. جامع الأخبار، محمد بن محمد السبزواري. مؤسسة آل البيت.قم _ إيران.
20. ديوان الإمام علي، دار ابن زيدون، مكتبة الكليات الأزهرية.
21. العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربة الأندلسي. دار الكتاب العربي بيروت _ لبنان.
22. فقه اللغة، أبو المنصور الثعالبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت _ لبنان.
23. مكارم الأخلاق، عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا، دار الكتب العلمية. بيروت _ لبنان.
24. المعجم الفلسفي، لجميل صليبا، د.جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني بيروت _ لبنان.
25. إرشاد القلوب، الحسن بن محمد الديلمي. منشورات الرضي قم _ إيران.
26. بحار الأنوار، محمد باقر ألمجلسي. مؤسسة الوفاء بيروت _ لبنان.
27. الكافي، محمد يعقوب الكليني. دار صادر بيروت _ لبنان.

28. روضة الواعظين، محمد بن الفتال النسا بوري. منشورات الرضي قم _ إيران.
29. سنن الأ وزاعي، عبد الرحمان بن عمر الأوزاعي. دار النفائس بيروت _ لبنان.
30. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. دار الندوة الجديدة بيروت _ لبنان.
31. المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، محسن الكاشاني، جامعة المدرسين قم _ إيران.
32. تصنيف غرر الحكم، عبد الله الواحد الآمدي. مكتب الإعلام الإسلامي قم _ إيران.
33. الخصال، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، جماعة المدرسين قم _ إيران.
34. الاختصاص، محمد بن محمد بن النعمان.مؤسسة الأعلمي بيروت _ لبنان.
35. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ورام بن أبي فراس. دار صعب بيروت _ لبنان.
36. سايكولوجية الطفولة والمراهقة، د. عبد العلي الجسماني.الدار العربية للعلوم بيروت لبنان.
37. أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح. المكتب المصري الحديث، الإسكندرية.
38. فردوس الأخبار، شيرويه بن شهر، دار الديلمي، دار الكتاب العربي. بيروت لبنان.